سلسلة أمهات المؤمنين
والدعوة إلى الله
١ / ١١

السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق

رضي الله عنهما

٣

أبو أحمد
د. خالد بن محمد الحافظ العلمي

مكتبة
دار الزمان
للنشر والتوزيع

ح مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع ، ١٤٢٣ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحافظ ، خالد محمد

السيدة عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما / خالد محمد الحافظ

المدينة المنورة ، ١٤٢٣ هـ

٢٠٨ص ، ١٧ X ٢٤ سم (سلسلة أمهات المؤمنين والدعوة إلى الله ، ٣)

ردمك : ١- ٢ - ٩٤١٢ - ٩٩٦٠

١- عائشة أم المؤمنين ، عائشة بنت أبي بكر الصديق ، ت ٥٨هـ

أ - العنوان ب - السلسلة

ديوي ٧ ، ٢٣٩ ١٤٢٣/٥٨٦٨

رقم الإيداع : ٥٨٦٨ /١٤٢٣

ردمك : ١- ٢ - ٩٤١٢ - ٩٩٦٠

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع

DAR AL-ZAMAN LIBRARY FOR PUBLISHING & DISTRIBUTION

المدينة المنورة - شارع الستين - ص.ب ١٥٥٦

هاتف ٨٣٦٦٦٦٦ فاكس ٨٣٨٣٢٢٦

المملكة العربية السعودية

Medina Monawara - Al-Sittin Road - P.O. Box. 1556

TEL: 8366666 - FAX: 8383226

Kingdom of Saudi Arabia

السَّيِّدة

عَائِشَة بِنْت أَبِي بَكْر الصِّدِّيق

رَضِيَ اللهُ عَنْهُما

(٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمـد لله، والصلاة والسـلام على رسـول ا لله، وعلــى آلـه وأصحابـه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذا هو الكتاب الثالث الذي أقدِّمه في سلسلة أمهات المؤمنين والدعوة إلى ا لله، وهو لأم المؤمنين السيدة **عائشة** -رضي ا لله عنها-، عالمة نساء الإسـلام، وحبيبة رسول ربّ العالمين، لقد مرَّ على حياة السيدة **عائشة** -رضي ا لله عنها- قرون متعددة، دون أن تدرس مناهجهـا في الدعـوة إلى ا لله في كتـاب مستقل يبرز من خلاله جهدها وأثرها في الدعوة إلى ا لله، مع أن السيدة **عائشة** -رضي ا لله عنها- تعـدّ أبـرز امرأة في تاريخنـا الفكـري والسياسي، إن لم تكـن أبـرز أعلامه، وإخراج مثل هذا العمل دَينٌ في عنـق الأمـة يجب الوفـاء بـه .إن جهـد السيدة **عائشة** -رضي ا لله عنها- في الدعوة إلى ا لله يمثل صورة صادقة لدور المـرأة المسلمة، وتطبيق عملي لمكانتها في الكتاب والسنة، وبيان لهوية المرأة الحقيقية.

إن غايتي من هـذه السلسـلة المباركـة أن أضـع أمـام أخواتـي المسـلمات اليوم نمـاذجَ مضيئةً من حياة أمهات المؤمنين، ضربْنَ مـن خلالهـا أروع الأمثلـة في التعـامل مـع مسيرة الدعوة المباركة، ومما يجب الإشارة إليه هو أني قد تحدَّثت في مقدمة كتاب السيدة خديجة -رضي ا لله عنها- عن أهمية إظهار هذه السلسلة، وأسباب اختيارهـا، وعـن الدراسـات السابقة، وحدود دراسة هذا البحث، الأمر الذي يغني عن إعادة الحديث في ذلك.

هذا ولقد بذلت الجهد في الالتزام بالمنهج العلمي في البحث والكتابة، فآثرتُ أن أوثّق المعلومات من مظانّها الأصلية، مستنبِطاً للدروس والعِبَر التي تنفعنا في عالَمِنا اليوم.

وقد جاء هذا البحث في ستة فصول وخاتمة على النحو الآتي:

١- الفصل الأول:

التعريف بأم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- وبيان أثرها في الدعوة.

٢- الفصل الثاني:

الرد على بعض الشُبَهِ التي أُلْحِقت بها رضي الله عنها.

٣- الفصل الثالث:

المنهج العقلي في دعوة أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها-.

٤- الفصل الرابع:

المنهج العاطفي في دعوة أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها-.

٥- الفصل الخامس:

أساليب الدعوة عند أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها-.

٦- الفصل السادس:

وسائل الدعوة عند أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها-.

ثم جاءت الخاتمة، وذكر المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في بحثي هذا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

أبو أحمد

د. خالد بن محمد الحافظ العلمي

الفصل الأول

التعريف بأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- وبيان أثرها في الدعوة

١- اسمها ونسبها:

هي **عائشة** بنت أبي بكر الصديق بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي.

وأمها: أم رومان بنت عمير بن عامر بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة[١].

ولدت بعد البعثة بأربع سنين أو خمس[٢].

روي عنها أنها قالت: قلت يا رسول الله إن لكل صواحبي كنى، فلو كنيتني؟ قال: (اكتني بابنك عبد الله بن الزبير). فكانت تكنى بأم عبد الله حتى ماتت[٣].

---

(١) انظر في اسمها وترجمتها الطبقات لابن سعد (٥٨/٨).. والسمط الثمين للطبري ص٤٩. وتسمية أزواج النبي ﷺ لأبي عبيدة ص٥٤. والمنتخب لابن زبالة ص٣٧. والإصابة لابن حجر (١٦/٨). والاستيعاب لابن عبد البر (١٨٨١/٤). والروض الأنف للسهيلي (٥٣٤/٧). وجوامع السيرة لابن حزم ص٣٢. وأزواج النبي ﷺ للصالحي ص٧٧. وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٣٥/٢). والأربعين في مناقب أمهات المؤمنين لابن عساكر، ص٥٦. وأعلام النساء لعمر رضا كحالة (٩/٣).

(٢) الإصابة لابن حجر (١٦/٨). وأزواج النبي ﷺ للصالحي، ص٧٨.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٠٧/٦، ٢٦٠). وأبوداود في سننه، كتاب الأدب، باب: في المرأة تكنى، الحديث رقم: (٤٩٧٠)، وصححه الحاكم في المستدرك (٢٧٨/٤). وكذا صححه الألباني في: صحيح سنن أبي داود.

٢- في إتيان جبريلُ النبيَ ﷺ بصورتها وخطبتها وتزويجه ﷺ بها:

عن **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: قال لي رسول الله ﷺ: "أُريتك في المنام قبل أن أتزوجك مرتين -وفي لفظ: ثلاث ليال- جاءني بك الملك في سرقة من حرير، فيقول: هذه امرأتك، فأكشف عن وجهك، فإذا أنت، فأقول، إن يك من عند الله يمضه(١).

وعنها قالت: جاء بي جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ في خرقة حرير، فقال: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة(٢).

وروى البخاري ومسلم عنها قالت: تزوجني رسول الله ﷺ وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة، فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج، فوعكت فتمزق شعري، فوفى جُمَيْمَة، فأتتني أمي أم رومان، وإني لفي أرجوحة، ومعي صواحب لي، فصرخت بي، فأتيتها، لا أدري ما تريد بي، حتى أوقفتني على باب الدار وإني لأنهج، حتى سكن بعض نفسي، ثم أخذت شيئاً من ماء، فمسحت به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار، فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقلن على الخير والبركة، وعلى خير طائر، فأسلمتني إليهن، فأصلحن من شأني، فلم يرعني

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤١/٦، ١٢٨، ١٦١). والبخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار باب: تزويج النبي ﷺ **عائشة**...، الحديث رقم: (٣٨٩٥)، والسرقة: قطعة الحرير والجمع (السَّرَقُ). والواحدة: سَرَقَة، المعجم الوسيط (٤٢٨/١).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، (٦/١٦)، وهذا لفظه. وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب في فضائل **عائشة** -رضي الله عنها- (٧٠٤/٥) حديث رقم: (٣٨٨٠)، وقال: هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني في: صحيح سنن الترمذي.

إلا رسول الله ﷺ ضحىً فأسلمتني إليه، وأنا يومئذٍ بنت تسع سنين[١].

٣- ذكر شيء من فضائلها -رضي الله عنها-:

لقد حظيت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- عند رسول الله ﷺ بمكانة ومحبة[٢] لم تبلغها امرأة من نسائه في وقتها، فحبه لها عليه الصلاة والسلام كان مستفيضاً حتى إن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم **عائشة** -رضي الله عنها- طلباً لرضى رسول الله ﷺ لما يعلمون من حبه لها[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب: تزويج النبي ﷺ **عائشة**، حديث رقم: (٣٨٩٤) (ص٨١٤)، وهذا لفظه، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث: (١٤٢٢). ومعنى وعكت: حممت، المعجم الوسيط (١٠٤٤/٢)، وتمزق شعري: أي تقطع، ويروى: تمرق بالراء، يقال: مرق شعره، وتَمَرَّقَ وامَّرَقَ، إذا انتثر وتساقط من مرض أو غيره. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣٢٠/٤، ٣٢١)، ووفى جميمة: الجمة من الإنسان مجتمع شعر ناصيته وما ترامى من شعر الرأس على المنكبين، والمعنى: أنه كثر حتى سقط على المنكبين وهذا هو معنى الجمة، المعجم الوسيط (١٣٧/١). أما إذا كان إلى شحمة الأذنين فيسمى: وفرة، المعجم الوسيط (١٠٤٦/٢).

(٢) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٣٦٦٢) ونصه: (عن عمرو بن العاص -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: **عائشة**، فقلت: من الرجال؟ قال: أبوها. قلت: ثم من؟ قال: عمر بن الخطاب، فعدَّ رجالاً).

(٣) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٣٧٧٥) (ص٧٩١)، باب: فضل **عائشة** -رضي الله عنها-، وصحيح مسلم، حديث رقم: (٢٤٤١)، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل **عائشة** رضي الله تعالى عنها. ونص البخاري: (قال كان الناس يتحرون بهداياهم يوم **عائشة**، قالت **عائشة**: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة فقلن: يا أم سلمة، والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم **عائشة**، وإنا نريد الخير كما تريده **عائشة**، فَمُرِي رسول الله ﷺ أن يأمر الناس بأن يهدوا إليه =

وقد كانت قسمة **عائشة** -رضي الله عنها- ليلتين ولسائر نسائه ﷺ ليلة ليلة[(١)].

وبلغ من حبه لها وخوفه عليها أنه كان يأمرها ﷺ أن تسترقي من العين[(٢)]. ولم يكتف بذلك عليه الصلاة والسلام حتى كان يحث على حبها[(٣)] وأحياناً لا يكره أن تنتصر لنفسها[(٤)]. وربما يأتي الحديث عنها من بعض ضرائرها

=

حيث كان أو حيث ما دار. قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ، قالت: فأعرض عني، فلما عاد إليَّ ذكرت له فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: يا أم سلمة، لا تؤذيني في **عائشة**، فإنه والله ما نزل عليَّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها).

(١) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٥٢١٢) (ص١١٤٦) كتاب النكاح، باب: المرأة تهب يومها من زوجها لضرتها وكيف يقسم ذلك، ونصه: "عن **عائشة** -رضي الله عنها-: "أن سودة بنت زمعة وهبت يومها **لعائشة**، وكان النبي ﷺ يقسم **لعائشة** بيومها ويوم سودة"، وكذا صحيح مسلم، حديث رقم: (١٤٦٣)، كتاب الرضاع، باب جواز هبتها نوبتها لضرتها.

(٢) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٥٧٣٨)، كتاب الطب، باب رقية العين، وصحيح مسلم، حديث رقم: (٢١٩٥) ص٩٠٣، كتاب السلام، باب: استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة، ونصه: "عن **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله ﷺ يأمرني أن أسترقي من العين.

(٣) انظر: المصدر السابق حديث رقم: (٢٤٤٢)، كتاب فضائل الصحابة، باب: في فضل **عائشة** -رضي الله عنها- ونصه: "أن **عائشة** زوج النبي ﷺ قالت: أرسل أزواج النبي ﷺ فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ، فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرطي، فأذن لها فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، وأنا ساكتة، قالت: فقال لها رسول الله ﷺ أي بنيه ألست تحبين ما أحب؟ فقالت: بلى. قال: فأحبي هذه..." الحديث.

(٤) المصدر السابق، نفس الحديث، وفيه «...فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ، فقالت يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، قالت ثم وقعت بي فاستطالت عليَّ وأنا أرقب رسول الله ﷺ وأرقب طرفه هل يأذن لي فيها قالت: فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله ﷺ لا يكره أن أنتصر...»الحديث.

فلا يرضى أن تنال منها -رضي الله عنها- ويمدحها بأنه لم ينزل عليه الوحي إلا في لحافها[1].

بل ومن حبه لها أنه كان يقبلها وهو صائم[2]. وأحياناً كان يسترضيها إذا غضبت ويعلمها بعلامة رضاها عليه من غضبها[3]. ومن تلطفه معها عليه الصلاة والسلام أنه كان يسابقها[4] ويخصها بالمسايرة في السفر، ومما يدل على مكانتها عند رسول الله ﷺ ابتداؤه عليه الصلاة والسلام بها حين أنزلت آية

---

(١) انظر الحاشية (٣) الصفحة رقم: (٥).

(٢) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (١٩٢٨)، كتاب الصوم، باب القبلة للصائم، وصحيح مسلم، حديث رقم: (١١٠٦) ص٤٢٨، باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته ولفظ مسلم: (عن **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله ﷺ يقبلني وهو صائم، وأيكم يملك إربه كما كان رسول الله ﷺ يملك إربه).

(٣) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٥٢٢٨) (ص١١٤٩) ونصه: (عن **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: قال لي رسول الله ﷺ إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت عليَّ غضبى، قالت: فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم، قالت قلت: أجل والله يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك). وأخرجه مسلم أيضاً، رقم الحديث: (٢٤٣٩)، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل **عائشة** رضي الله تعالى عنها.

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد (٦/٣٩، ٢٦٤) ونصه: (عن **عائشة** -رضي الله عنها- أنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفر، فقال: تعالي حتى أسابقك فسابقته فسبقته، فلما حملت اللحم، سابقني فسبقني، فقال: يا **عائشة** هذه بتلك). ورواه أبوداود في سننه، كتاب الجهاد باب: في السبق على الرجل (٣/٣٠) حديث رقم: (٢٥٧٨).

التخيير وحسن جوابها في ذلك[1]، ويكفيها من علو المنزلة والرفعة هـذا الميراث النبوي العظيم الذي نقلته للأمة حتى طبَّقت روايتها للأحاديث معظم كتب السنة إن لم يكن كلها[2]. وأخذ منها العلم كبار الصحابة والتابعين، وتسابق الناس قديماً وحديثاً في الكتابة عن علمها، وأفردها البعض بمؤلفات خاصة في الفقه وروايتها للحديث وتفسير القرآن العظيم، وفي أشعار العرب وأيامهم، علاوة على ما خُصت به من خصائص دون غيرها من أمهات المؤمنين وصلت إلى أربعين خصلة[3]. ويكفيها شرفاً اختياره ﷺ الإقامة عندها أيام مرضه واجتماع ريقه بريقها واختصاصها بمباشرة خدمته، ووفاته عليه الصلاة والسلام وهو مستند إلى صدرها فرضي الله عنها وعن أمهات المؤمنين.

---

(١) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (١٤٧٥)، باب: بيان أن تخييره امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية، وصحيح البخاري، حديث رقم: (٤٧٨٥)، كتاب تفسير القرآن، باب: يا أيها النبي قل لأزواجك...، قلت: وكون التخيير يدل على فضلها على بقية الأزواج -رضي الله تعالى عنهن- حيث بدأ بها قبلهم وذكر النووي -رحمه الله- في شرح هذا الحديث ما نصه: "وفي هذا الحديث منقبة ظاهرة لعائشة -رضي الله عنها- ثم لسائر أمهات المؤمنين". شرح النووي على صحيح مسلم (٧٩/١٠).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣٩/٢) ونصه: "مسند **عائشة** -رضي الله عنها- يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، اتفق البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثاً، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين".

(٣) انظر: الإجابة لما استدركته **عائشة** -رضي الله عنها- على الصحابة للزركشي، تحقيق: سعيد الأفغاني من ص٣٨ إلى ص٦٣، الفصل الثاني، في خصائصها الأربعين.

٤- أثرها في الدعوة خلال العهد المدني :

اتَّسم دور أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في العهد المدني بالتلقي والحفظ للسنة المطهرة، القولية منها والفعلية لحياته الخاصة -عليه الصلاة والسلام- تنفيذاً لقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾[(١)]

وتمثل ذلك الأثر البارز والمهم في النقاط التالية:

١- حفظها واعتناؤها بالسنة القولية والفعلية لحياته ﷺ، لاسيما ما كان منه داخل حجراته مع أهله.

٢- بثُّها العلم الشرعي لكل ما تعلمته منه ﷺ حيث كانت خير مبلغ لذلك الميراث النبوي العظيم للأمة.

٣- كانت خير وسيط بينه ﷺ وبين المؤمنات السائلات عن أمور دينهن، خاصة في توضيح بعض الأحكام التفصيلية الخاصة بالنساء[(٢)].

٤- كانت قدوة حسنةً ومثلاً أعلى للمرأة المسلمة في طريق الخير والدعوة إلى الله.

٥- نزول بعض الآيات القرآنية والأحكام الشرعية في شأنها، ولا يخفى أثر ذلك وفائدته على الأمة وذلك مثل نزول آية التيمم التي كانت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- سبباً فيها[(٣)].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: (٣٤).

(٢) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٣١٤) (ص٨٢) كتاب الحيض، باب: (دلك المرأة نفسها إذا تطهرت من المحيض وكيف تغتسل...).

(٣) انظر: المصدر السابق، حديث رقم: (٤٥٨٣) ص٩٥٩، كتاب التفسير، باب: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ...﴾ الآية.

٦- ظهور فضلها واصطفاء الله لها حين اختارت الله ورسوله والدار الآخرة على الدنيا ومتاعها الزائل، وأثر ذلك واضح في التأييد والنصرة والثبات معه ﷺ على طريق الإيمان والعمل الصالح[(١)].

٥- أثرها في الدعوة من خلال عهد الخلفاء الراشدين :

كانت هذه الفترة التاريخية من تاريخ الدعوة من أهم الفترات بعد عهد رسول الله ﷺ، لأنها كانت حلقة الوصل بينه وبين العهود التي تليها. وقد ظهر أثر أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في الدعوة خلال هذه الفترة فيما يلي:

١- حرصها -رضي الله تعالى عنها- على نشر العلم بين المسلمين، فقد نهل المسلمون منها كثيراً من تعاليم دينهم وخاصة ما كان من سنن نبيهم ﷺ التي كان لا يطلع عليها إلا من كان في داخل بيته من أهله[(٢)].

---

(١) انظر: المصدر السابق، حديث رقم: (٤٧٨٥، ٤٧٨٦) ص٥١٩، ٥٢٠، كتاب التفسير، باب: ﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا...﴾ الآية. وباب: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

(٢) انظر: الإجابة لما استدركته **عائشة** على الصحابة للزركشي ص٦٨-٧١، ونصه: "عن عبيد بن رفاعة الأنصاري يقول: كنا في مجلس فيه زيد بن ثابت فتذاكروا الغسل من الإنزال قال زيد: ما على أحدكم إذا جامع فلم ينزل إلا أن يغسل فرجه ويتوضأ وضوءه للصلاة فقام رجل من أهل المجلس فأتى عمر فأخبره بذلك فقال عمر للرجل: اذهب أنت بنفسك فأتني به حتى تكون أنت الشاهد عليه، فذهب فجاء به وعند عمر ناس من أصحاب رسول الله ﷺ منهم علي بن أبي طالب ومعاذ ابن جبل، فقال له عمر: أي عُدي نفسه تفتي الناس بهذا؟ فقال زيد: أما والله ما ابتدعته ولكن سمعته من أعمامي رفاعة بن رافع ومن أبي أيوب الأنصاري، فقال عمر لمن عنده من أصحاب رسول الله ﷺ: ما تقولون؟ فاختلفوا عليه فقال عمر: يا عباد الله قد اختلفتم وأنتم =

٢- كانت مرجعاً للرأي والمشورة للخلفاء الراشدين ولكثير من كبار الصحابة -رضوان الله تعالى عنهم أجمعين-[(١)].

٣- كانت مرجعاً لكثير من الأحكام الفقهية التي خفيت على كثير من علماء الصحابة -رضوان الله عليهم-[(٢)].

٤- كانت مرجعاً لتفسير القرآن الكريم لكل من سألها في ذلك من كبار الصحابة -رضوان الله عليهم- وغيرهم[(٣)].

٥- وضّحت كثيراً من الأمور التي تمس العقيدة الصحيحة فكانت خير مفسر

=

أهل بدر الأخيار، فقال له علي: فأرسل إلى أزواج النبي ﷺ فإنه إن كان شيء من ذلك ظهرن عليه، فأرسل إلى حفصة فسألها فقالت: لا علم لي بذلك، ثم أرسل إلى **عائشة** فقالت: إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل. فقال عمر عند ذلك: لا أعلم أحداً فعله ثم لم يغتسل إلا جعلته نكالاً". انتهى. وانظر: فتح الباري لابن حجر، باب إذا التقى الختانان (٣٩٥/١).

(١) انظر: الكامل لابن الأثير ٢٥١/٣. والإجابة لا يراد ما استدركته **عائشة** على الصحابة للزركشي تحقيق: سعيد الأفغاني ص٦٤، ٦٧، ٧٥، الطبعة الرابعة: ١٤٠٥هـ، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨١/٢، ١٨٢) ونصه: "عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق، قال، قلنا له: هل كانت **عائشة** تحسن الفرائض؟ قال: والله لقد رأيت أصحاب محمّد ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض" أخرجه الدارمي (٣٤٢/٢، ٣٤٣). وابن سعد في الطبقات (٦٦/٨). والحاكم في المستدرك (١١/٤). وانظر: الإجابة للزركشي ص٩١ في استدراك **عائشة** -رضي الله عنها- على عبد الله بن عمر في عذاب الميت ببكاء أهله، وفي طيب المحرم، وفي عمرة رسول الله ﷺ في رجب وغير ذلك.

(٣) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٥٧٤) ص٩٥٦، كتاب التفسير، في سورة النساء، وذلك في سؤال عروة بن الزبير لأم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- عند قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ...﴾ الآية.

وموضح لها -رضي الله تعالى عنها-[1].

٦- سطرت أروع الأمثلة في الزهد والتقلل من الدنيا وعدم الركون إليها، وذلك عندما كان يأتيها العطاء من الخلفاء نظراً لمكانتها، فكانت لا تبقي لنفسها من ذلك العطاء إلا القليل، بل كان لا يأتي المساء وفي بيتها منه شيء[2].

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الدمشقي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط ص٢٢٢-٢٢٥، الطبعة السادسة. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان. وذلك في رؤية النبي ﷺ لربه، وبعض نصه ما يلي: "واتفقت الأمة على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينيه، ولم يتنازعوا في ذلك إلا في نبينا محمَّد ﷺ خاصة، منهم من نفى رؤيته بالعين، ومنهم من أثبتها له ﷺ. وحكى القاضي عياض اختلاف الصحابة -رضي الله عنهم- ومن بعدهم في رؤيته ﷺ، وإنكار **عائشة** -رضي الله عنها أن يكون ﷺ رأى ربه بعين رأسه، وأنها قالت لمسروق حين سألها: هل رأى محمَّد ربه؟ فقالت: لقد قَفَّ شعري مما قلت، ثم قالت: من حدثك أن محمداً رأى ربه، فقد كذب، ثم قال: وقال جماعة بقول **عائشة** -رضي الله عنها-، وهو المشهور عن ابن مسعود وأبي هريرة، واختلف عنه، وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين" انتهى من كتاب الشفاء (١٥٢/١-١٥٦)، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ. ط. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان.

قلت: وهذه من المسائل المشتهرة في العقيدة والتي وضحت فيها أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- معتقداً مهماً للأمة من خلالها وقد أسهبت فيها كتب العقيدة والحديث والتفسير، وزيادة في التوضيح انظر: فتح الباري (٦٠٦/٨) الحديث رقم: (٤٨٥٥) والحديث رقم: (٧٣٨٠). والترمذي الحديث رقم: (٣٠٦٨) و(٣٢٧٨) والإجابة للزركشي ص٨٤ إلى ٨٩. وفيه كلام نفيس جداً للزركشي رحمه الله، وانظر معارج القبول للحكمي، تحقيق: عمر بن محمود (١٠٦٨/٣-١٠٧٣).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨٦/٢-١٨٧) ونصه: "أن معاوية -رضي الله عنه- بعث مرة إلى **عائشة** -رضي الله عنها- بمائة ألف درهم، فوالله ما أمست حتى فرقتها، فقالت لها مولاتها: لو اشتريت لنا منها بدرهم لحماً؟ فقالت: ألا قلت لي" وانظر المستدرك للحاكم (١٣/٤) ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

٦- أثرها في الدعوة من خلال الصدر الأول للعهد الأموي:

لقد مَدَّ الله في عمر أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله تعالى عنها- حتى أدركت الصدر الأول من العهد الأموي، وكانت كما عُرف عنها من قبل في حسن السيرة والمكانة الرفيعة عند المؤمنين بل كانت المرجع لكثير من علماء الأمة وأئمتها وأمرائها. وسأجمل أثرها -رضي الله تعالى عنها- في هذا العهد فيما يلي:

١- نصحها وإرشادها لكل من زارها أو طلب منها رأياً أو مشورةً سواء من عامة الأمة أم من علمائها وأمرائها[1].

٢- سعيها الحثيث للتزود من التقوى والعمل الصالح استعداداً للدار الآخرة.

٣- بذلها وإنفاقها في وجوه الخير بكل ما تيسر لها وقسم لها من عطاءٍ كانت تحصل عليه براً بها وصلةً وحفظاً لحق رسول الله ﷺ فيها.

٤- استدراكها على بعض الأقوال والأحكام التي قد تقع في زمانها وتصل إليها وتوضيحها وبيانها للعلم دون أيِّ مجاملة أو وجل[2].

---

(١) انظر: سنن الترمذي، كتاب الزهد، حديث رقم: (٢٤١٤) (٦٠٩/٤-٦١٠) ونصه: "أن معاوية -رضي الله عنه- كتب إلى **عائشة** أم المؤمنين -رضي الله عنها- أن اكتبي إليَّ كتاباً ولا تكثري عليَّ، فكتبت **عائشة** -رضي الله عنها- إلى معاوية: سلام عليك، أما بعد: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من التمس رضاء الله بسخط الناس، كفاه الله مؤونة الناس، ومن التمس رضاء الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس)، والسلام عليك".

(٢) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٨٢٧)، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ...﴾ الآية، ونصه: "كان مروان على الحجاز استعمله معاوية -رضي الله عنه- =

٥- نباهتها وقوة حجتها وحسن استدلالها بحديث المصطفى عليه الصلاة والسلام توضيحاً لما خفي من بعض الأحكام الفقهية وتوضيحها للسائل(١).

٦- تركها أعظم الأثر في الأمة، ظهر ذلك من خلال أيام رحيلها إلى الدار الآخرة، وفزع المدينة بأكملها عند توديعها ولحوقها بالرفيق الأعلى ووصيتها باتباع السنّة ولزومها في جنازتها -رضوان الله تعالى عنها-(٢).

٧- وفاتها:

كانت وفاتها -رضي الله عنها- في رمضان ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت منه على الصحيح عند الأكثرين بعد الوتر سنة ثمان وخمسين(٣). وقيل سنة سبع

=

فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً، فقال: خذوه فدخل بيت **عائشة** فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه ﴿وَالَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ...﴾ فقالت **عائشة** -رضي الله عنها-: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، إلا أن الله أنزل عذري".

(١) انظر: الإجابة للزركشي ص١٢٨، ونصه: "عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: دخلت على **عائشة** فقلت: يا أماه إن جابر بن عبد الله يقول: "الماء من الماء"، فقالت: "أخطأ، جابر أعلم مني برسول الله ﷺ؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل" أيوجب الرجم ولا يوجب الغسل؟".

(٢) انظر: الطبقات لابن سعد (٨/٧٧، ٧٨) ونصه: "أوصت **عائشة** -رضي الله عنها- أن لا تتبعوا سريري بنار ولا تجعلوا تحتي قطيفة حمراء". "وأمرت أن تدفن من ليلتها فاجتمع الناس وحفروا فلم نر ليلة أكثر ناساً منها. نزل أهل العوالي فدفنت بالبقيع".

(٣) هذا القول لأبي عبيدة معمر بن المثنى. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/١٩٢). وطبقات ابن سعد (٨/٨٠).

وخمسين[1]. وكان لها من العمر ثلاث وستون سنة وأشهر[2]. فاجتمع الأنصار وحضروها فلم يُر ليلة أكثر ناساً منها، نزل أهل العوالي، فدفنت بالبقيع -رضي الله عنها-. وصلى عليها أبو هريرة -رضي الله عنه- وكان مروان بن الحكم أميراً على المدينة[3]. فرضي الله عنها وعن أمهات المؤمنين.

(١) روي هذا القول عن هشام بن عروة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/١٩٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢/١٩٢).

(٣) انظر: كتاب أزواج النبي ﷺ للصالحي، ص١٣٥.

الفصل الثاني

الردُّ على بعض الشُبَهِ التي أُلْحِقتْ بأمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها

١- زواجه ﷺ بها رضي الله عنها:

لم يدع أعداء الإسلام منذ القدم باباً للشر ولا مسلكاً للطعن في النبي ﷺ إلا وبادروا إليه وسلكوه. وملخص شبهتهم هي الزواج الذي كان منه -عليه الصلاة والسلام- بالطفلة العذراء التي هي في مقام بنت من بناته.

والعجب: هو أن هذه الفرية الجديدة من أعداء الإسلام في هذه الفترة المتأخرة، لم تكن جذورها ممتدة لأسلافهم الأوائل من اليهود والمنافقين وغيرهم، ذلك لأنهم عاشوا في ذلك الزمان، ولم يكن هذا الأمر مثار عجب ولا استغراب ولا هو بمطعن في نظرهم، نظراً للبيئة التي كانوا يعيشون فيها والعادات والتقاليد التي درجوا عليها، وإلا فهل يُعقل أن يترك مثل هذه الفرصة أهل الكفر والوقيعة من أهل ذلك الزمان، وما ذاك إلا لعلمهم بأنها ليست هي أول صبية تزف في هذا السن لرجل أسنَّ منها ولن تكون آخرهن[١]. ثم لَمَ هذا الإنكار وهي ذاتها كانت مخطوبة قبله ﷺ من جبير ابن مطعم بن عدي[٢]. وهذا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- تزوج في آخر أيامه بأم كلثوم بنت

---

(١) انظر: نساء حول الرسول، لمحمود الإستانبولي ومصطفى شلبي (ص٣٣٧).

(٢) انظر: المسند للإمام أحمد (٦/٢١٠-٢١١). والسنن الكبرى للبيهقي (٧/١٢٩-١٣٠). وطبقات ابن سعد (٨/٥٨). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢/١٤٩).

علي بنت أبي طالب وهو في عمر أسنَّ من عمر أبيها، ويعرض عمر -رضي الله عنه- ابنته حفصة بعد تأيمها على كلّ من أبي بكر وعثمان وهما في سن والدها[1].

أخيراً لقد علقت هذه الشبهة في أذهان كثير من المسلمين بقصد وبغير قصد، حتى أصبح عند البعض أن الزواج في السن الذي تم فيه دخوله ﷺ **بعائشة** -رضي الله عنها- من المستحيل. ولكن -ولله الحمد- فقد ردَّ عليهم من علماء المسلمين بالأدلة النقلية والعقلية وقرروا حقيقة هذا الزواج في هذه السن المبكرة للسيدة **عائشة** -رضي الله عنها-، وأن هذا هو ديدن الناس في ذلك الزمان[2]، كما أنه من رسول الله ﷺ تشريع وحثّ على الزواج المبكر لأنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ثم إن عقل المرأة وأهليتها للزواج لا يتوقف على صغر سنها أو كبرها، كما أنه لم يَبْنِ بها ﷺ إلا وهي أهل لذلك.

---

(١) انظر: نساء النبي للدكتورة بنت الشاطئ (ص٧٥)، طبعة عام (١٤٠٦هـ-١٩٨٥م) ط. دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

(٢) انظر: كتاب زواج السيدة **عائشة** ومشروعية الزواج المبكر والرد على منكري ذلك، للدكتور خليل إبراهيم ملا خاطر. وكتاب الزواج الإسلامي المبكر سعادة وحصانة للشيخ محمَّد علي الصابوني، ط. دار القلم، دمشق، إضافة لبعض الكتب الأخرى التي تناولت الموضوع ولكن ليس بالتوسع والفائدة الموجودتين في الكتابين السابقين.

٢- حادثة الإفك:

حين ارتفعت راية الإسلام، وبدأ عزُّ الإسلام يظهر ورأس الكفر ينكسر، ظهر في صفوف المسلمين عدو لدود مخادع أظهر الإسلام حقناً لدمه وحرصاً على ماله، وأضمر الكفر وجيوش الحقد والحسد والكيد للإسلام والمسلمين. أولئك هم المنافقون الذين كان على رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول، الذي اعتبر أنَّ رسول الله ﷺ قد سلبه الملك والعزّ، وذلك حين كان قومه قد بدأوا ينظمون له تاج الرئاسة والملك عليهم قبل وصول نور الإسلام إلى المدينة ودخول أهلها فيه.

فهذا وأمثاله عقدوا العزم على العمل ضد المسلمين، وأخذوا يعملون فرادى ومجتمعين. بل قد بلغ من خبثهم ومكرهم أنهم كانوا يخرجون مع رسول الله ﷺ في الغزوات، وبالذات التي كانوا يتوقعون فيها النصر والغنيمة حتى يعودوا بمتاع الدنيا الزائل، ويثبتوا للمسلمين بأنهم منهم ومعهم، وفي الوقت نفسه يتحينون الفرص التي تسنح لهم في بثّ شكوكهم وزرع بذور الشقاق بين المسلمين، بل وإن دعا الأمر لأن يصِلُوا بهمزهم ولمزهم لينالوا من رسول الله ﷺ، فإنهم لن يترددوا في ذلك. وقد كان لهم ما أرادوا حين خرجوا مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق، وأمكنتهم الفرصة من إعطاء نفوسهم شهواتها الخبيثة، وذلك فيما عُرف بحادثة الإفك[١] التي حفلت بها كتب التفسير

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب: حديث الإفك، حديث رقم: (٤١٤١) (ص٨٦٦). وصحيح مسلم، كتاب التوبة، باب: في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، حديث رقم: (٢٧٧٠) ص١١١٢.

والحديث والمغازي والسير نظراً لاشتهارها بنزول آيات من القرآن الكريم فيها.

وملخَّصُها باختصار: هو أن القافلة تركت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- لانشغالها بالبحث عن عقدها في المكان الذي قضت فيه حاجتها. ومن ثَمَّ عودتها ولبثها في مكان القافلة ومجيء صفوان بن المعطل -رضي الله عنه- حيث تخلَّف عن المعسكر فرآها وعرفها. وذلك لأنه كان يراها قبل أن يُضرب الحجاب. فأناخ لها البعير وانطلق سريعاً يطلب الناس، وافتُقدت -رضي الله عنها- حتى أصبحت ونزل الناس. فلما اطمأنوا طلع صفوان -رضي الله عنه- يقود البعير وعليه أم المؤمنين، فقال أهل الإفك ما قالوا. عندها تناقل مرضى القلوب هذه الفرية، فكشفت عن القلوب المريضة. واشتدَّ وهج الفتنة حتى وقع فيها بعض المسلمين. وزاد الأمر شدة تأخُّرُ الوحي ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة. وفعلاً فقد نجح المنافقون في هذه المرة وكانت حرابهم مسمومة وأيقنوا أنهم سددوها إلى المقتل، حتى فرَّج الله عزَّ وجلَّ بنزول الوحي من الله المطلع على السر والنجوى. وبُرئت الصديقة بنت الصديق من فوق سبع سماوات بآيات تتلى في كتاب الله يقرؤها المسلمون في محاريبهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

هذا ولقد تسابق العلماء والمفكرون المسلمون في الردّ على هذه الفرية ودحضها بالنقل والعقل. وحفلت كتب التراجم الحديثة وغيرها بتلك الردود التي تقرب بها أصحابها إلى الله في الردّ والذود عن حياض المصطفى ﷺ وأهل بيته الطاهرين من أمهات المؤمنين، والمقام لا يسمح بسرد كل تلك الردود، ولكن الدليل الأول والأقوى عند كلّ مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر، هو نزول

الوحي ببراءة الصديقة -رضي الله عنها- فهذا يكفينا نحن المؤمنين في الردّ على هذه الشبهة.

هذا وإن أهل العلم من أهل السنة والجماعة أجمعوا على أن من طعن فيها بما برأها الله منه وبما رماها به المنافقون في السابق والروافض في اللاحق من خبر الإفك، فإنه كافر مكذِّب بما ذكره الله في كتابه من إخباره ببراءتها وطهارتها، بل قالوا: يجب قتله. وسأورد بعض الأدلة على ذلك:

١- قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾[١] الآية. قال: «أجمع العلماء -رحمهم الله- قاطبة على أن من سبها ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذُكر في هذه الآية فإنه كافر لأنه معاند للقرآن»[٢].

٢- ذكر العلامة ابن القيم -رحمه الله- اتفاق الأمة على كفر قاذف **عائشة** -رضي الله عنها- حيث قال: «وكانت أحب الخلق إليه، ونزل عذرها من السماء. واتفقت الأمة على كفر قاذفها»[٣].

٣- وقال الزركشي -رحمه الله-: «ومن قذفها فقد كفر لتصريح القرآن

---

(١) سورة النور، آية: (٢٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم للحافظ إسماعيل بن كثير -رحمه الله- (ت: ٧٧١هـ) (٣/٢٧٦)، ط. دار إحياء الكتب العربية، القاهرة - مصر.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام أبي عبد الله محمّد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) (١/١٠٦)، الطبعة الثانية (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

الكريم ببراءتها»[1].

٤- رأى الإمام مالك -رحمه الله- قتل من سب **عائشة** -رضي الله عنها- بالفرية؛ لأنه خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل، لأنه كذب بما فيه[2].

٥- قال القرطبي -رحمه الله- في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا﴾[3] «يعني في **عائشة**، لما في ذلك من إذاية لرسول الله ﷺ في عرضه وأهله، وذلك كفرٌ من فاعله، قال هشام بن عمار سمعت مالكاً يقول: من سب أبا بكر وعُمر أُدب. ومن سبَّ **عائشة** قتل، لأن الله تعالى يقول: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ فمن سبَّ **عائشة** فقد خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل»[4].

٦- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأما من سبَّ أزواج النبي ﷺ فقال القاضي أبو يعلى: من قذف **عائشة** بما برأها الله منه كفر بلا خلاف، وقد حكى

---

(١) الإجابة لإيراد ما استدركته **عائشة** على الصحابة للزركشي (ص٤٥، ٤٦). وأضاف "وعند مالك أن من سبها قتل"، قال أبو الخطاب ابن دحية في أجوبة المسائل: "ويشهد لقول مالك كتاب الله، فإن الله تعالى إذا ذكر في القرآن ما نسبه إليه المشركون سبح نفسه لنفسه، قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ فسبح نفسه في تنزيه **عائشة** كما سبح نفسه لنفسه في تنزيهه"، حكاه القاضي أبوبكر بن الطيب.

(٢) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض اليحصبي، تحقيق: كمال بسيوني (٢/٢٥١)، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ-١٩٩٥) ط. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان.

(٣) سورة النور، آية: (١٧).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله محمَّد بن أحمد الأنصاري القرطبي (١٢/٢٠٥)، ط. دار الشام للتراث، بيروت - لبنان.

الإجماع على هذا غير واحد، وصرَّح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم»[١].

٧- قال ابن أبي موسى[٢]: «ومن رمى **عائشة** -رضي الله عنها- بما برأها الله منه فقد مرق من الدين ولم ينعقد له نكاح على مسلمة»[٣].

وهذه الأقوال السابقة عن هؤلاء الأئمة قليل من كثير مما حفلت به كتب الفقه والعقائد والتفسير في الردّ على من طعن في السيدة **عائشة** -رضي الله عنها- من الروافض وأتباعهم والحكم عليه بالكفر لتكذيبه لله عزَّ وجلَّ فيما أخبر به في كتابه الكريم من براءتها وطهارتها -رضي الله عنها-.

هذا وإن مفهوم البراءة للسيدة **عائشة** -رضي الله عنها- موجود لدى كلّ مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر. وهو الذي ذهب إليه الصحابي الجليل أبوأيوب الأنصاري -رضي الله عنه- حين قالت له امرأته أم أيوب، يا أبا أيوب: أما تسمع ما يقول الناس في **عائشة** -رضي الله عنها- قال: نعم، وذلك الكذب. أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: **فعائشة** والله خير منك[٤]. رضي الله عن السيدة **عائشة** وعن أمهات المؤمنين وحشرنا في زمرتهم تحت لواء سيد المرسلين. والحمد لله رب العالمين.

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٥٦٦) ط. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(٢) هو عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن جعفر الشريف الهاشمي، إمام الحنابلة ببغداد في عصره ولد سنة إحدى عشرة وأربعمائة، وتوفي سنة سبعين وأربعمائة، الأعلام للزركلي (٣/٢٩٢).

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٥٦٨).

(٤) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (٣/٢٧٣) في قوله تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ...﴾ [سورة النور، آية:١٢]، ط. دار إحياء الكتب العربية، القاهرة – مصر.

٣- موقعة الجمل:

لقد كثرت الروايات الواردة في الحديث عن موقعة الجمل وما سبقها من أحداث ولا يخفى بأن فيها الضعيف والصحيح والموضوع. وهذا يحدث في معظم الحوادث التاريخية، فكيف بمثل هذه الحادثة التي كانت مرتعاً خصباً للطاعنين والمتربصين للمؤمنين وأمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن-.

وقد تركّزت شبهتهم في قولهم أن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- لم تعمل بقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ الآية، وذلك بخروجها إلى البصرة، ولمخالفتها لقوله ﷺ عام حجة الوداع: (هذه ثم ظهور الحصر). وقولهم بأنها كانت من المؤلبين على قتل عثمان -رضي الله عنه-، وأن الداعي لخروجها ليس لطلب دم عثمان وإنما هو بغضها لعلي -رضي الله عنه-، واستنادهم على خبر ماء الحوأب[1] وما حصل عنده من شهادة الزور حسب زعمهم، وقولهم بأنها هي سبب إراقة دماء المسلمين يوم الجمل.

هذه هي المحاور التي اعتمدوا فيها في إثارة شبهتهم. وقد رد علماء المسلمين -رحمهم الله- على كلّ جزئية من هذه الشُبه بما لا يدع مجالاً للشك أو الطعن، والمقام لا يسمح باستعراض كلّ ما قيل وذكر من تلك الردود، ولكني سأورد بإيجاز بعض تلك الردود توضيحاً للأمر وتجلية له.

---

(١) انظر في خبر ماء الحوأب: صحيح ابن حبان (١٥/١٢٦)، وروح المعاني للآلوسي، (٢٢/١١)، وفتح الباري، (١٣/٥٥)، وسير أعلام النبلاء (٢/١٧٧-١٧٨).

قال الآلوسي -رحمه الله- في الردّ على زعمهم أنها لم تعمل بالآية الآمرة بالقرار في البيوت ما نصه: «وأجيب بأن الأمر بالاستقرار في البيوت والنهي عن الخروج ليس مطلقاً وإلا لما أخرجهن ﷺ بعد نزول الآية للحج والعمرة، ولما ذهب بهن في الغزوات، ولما رخص لهن لزيارة الوالدين وعيادة المرضى، وتعزية الأقارب، وقد وقع كلّ ذلك كما تشهد بذلك الأخبار الصحيحة»[(١)].

وقولهم بأنها كانت من المؤلبين على قتل عثمان -رضي الله عنه-، فلا يوجد نقل صحيح يثبت هذا. وإنما هو من ادعاءات الشيعة التي لا أصل لها.

قال الطبري -رحمه الله- في تاريخه: «إن المنقول عن **عائشة** -رضي الله عنها- يكذب ذلك ويبين أنها أنكرت قتله وذمت من قتله، حتى إنها دعت على أخيها محمَّد لمشاركته في ذلك»[(٢)].

وقولهم أن الداعي لخروجها للبصرة هو بغضها لعلي وليس لطلب دم عثمان -رضي الله عنهم أجمعين-، قال صاحب التحفة: «هذه دعوى تحتاج إلى دليل، فالمروي عنها أنها خرجت لإصلاح ذات البين وأخذ القصاص من قتلة عثمان -رضي الله عنه- المقتول ظلماً وعدواناً»[(٣)].

---

(١) روح المعاني للآلوسي (٩/٢٢). وانظر كذلك: مختصر التحفة الاثنى عشرية تأليف شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي (ص٢٦٨-٢٦٩).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٥١٣/٤). وانظر: روح المعاني اللآلوسي (١١/٢٢-١٢).

(٣) انظر: التحفة الاثنا عشرية للدهلوي (ص٢٦٩). وانظر كذلك في الرد على هذه الشبهة الطبقات لابن سعد (١٨/٨). وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٧٧/٢). وروح المعاني للآلوسي (١١/٢١).

وأما خبر ماء الحوأب[١] فأثبته أهل السير والتاريخ[٢]، وقال ابن حجر -رحمه الله- في فتح الباري بثبوته وصحته[٣]. وكذلك أثبته الآلوسي -رحمه الله- في تفسيره[٤]. أما القاضي أبو بكر بن العربي فقد نفى هذه الحادثة جملة وتفصيلاً في كتابه العواصم من القواصم[٥]، وأكد محقق الكتاب هذا النفي في الحاشية[٦]. والذي يظهر لي أن الرواية التي نفاها ابن العربي -رحمه الله- غير الرواية التي أثبتها ابن حجر -رحمه الله-، وأن الذي ينبغي نفيه هو شهادة طلحة والزبير -رضي الله عنهما- الزور إذ لم ترد في طريق صحيح، فطلحة والزبير -رضوان الله عليهما- المشهود لهما بالجنة ممن لا ينطق عن الهوى أعلى وأجلُّ من أن ينسب لهما مثل ذلك.

ولقد حكم الألباني -رحمه الله بصحة الحديث وقال: صحيح جداً، وأسهب في الكلام على سنده ومتنه مؤكداً حكمه عليه بالصحة والرد على منكري ذلك[٧].

---

(١) انظر الحاشية رقم (١) الصفحة السابقة.

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٥/١٧٠). والكامل لابن الأثير (٣/١٠٧). والبداية والنهاية لابن كثير (٧/٢٤٢).

(٣) انظر: فتح الباري للإمام ابن حجر (١٣/٥٥)، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

(٤) انظر: روح المعاني للآلوسي (٢٢/١١)، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

(٥) العواصم من القواصم لابن العربي، تحقيق: محب الدين الخطيب (ص١٦١)، ط. مكتبة أسامة بن زيد، بيروت - لبنان.

(٦) المصدر السابق (ص١٦١).

(٧) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ محمَّد ناصر الدين الألباني، حديث رقم: (٤٧٤) (١/٧٦٧)، الطبعة الرابعة: ١٤٠٥هـ، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

وأما قولهم: بأنها هي سبب إراقة دماء المسلمين يوم الجمل، فهذا لا يقوله إلا من لا علم له بما وقع يوم الجمل، وما تم من أمور الإصلاح التي كادت تتم بين الطرفين. وذلك إنما يدل على صدق النية عند الطرفين وإخلاصهم في هذا الخروج بأنهم لم يخرجوا إلا متأولين وقاصدين لمقصد واحد وإن كان قد تمَّ الإفصاح عنه من قِبَل أم المؤمنين -رضي الله عنها- وهو القصاص من قتلة عثمان -رضي الله عنه- وهذا نفسه مطلب أمير المؤمنين علي -رضي الله عنه- ولكنه لا يستطيع ذكره نظراً لوجود عدد منهم في جيشه، وكان -رضي الله عنه- ينتظر استقرار الأمور وهدوءها وتفرق الناس إلى ديارهم ليستعيد قوته ويميل بالقصاص على القتلة. وهذا هو ذاته الذي قاله القعقاع بن عمرو -رضي الله عنه- حينما أرسله علي بن أبي طالب لطلحة والزبير وأم المؤمنين -رضي الله عنهم- ليتشاور معهم في أمر هذا الخروج[(١)].

هذا ولقد أكرم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها-، وسار في وداعها أميالاً، وسرح بنيه معها يوماً وودعها أكرم توديع[(٢)].

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (٤/٤٨٨). والكامل لابن الأثير (٣/١١٩). وروح المعاني للآلوسي (٢٢/١٠-١١).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٤/٥٤٤). والكامل لابن الأثير (٣/١٣٠).

الفصل الثالث

المنهج العقلي في دعوة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

سبق الحديث عن المنهج العقلي في كتاب السيدة خديجة -رضي الله عنها- حيث توسعتُ في الإيضاح والبيان لأبرز أساليب المنهج العقلي في الدعوة، وعن مدلول المنهج العقلي، الأمر الذي يغني عن إعادة الحديث في هذه المدلولات وتكرارها، وبهذا سيكون حديثي الآن عن:

١- أثر المنهج العقلي في الدعوة عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

في الحديث عن المنهج العقلي في الدعوة عند أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- أجد أنها أعطيت من العقل والكمال وحميد الخصال، وكريم الفضائل ما لم تعطه امرأة غيرها في مثل سنها ورجاحة عقلها؛ فهي إحدى بنات الصحابة اللاتي ولدن في الإسلام، وهي أصغر من فاطمة الزهراء -رضي الله عنها-، وكانت تقول عن أبويها: "لم أعقل إلا وهما يدينان الدين"[(١)].

ومما هو مُسَلَّمٌ به أن العلم الشرعي هو أمضى سلاح للداعية إلى الله، ولا يناله ويسعى في تحصيله إلا أصحاب العقل والبصيرة والفهم. وفي اختيار أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- لهذا الطريق ونبوغها فيه، دليل واضح على صحة منهجها العقلي في الدعوة إلى الله، حيث تسلحت بأمضى سلاح، فنفع

(١) الحديث أخرجه البخاري، كتاب الكفالة، باب: حوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ وعقده، حديث رقم: (٢٢٩٧) (ص٤٧٣).

الله بعلمها البلاد والعباد من تلك القرون المفضلة وإلى الآن وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

فعندما لحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى كانت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- لم تخط إلى التاسعة عشرة[١]، ولكنها قد ارتوت من الحديث والفقه في الدين وملأت أرجاء الأرض علماً. فقد امتازت بحافظةٍ قوية جعلتها مرجعاً مهماً وركناً راسخاً لكبار علماء الصحابة في علم الحديث، بل لم يكن نفاذ رأيها ورجاحة كفتها وقفاً على الحديث الشريف وحده. ولكنها بلغت الذروة في رواية الشعر والأدب والتاريخ والطب والأنواء والأنساب. فهذا عروة بن الزبير فقيه المدينة وأحد علمائها الأفذاذ الذين يُقصدون من كل فج عميق يقول: ما رأيت أحداً أعلم بفقهٍ ولا بطبٍّ ولا بشعر من **عائشة**[٢].

قال ابن القيم -رحمه الله-: «والذين حُفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ مائة ونيف وثلاثون نفساً، ما بين رجلٍ وامرأة، وكان المكثرون منهم سبعة: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، و**عائشة** أم المؤمنين، وزيد بن ثابت، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر. قال أبو محمَّد ابن حزم: ويمكن أن يُجمع من فتوى كل واحد منهم سفر ضخم»[٣].

---

(١) هذا على رأي من قال إنه ﷺ بنى بها وهي ابنة تسع.

(٢) سير أعلام النبلاء (١٨٣/٢).

(٣) أعلام الموقعين عن رب العالمين، لأبي عبد الله محمَّد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (١٢/١).

ومما لا شكَّ فيه أن من صفات الداعية إلى الله، الناجح في دعوته، تميزه في الأسلوب، وانتقاء العبارة ووضوحها، وفصل الكلام بعضه عن بعض بحيث لا يسرده سرداً. وما ذاك إلا لكي يفهمه الناس ويستوعبوا منه العبارات والخطب الملقاة إليهم. لأن الاستجابة تأتي بعد الاستماع والفهم قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ. ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(١).

إلى هذا المعنى الهام أشارت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- وهي توجه الأمة عامة والدعاة إلى الله خاصة إلى هذا المفهوم العقلي في الدعوة إلى الله فقالت -رضي الله عنها-: "كان -أي النبي ﷺ- كلامه كلاماً فصلاً، يفهمه كل من سمعه"(٢).

وفي شرح هذا الحديث الشريف الذي يُعتبَر أساساً مهمّاً للدعاة إلى الله، قال صاحب فيض القدير -رحمه الله-: «(كان كلامه كلاماً فصلاً قال: أي فاصلاً بين الحق والباطل، أو مفصولاً عن الباطل أو مصوناً عنه فليس في كلامه باطل أصلاً أو مختصاً أو متميزاً في الدلالة على معناه وحاصله أنه بين المعنى،

---

(١) سورة الزمر، آية: (١٧-١٨).

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب: الهدي في الكلام، حديث رقم: (٤٨٣٩)، والحديث صححه السيوطي في الجامع الصغير (٢/١٠٠)، لكن الألباني -رحمه الله- حكم عليه بالحسن. انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته للشيخ الألباني -رحمه الله- الحديث رقم: (٤٨٢٦) (٢/٧٨٤). وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني -رحمه الله- حديث رقم: (٢٠٩٧) (١٣١/٥) ط. مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية.

لا يلتبس على أحد بل (يفهمه كل من سمعه) أي: من العرب وغيرهم لظهوره وتفاصيل حروفه وكلماته واقتداره لكمال فصاحته على إيضاح الكلام وتبيينه»[1].

وإن المتأمل في بعض الأحاديث التي روتها أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- ليجد أسلوب الحوار والمناظرة ظاهراً من خلال بعض الروايات، فتارة هي التي تحاور النبي ﷺ لكي تتبين منه بعض الحقائق والأحكام التي تهم المسلم في دينه. وهذا قد تقدم منه الكثير في المباحث الخاصة بسؤالها للنبي ﷺ في الباب الأول، وتارة تكون المحاورة من لدن السائل الذي يريد التفقه في دينه لكي يعلم علم أم المؤمنين -رضي الله عنها- الذي ورثته عن رسول الله ﷺ، فمن ذلك ما جاء (عن غضيف[2] بن الحارث قال: قلت **لعائشة**: أرأيت رسول الله ﷺ كان يغتسل من الجنابة في أول الليل أو في آخره؟ قالت: ربما اغتسل في أول الليل وربما اغتسل في آخره، قلت: الله أكبر، الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة، قلت: أرأيت رسول الله ﷺ كان يوتر أول الليل أم في آخره؟ قالت: ربما أوتر في أول الليل، وربما أوتر في آخره، قلت: الله أكبر الحمد لله الذي جعل

---

(١) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة المناوي -رحمه الله- حديث رقم: (٦٤٩٨) (٨١/٥).

(٢) هو غضيف بن الحارث بن زنيم، أبو أسماء السكوني الكندي الشامي، عداده في صغار الصحابة، وله رواية عن عمر، وأبي عبيدة وبلال وأبي ذر وطائفة، حدَّث عنه ولده عبد الرحمن وحبيب بن عبيد، وعبدالرحمن بن عائذ، ومكحول، وشرحبيل بن مسلم وآخرون، توفي في حدود سنة ثمانين من الهجرة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٥٣/٣). والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١٨٣/٣).

في الأمر سعة، قلت: أرأيت رسول الله ﷺ كان يجهر بالقرآن أم يخفت به؟ قالت: ربما جهر به وربما خفت، قلت: الله أكبر الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة"(١).

والحديث يعتبر باباً في العلم، حيث أثمرت هذه المحاورة العقلية من لدن الصحابي الجليل مع أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- الإجابة على ثلاث مسائل مهمة لا يستغني عن علمها وفقهها أي مسلم وهي:

١- وقت غسل النبي ﷺ من الجنابة في الليل.

٢- وقت وتره ﷺ من الليل.

٣- كيفية قراءته للقرآن عليه الصلاة والسلام في الليل.

وقد تناول العلماء -رحمهم الله- هذا الحديث بالبحث واستنباط الأحكام الشرعية نظراً لعمق فوائده العلمية المنبثقة من المحاورة العقلية التي دارت من خلاله وخلاصة القول في هذا المسائل ما يلي:

إن دلالة الحديث ظاهرة في المسألة الأولى في السؤال عن الوقت الذي أوقع فيه ﷺ غسل الجنابة من الليل، وليس كما يظن البعض بأن الأمر فيه دلالة على نوم الجنب بغير وضوء.

قال النووي -رحمه الله-: «ويكره للجنب أن ينام حتى يتوضأ، ودليل استحباب الوضوء وغسل الفرج حديث عمر -رضي الله عنه- "قال: قال

---

(١) سنن أبي داود، حديث رقم: (٢٢٦) (٥٨/١)، كتاب الطهارة، باب: في الجنب يؤخر الغسل، والحديث صححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود للشيخ الألباني -رحمه الله-، حديث رقم: (٢٢٦) (٦٩/١).

يا رسول الله أيرقد أحدنا وهو جنب؟ فقال: نعم، إذا توضأ"[1]، وحديث ابن عمر قال: "ذكر عمر لرسول الله ﷺ أنه تصيبه الجنابة من الليل، فقال له رسول الله ﷺ: توضأ واغسل ذكرك ثم نم"[2]، وعن **عائشة** -رضي الله عنها-: "كان النبي ﷺ إذا أراد أن ينام وهو جنب غسل فرجه وتوضأ للصلاة"[3].

وأما حديث الأسود[4] عن **عائشة** -رضي الله عنها-: "أن النبي ﷺ كان ينام وهو جنب ولا يمس ماءً"[5]، فهذا الحديث تكلم فيه العلماء من السلف والخلف فمنهم من صححه ومنهم من ضعفه، وقد رواه أبوداود والترمذي والنسائي وغيرهم، وحجة المضعفين له بأنهم يرون أن هذا غلط من السبيعي[6] -وهو الراوي عن الأسود- فطعن الحفاظ في هذه اللفظة وتوهموها مأخوذة عن

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٨٧) (ص٧٧) كتاب الغسل، باب: نوم الجنب.

(٢) المصدر السابق، حديث رقم: (٢٩٠) (ص٧٧) كتاب الغسل، باب: الجنب يتوضأ ثم ينام.

(٣) المصدر السابق، حديث رقم: (٢٨٨) (ص٧٧) كتاب الغسل، باب: الجنب يتوضأ ثم ينام.

(٤) هو الأسود بن يزيد بن قيس النخعي، روى عن أبي بكر وعمر وعلي وابن مسعود وعائشة وغيرهم، قال أحمد: ثقة من أهل الخير، توفي بالكوفة، سنة ٧٥هـ، وقيل: ٧٤هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٣٤٢/١).

(٥) سنن أبي داود، حديث رقم: (٢٢٨) (٥٨/١) كتاب الطهارة، باب: في الجنب يؤخر الغسل.

(٦) هو أبوإسحاق السبيعي عمرو بن عبدالله بن ذي يحمد من ذرية سبيع بن صعب بن همدان، شيخ الكوفة، وعالمها ومحدثها ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان -رضي الله عنه-، روى عن: معاوية وابن عباس وغيرهم وحدث عنه محمَّد بن سيرين والزهري وغيرهم. عاش ثلاثاً وتسعين سنة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٩٢/٥) وطبقات ابن سعد (٣١٣/٦). والجرح والتعديل للرازي (٢٤٢/٦).

غير الأسود وأن السبيعي دلّس. وقد صحح البيهقي هذه الرواية بقوله في السبيعي بأنه ثقة، والمدلس إذا بين سماعه ممن روى عنه وكان ثقة فلا وجه لرده»[١].

وممن صحح هذا الحديث من المُحْدثين الشيخ الألباني -رحمه الله-[٢].

وعلى هذا يكون الجمع بين هذه الأحاديث في حالة ثبوت صحة الحديث هو ما قاله النووي -رحمه الله-: «قالت طائفة من أهل الحديث والأصول: إن المدلس لا يحتج بروايته: وإن بَيَّنَ السماع، والصحيح الذي عليه الجمهور: أنه إذا بين السماع احتج به، فعلى الأول لا يكون الحديث صحيحاً ولا يحتاج إلى جواب، وعلى الثاني جوابه من وجهين:

أحدهما: ما رواه البيهقي عن ابن سريج -رحمه الله- واستحسنه البيهقي أن معناه: لا يمس ماءً للغسل، لنجمع بينه وبين حديثها الآخر، وحديث عمر الثابتين في الصحيحين.

والثاني: أن المراد أنه كان يترك الوضوء في بعض الأحوال ليبين الجواز، إذ لو واظب عليه لاعتقدوا وجوبه، وهذا عندي حسن أو أحسن»[٣].

ولعل هذا هو الرأي الصحيح الذي تطمئن له النفس ويجمع به بين الأحاديث وهو الذي أشار إليه صاحب عون المعبود -رحمه الله- حيث وصل

---

(١) انظر: المجموع شرح المهذب للإمام النووي (٢/١٧٦) بتصرف، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.
وانظر: المغني لابن قدامة -رحمه الله- (١/٢٢٨)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(٢) انظر: صحيح أبي داود للشيخ محمَّد ناصر الدين الألباني -رحمه الله- حديث رقم: (٢٢٨) (١/٦٩).

(٣) انظر: المجموع شرح المهذب للإمام النووي -رحمه الله- (٢/١٧٨).

إلى مغزى الحديث بقوله: «فيه دليل واضح على أن الجنب لا يجب عليه أن يغتسل ليلاً على الفور، بل له أن ينام ويغتسل من آخر الليل»[1].

والمراد: إذا توضأ جمعاً لأحاديث الصحيحين وغيرهما الدالة على ذلك.

وأما سؤال السائل عن وتره ﷺ فقد كان لتحديد متى كان الوقت الذي يوقع فيه ﷺ وتره. وكان جواب أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- شاملاً جامعاً للخير كله حيث ذكرت جميع أحواله ﷺ من تقديم الوتر أحياناً وتأخيره أخرى. ولكن العلماء -رحمهم الله- تناولوا جوانب عدة في شرح الحديث ومنها هل الأفضلية في تقديم الوتر أول الليل أو تأخيره؟

وفي هذا يقول العلامة ابن دقيق العيد -رحمه الله- في شرحه للحديث: «ولا شك أنا إذا نظرنا إلى آخر الليل من حيث هو كذلك كانت الصلاة فيه أفضل من أوله، لكن إذا عارض ذلك احتمال تفويت الأصل قدمناه على فوات الفضيلة»[2].

عقب النووي -رحمه الله على من احتج بحديث أبي هريرة -رضي الله عنه- في الصحيح الذي فيه: "أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت: صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، وألا أنام إلا على وتر"[3].

وحديث جابر -رضي الله عنه- في الصحيح ونصه: "قوله ﷺ: من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله، ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل، فإن

(١) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة محمّد شمس الحق الأبادي (١/٣٧٦).

(٢) انظر: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام للعلامة ابن دقيق العيد (٣/٥٩).

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم: (١١٧٨) (ص٢٤٨) كتاب التهجد، باب: صلاة الضحى.

صلاته آخر الليل مشهودة وذلك أفضل"[1]. قال النووي -رحمه الله-: «الحديثان محمولان على من لا يثق بالقيام آخر الليل، وهذا التأويل متعين ليجمع بينه وبين حديث جابر -رضي الله عنه- وغيره من الأحاديث السابقة من قوله ﷺ وفعله، والله أعلم»[2].

وأما عن قراءته ﷺ للقرآن فالحديث واضح في التخيير بين الجهر والمخافتة في نوافل الليل والأمر فيه سعة. فقد ورد عن أبي قتادة -رضي الله عنه-: (أن النبي ﷺ خرج ليلة فإذا هو بأبي بكر -رضي الله عنه- يصلي يخفض من صوته ومَرَّ بعمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وهو يصلي رافعاً صوته، فلما اجتمعا عند رسول الله ﷺ قال النبي ﷺ: مررت بك يا أبابكر وأنت تصلي تخفض من صوتك، قال: قد أسمعت من ناجيت يا رسول الله، وقال لعمر: مررت بك وأنت تصلي رافعاً صوتك، فقال: يا رسول الله! أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان، فقال النبي ﷺ: يا أبا بكر ارفع صوتك شيئاً، وقال لعمر: اخفض من صوتك شيئاً)[3].

قال صاحب عون المعبود -رحمه الله-: «فيه -أي حديث **عائشة** -رضي الله عنها- دليل على أن المرء مخيَّر في صلاة الليل يجهر بالقراءة أو يسر»[4].

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٧٥٥) (ص١٦٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها. باب: من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله.

(٢) انظر: المجموع شرح المهذب للإمام النووي -رحمه الله- (٢٠/٤).

(٣) سنن أبي داود، الحديث رقم: (١٣٢٩) (٣٧/٢)، والحديث صححه الألباني -رحمه الله-، انظر: صحيح سنن أبي داود (٣٦٣/١)، ط. مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمَّد أبادي (٣٧٧/١) بتصرف.

ومن المحاورات العقلية النافعة للأمة والتي أفادت فيها أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- وأجادت ما جاء في الصحيح (عن عبدالرحمن[1] بن عابس عن أبيه[2] قال: قلت **لعائشة** -رضي الله عنها- أنهى النبي ﷺ أن تؤكل لحوم الأضاحي فوق ثلاث؟ قالت: ما فعله إلا في عامٍ جاعَ الناس فيه، فأراد أن يُطعم الغني الفقير، وإن كنا لنرفع الكراع فنأكله بعد خمس عشرة. قيل: ما اضطركم إليه؟ فضحكت، قالت: ما شبع آل محمَّد ﷺ من خبز برٍ مأدوم ثلاثة أيام حتى لحق با لله)[3].

والحديث تستخلص منه فوائد وأحكام جمة، تناولها العلماء بالتفصيل في شرحهم للحديث، والمقصود هنا الأحكام والفوائد التي نتجت من هذا الأسلوب الحواري العقلي الهادف والذي استفادت منه الأمة عدة أحكام تشريعية تهم كل مسلم، وهذا الحديث أورده مسلم -رحمه الله- في صحيحه بروايات أخرى متعددة في كتاب الأضاحي، كما أورده -رحمه الله- السبب

---

(١) هو عبد الرحمن بن عابس بن ربيعة النخعي الكوفي، روى عن أبيه وعمه ومخرمة وابن عباس وغيرهم، قال عنه ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي: ثقة، مات سنة تسع عشرة ومائة. انظر: تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٦/٢٠١).

(٢) هو عابس بن ربيعة النخعي الكوفي روى عن عمر وعلي وحذيفة **وعائشة**، روى عنه أولاده عبد الرحمن وإبراهيم وأسماء، وأبوإسحاق السبيعي، قال النسائي: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر: المصدر السابق (٥/٣٧).

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم: (٥٤٢٣) (ص١١٨٨) كتاب الأطعمة، باب: ما كان السلف يدخرون في بيوتهم وأسفارهم من الطعام واللحم وغيره.

الذي من أجله ورد النهي الوارد في حديث **عائشة** -رضي الله عنها- السابق. فقد روى -رحمه الله- بسنده إلى عبد الله[1] ابن واقد قال: نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الضحايا بعد ثلاث. قال عبدالله[2] ابن أبي بكر: فذكرت ذلك لعمرة[3] فقالت: صدق. سمعت **عائشة** -رضي الله عنها- تقول: دَفَّ[4] أهل أبيات من أهل البادية حَضْرَةَ الأضحى، زمن رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: (ادخروا ثلاثاً، ثم تصدقوا بما بقي)، فلما كان بعد ذلك قالوا: يا رسول الله! إن الناس يتخذون الأسقية من ضحاياهم، ويجملون[5] منها الوَدَك[6]. فقال رسول الله ﷺ: وماذاك؟ قالوا: نهيت أن تؤكل لحوم الضحايا

---

(١) هو عبدالله بن واقد بن عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوي المدني، روى عن جده وعمه عبدالله بن عبدالله بن عمر و**عائشة** وأرسل عن النبي ﷺ، روى عنه عمر بن محمَّد بن زيد بن عبد الله بن عمر، وعبدالله بن أبي بكر بن محمَّد بن عمرو بن حزم وغيرهم، ذكره ابن حبان في الثقات، مات سنة تسع عشرة ومائة. انظر: تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر (٦/٦٥).

(٢) هو عبدالله بن أبي بكر بن محمَّد بن عمرو بن حزم الأنصاري: روى عن أبيه وعن خالة أبيه عمرة بنت عبد الرحمن، مات سنة ١٣٥هـ، انظر: المصدر السابق (٥/١٦٤).

(٣) هي عمرة بنت عبدالرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية النجارية المدنية الفقيهة، تربية **عائشة** وتلميذتها، توفيت سنة ٩٨هـ، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٥٠٨).

(٤) الدافة: قوم من الأعراب يَرِدُون المصر، يريد أنهم قوم قدموا المدينة عند الأضحى، انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/١٢٤).

(٥) من جملت الشحم وأجملته: إذا أذبته واستخرجت دهنه. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٢٩٨).

(٦) "الودك": هو دسم اللحم ودهنه الذي يستخرج منه. انظر: المصدر السابق (٥/١٦٩).

بعد ثلاث، فقال: إنما نهيتكم من أجل الدَّافَّة التي دَفَّت، فكلوا وادَّخروا وتصدَّقوا)[1].

قال القاضي عياض -رحمه الله-: «اختلف في الأخذ بهذه الأحاديث، فذهب قوم إلى تحريم إمساكها والأكل منها بعد ثلاث...، وأن حكم المنع باقٍ، وذهب آخرون إلى إباحة ذلك ونسخ النهي جملة، وهو قول الكافة والجمهور، وظاهر الأحاديث، وهذا من نسخ السنة بالسنة»[2].

وهذا هو الذي أكَّده النووي -رحمه الله- بقوله: «يجوز أن يدخر من لحم الأضحية، وكان ادخارها فوق ثلاثة أيام منهياً عنه، ثم أذن رسول الله ﷺ فيه، وذلك ثابت في الأحاديث الصحيحة المشهورة»[3].

وأما قول أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها-: "وإن كنا لنرفع الكراع فنأكله بعد خمس عشرة" قال فيه الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «فيه بيان جواز ادخار اللحم وأكل القديد، وثبت أن سبب ذلك قلة اللحم عندهم بحيث إنهم لم يكونوا يشبعون من خبز البر ثلاثة أيام متوالية»[4].

وفي حديث آخر لأم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- تظهر فوائد وآثار محاورتها العقلية لرسول الله ﷺ وهي تضع له المبررات المناسبة لكي يستبدل

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (١٩٧١) (ص٨١٧) كتاب الأضاحي، باب: بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث في أول الإسلام، وبيان نسخه وإباحته إلى متى شاء.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٤٢٤/٦) بتصرف.

(٣) المجموع شرح المهذب للإمام النووي (٣١٠/٨).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر (٥٥٣/٩) ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

لباسه ﷺ بثوبين آخرين، وعللّت ذلك بما يلحقه ﷺ من المشقة في ثقل الثوبين القديمين إذا عرق فيهما، فقد روى الترمذي -رحمه الله- في جامعه عن **عائشة** -رضي الله عنها- "قالت: كان على رسول الله ﷺ ثوبان قِطْرِيّان[1] غليظان، فكان إذا قعد فعَرِق، ثقلاً عليه، فقدم بَزٌّ من الشام لفلانٍ اليهودي، فقلت: لو بعثت إليه فاشتريت منه ثوبين إلى الميسرة، فأرسل إليه، فقال: قد عَلِمْت ما يريد، إنما يريد أن يَذْهَبَ بمالي، أو بدراهمي، فقال رسول الله ﷺ: "كذب، قد عَلِمَ أني من أتقاهم لله وآداهُمْ للأمانة"[2].

وهذا الحديث استفادت الأمة منه آداباً وأحكاماً تشريعية لم تكن لتعلمها بدون هذه المحاورة، ويكفي في ذلك أن أهل الحديث بوّبوا له باباً خاصّاً في كتاب البيوع باسم: باب ما جاء في الرخصة في الشراء إلى أجل.

وأما البخاري -رحمه الله- فقد بوّب باباً سماه: باب شراء النبي ﷺ بالنسيئة[3].

---

(١) (ثوبان قطريان): هي ضرب من البُرود فيه حُمرة، ولها أعلام فيها بعض الخشونة. وقيل: هي حلل جياد تُحمل من قبل البحرين، وقيل: في أعراض البحرين قرية يقال لها قَطَر، وأحسب الثياب القطرية نسبت إليها، فكسروا القاف للنسبة، وخففّوا. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٤/٨٠).

(٢) سنن الترمذي، حديث رقم: (١٢١٣) (٣/٥١٨) كتاب البيوع، باب: ما جاء في الرخصة في الشراء إلى أجل، قال الترمذي: حديث حسن غريب صحيح، وصححه الألباني كما في (ص٢١٦) طبعة بيت الأفكار الدولية.

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٠٦٨) (ص٤٣٠) كتاب البيوع، باب: شراء النبي ﷺ بالنسيئة.

أورد الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في الفتح قول ابن بطال ونصه: «الشراء بالنسيئة جائز بالإجماع»، قال ابن حجر -رحمه الله: «لعلَّ المصنف تخيَّل أن أحداً يتخيَّل أنه ﷺ لا يشتري بالنسيئة لأنها دين فأراد دفع ذلك التخيل»[1].

ومن فوائد الحديث، جواز الأخذ بمشورة النساء في الأمور الخاصة والعامة، ومنها حرص أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- على راحته ﷺ، ومنها بيان ما انطوت عليه نفوس اليهود من الحقد والحسد على الإسلام، وعلى رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام، ويؤخذ من الحديث جواز الانتصار للنفس إذا ظُلم العبد واتُّهمَ بما ليس فيه.

ومن المحاورات العقلية لأم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- لرسول الله ﷺ ونفع الله بها الأمة واستفاد منها المسلمون علماً وأحكاماً في دينهم، ما جاء عن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- "قالت: قلنا: يا رسول الله، ألا نبني لك بيتاً يظلك بمنى؟ قال: لا، منى مناخ[2] من سبق"[3].

هذا الحديث آية من آيات النبوة، فمن كان يعلم بتزايد عدد المسلمين

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٣٠٢/٤).

(٢) (مناخ): بضم الميم موضع الإناخة، انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود للإمام أبي الطيب الأبادي (٥٠١/٥).

(٣) سنن الترمذي، حديث رقم: (٨٨١) (٢٢٨/٣) كتاب الحج، باب: ما جاء أن منى مناخ من سبق، قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وضعفه الألباني كما في (ص١٦٢) طبعة بيت الأفكار الدولية، وانظر: سنن أبي داود، حديث رقم: (٢٠١٩) (٢١٢/٢) كتاب المناسك، باب: تحريم حرم مكة.

وكثرتهم ورغبتهم في الحج إلا الله. ولو لم يكن هذا الحديث النبوي وعَلِمَه المسلمون وعملوا به من ذلك التاريخ فكيف يمكن أن يتصور الحال في منى الآن.

قال صاحب عون المعبود -رحمه الله-: «والمعنى أن الاختصاص فيه بالسبق لا بالبناء»[1].

وفي بيان العلة من ذلك قال صاحب التحفة -رحمه الله-: «أي لا تبنوا لي بناءً بمنى، لأنه ليس مختصاً بأحد، إنما هو موضع العبادة من الرمي وذبح الهدي والحلق ونحوها، فلو أُجيزَ البناء فيه لكثرت الأبنية وتَضَيَّق المكان، وهذا مثل الشوارع ومقاعد الأسواق»[2].

ويستخلص من هذا الحديث شفقة أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- على رسول الله ﷺ وحرصها على راحته. وفي الوقت نفسه شفقته هو ﷺ على أمته بترك منى مناخاً مفتوحاً لمن سبق. فلا يضيق على الحجاج بتملك المتملكين. ويؤخذ من الحديث كذلك حثُّه ﷺ لأمته على المسارعة في الخير والسبق إليه بجعله منى مكاناً مفتوحاً لمن سبق.

ومن المحاورات العقلية من أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- لرسول الله ﷺ، والتي أثمرت للأمة علماً نافعاً وكانت مدار البحث والمدارسة من لدن علماء الأمة، ما رواه مسلم -رحمه الله- في صحيحه عن **عائشة** - رضي الله عنها- أنها قالت: (لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ فيها عندي،

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود للإمام أبي الطيب الأبادي (٥٠١/٥).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للإمام محمَّد المباركفوري (٦٢١/٣).

انقلب فوضع رداءه، وخلع نعليه، فوضعهما عند رجليه، وبسط طرف إزاره على فراشه، فاضطجع، فلم يلبث إلا ريثما ظنَّ أن قد رقدت، فأخذ رداءه رويداً، وانتعل رويداً، وفتح الباب فخرج، ثم أجافه[1] رويداً. فأطال القيام ثم رفع يديه، ثلاث مرات ثم انحرف فانحرفت، فأسرع فأسرعت، فهرول فهرولت، فأحضر[2] فأحضرت، فسبقته فدخلت، فليس إلا أن اضطجعت فدخل، فقال: ما لك يا عائشة؟ حشيا رابية![3]. قالت: قلت: لا شيء. قال: لتخبريني أو ليخبرنّي اللطيف الخبير. قالت: قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، فأخبرته، قال: فأنت السواد[4] الذي رأيت أمامي؟ قلت: نعم، فلهدني[5] في صدري لهدةً أوجعتني، ثم قال: أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله؟ قالت: مهما يكتم الناس يعلمه الله، نعم، قال: فإن جبريل أتاني حين رأيت، فناداني، فأخفاه منك، فأجبته فأخفيته منك، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك، وظننتُ أن قد رقدت، فكرهت أن أوقظك، وخشيت أن تستوحشي، فقال:

---

(١) (ثم أجافه) بالجيم، أي أغلقه، وإنما فعل ذلك ﷺ في خفية لئلا يوقظها ويخرج عنها فربما لحقها وحشة في انفرادها في ظلمة الليل. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٧/٤٣).

(٢) (فأحضر فأحضرت) الإحضار هو العدو، انظر: المصدر السابق (٧/٤٣).

(٣) (حشيا رابية) حشيا بفتح الحاء المهملة وإسكان الشين المعجمة معناه: وقع عليك الحشا وهو الربو والتهيج الذي يعرض للمسرع في مشيه والمحتد في كلامه من ارتفاع النفس وتواتره، وقوله: (رابية) أي مرتفعة البطن. انظر: المصدر السابق (٧/٤٣).

(٤) (فأنت السواد) السواد هو الشخص. انظر: المصدر السابق (٧/٤٤).

(٥) (فلهدني) هو بفتح الهاء والدال المهملة، ورُوِيَ فلهزني بالزاي وهما متقاربان، يقال: لهده بتخفيف الهاء وتشديدها أي: دفعه. انظر: المصدر السابق (٧/٤٤).

إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم، قالت: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟، قال: قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون»[1].

قال القاضي عياض -رحمه الله-: «وفي تعليمه لعائشة ما تدعو به لأهل القبور، وتعليمه ذلك للناس ما يجب امتثاله واختياره من الدعاء المنصوص لهم، وفيه أن الدعاء للموتى كهو للأحياء من تقديم الدعاء على المدعو له كما قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾[2]، خلاف سيرة الجاهلية والعامة، وفيه تسمية المقابر دوراً»[3].

ومن ثمرات المحاورة العقلية التي تمت في هذا الحديث ما ناقشه العلماء في مسألة زيارة القبور لكلٍّ من الرجال والنساء.

قال النووي -رحمه الله-: «يستحبّ للرجال زيارة القبور، وهو قول العلماء كافّة، وأما النساء فلا تجوز لهن الزيارة، وهو ظاهر حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- ونصه: "أنه ﷺ قال: لعن الله زوّارات القبور"[4]. ولكنه

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٩٧٤) (ص٣٧٣) كتاب الجنائز، باب: ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها.

(٢) سورة الصافات، آية: (١٣٠).

(٣) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٣/٤٤٩-٤٥٠).

(٤) سنن الترمذي، حديث رقم: (١٠٥٦) (٣/٣٧١) كتاب الجنائز، باب: ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء، قال أبوعيسى: هذا حديث حسن صحيح، وحسنه الألباني كما في (ص١٨٨) طبعة بيت الأفكار الدولية.

-أي هذا القول- شاذٌ في المذهب، والذي قطع به الجمهور: أنها مكروهة لهن كراهة تنزيه...، ومما يدل على أن زيارتهن لست حراماً حديثُ أنس -رضي الله عنه-: "أن النبي ﷺ مَرَّ بامرأة تبكي عند قبر فقال: اتقي الله واصبري"[1]، وموضع الدلالة أنه ﷺ لم ينهها عن الزيارة»[2].

وزيادة في توضيح هذه المسألة أورد العلامة ابن قدامة -رحمه الله- روايتين عن الإمام أحمد في هذه المسألة، فقال -رحمه الله-: «اختلفت الرواية عن أحمد في زيارة النساء القبور، فروي عنه كراهتها، "لما روت أم عطية قالت: نهينا عن زيارة القبور و لم يعزم علينا"[3] رواه مسلم، ولأن النبي ﷺ قال: "لعن الله زوَّارات القبور"[4]، قال الترمذي: هذا حديث صحيح، وهذا خاص في النساء، والنهي المنسوخ كان عاماً للرجال والنساء ويحتمل أنه كان خاصاً للرجال، ويحتمل أيضاً كون الخبر لعن زوارات القبور بعد أمر الرجال بزيارتها، فقد دار بين الحظر والإباحة فأقل أحواله الكراهة، ولأن المرأة قليلة الصبر كثيرة الجزع،

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (١٢٨٢) (ص٢٦٩) كتاب الجنائز، باب: حد المرأة على غير زوجها.

(٢) انظر: المجموع شرح المهذب للإمام النووي -رحمه الله- (٥/٢٧٧-٢٧٨) بتصرف.

(٣) الحديث بهذه الرواية ليس في الصحيحين، والذي ورد في الصحيحين هو عن أم عطية -رضي الله عنها- قالت: "نهينا عن اتباع الجنائز و لم يعزم علينا" صحيح البخاري، حديث رقم: (٣١٣) وأطرافه في الأحاديث رقم: (١٢٧٨، ١٢٧٩، ٥٣٤٠، ٥٣٤١، ٥٣٤٢، ٥٣٤٣). وفي صحيح مسلم الأحاديث رقم: (٩٣٨، ١٤٩٠).

(٤) تقدم تخريجه في الحاشية رقم (٤) الصفحة السابقة.

وفي زيارتها للقبر تهييج لحزنها وتجديد مصابها، ولا يؤمن أن يفضي بها ذلك إلى فعل ما لا يجوز بخلاف الرجل، ولهذا اختصصْنَ بالنوح والتعديد[1] وخصّصْنَ بالنهي عن الحلق والصلق[2] ونحوهما. والرواية الثانية: لا يكره لعموم قوله عليه السلام: "كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها"[3] وهذا يدلُّ على سبق النهي ونسخه فيدخل في عمومه الرجال والنساء»[4].

ولعلَّ في توضيح هذه المحاذير التي ذكرها العلماء في زيارة المرأة للمقابر كان الحكم عند من رأى كراهة الزيارة، أما عند انتفاء هذه المحاذير تنتفي الكراهة، والأحوط لهنَّ ترك ذلك خروجاً من الخلاف، والله أعلم.

وفي استخدام أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- للمنهج العقلي في الدعوة ما بهر العلماء والفقهاء، فقد روي عنها من الاستنباطات الفقهية والأقيسة العقلية في هذا المجال ما يؤكد قدرتها -رضي الله عنها- في هذا الباب، فدعت -رضي الله عنها- إلى الله عز وجل بأعظم وأمضى سلاح وهو العلم الشرعي، فها هي -رضي الله عنها- تُسأل من أبي سلمة بن عبد الرحمن، قال: "دخلت على **عائشة** فقلت: يا أماه إن جابر بن عبدالله يقول: الماء من الماء،

(١) عددت النائحة: ذكرت مناقب الميت. المعجم الوسيط مادة (عَدَّدَ) (٢/٥٨٧) مرجع سابق.

(٢) الصلق: الصوت الشديد عند المصيبة ونحوها ويدخل فيه النوح. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣/٤٨).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب: استئذان النبي ﷺ ربّه عز وجل في زيارة قبر أمه، حديث رقم: (٩٧٧) (ص٣٧٧).

(٤) المغني لابن قدامة -رحمه الله- (٢/٤٣٠-٤٣١) بتصرف.

فقالت: أخطأ، جابر أعلم مني برسول الله؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل، أيوجب الرجم ولا يوجب الغسل؟"[١].

وهذا الحديث من ميادين البحث العلمي الفسيحة التي ناقشها العلماء من الصدر الأول من علماء الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم- والتابعون ومن بعدهم من علماء الأمة، فقد رواه مسلم -رحمه الله- في صحيحه من رواية أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-[٢].

والجمهور على أنه منسوخ، والعمل على وجوب الغسل إذا جامع الرجل ولم ينزل، حيث أورد مسلم -رحمه الله- بعد روايته لهذا الحديث القول: (بأنه كان رسول الله ﷺ ينسخ حديثه بعضه بعضاً، كما ينسخ القرآن بعضه بعضاً)[٣].

وفي صحيح مسلم بعد هذا الحديث باب: نسخ الماء من الماء، ووجوب الغسل بالتقاء الختانين[٤]. وأورد حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: "إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل"[٥]، وفي رواية: (وإن لم ينزل)[٦].

قال العلامة ابن دقيق العيد -رحمه الله- في شرحه لحديث أبي هريرة

---

(١) انظر: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة للإمام بدر الدين الزركشي (ص١٢٨).

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (٣٤٣) (ص١٥٤) كتاب الحيض، باب: إنما الماء بالماء.

(٣) المصدر السابق (ص١٥٤).

(٤) المصدر السابق (ص١٥٥).

(٥) المصدر السابق حديث رقم: (٣٤٨) (ص١٥٥) كتاب الحيض، باب: نسخ الماء من الماء، ووجوب الغسل بالتقاء الختانين.

(٦) المصدر السابق، حديث رقم: (٣٤٨) (ص١٥٥).

-رضي الله عنه-: «والحكم -عند جمهور الأمة- على مقتضى الحديث، وفي وجوب الغسل بالتقاء الختانين من غير إنزال، وخالف في ذلك داود وبعض أصحابه الظاهرية، وخالفه بعض الظاهرية ووافق الجماعة. ومستند الظاهرية قوله ﷺ: "إنما الماء من الماء" وقد جاء في الحديث: "إنما كان الماء من الماء رخصة في أول الإسلام، ثم نسخ" ذكره الترمذي[1]»[2].

قال البخاري -رحمه الله- بعد روايته لحديث أبي بن كعب -رضي الله عنه- ونصه: (أنه قال: يا رسول الله إذا جامع الرجل المرأة فلم ينزل؟ قال: يغسل ما مس المرأة منه ثم يتوضأ ويصلي"[3]. قال أبوعبد الله -هو الإمام البخاري- الغسل أحوط، وذاك الآخر. وإنما بيَّنا لاختلافهم)[4].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «ذهب الجمهور إلى أن ما دلَّ عليه من حديث الباب من الاكتفاء بالوضوء إذا لم ينزل المجامع منسوخ بما دل عليه حديث أبي هريرة وعائشة المذكوران في الباب قبله، والدليل على النسخ ما رواه أحمد وغيره من طريق الزهري عن سهل بن سعد قال: حدثني أبي بن كعب أن الفتيا التي كانوا يقولون: "الماء من الماء" رخصة كان رسول الله ﷺ

---

(١) سنن الترمذي (١/١٨٥) حديث رقم: (١١٠)، أبواب الطهارة، قال أبوعيسى: هذا حديث حسن صحيح. ثم قال: "والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم: على أنه إذا جامع الرجل امرأته في الفرج وجب عليهما الغسل، وإن لم ينزلا". والحديث صححه الألباني كما في (ص١١٢) طبعة بيت الأفكار الدولية.

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام للعلامة ابن دقيق العيد (١/٤١٤، ٤١٥).

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٩٣) (ص٧٨) كتاب الوضوء، باب: غسل ما يصيب من فرج المرأة.

(٤) المصدر السابق (ص٧٨).

رخص بها في أول الإسلام ثم أمر بالاغتسال بعد، فعُرف بهذا أن الخلاف كان مشهوراً بين التابعين ومن بعدهم، لكن الجمهور على إيجاب الغسل وهو الصواب»[(١)].

وهكذا يظهر فقه أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- واستنباطها العقلي الجميل في قولها: "أيوجب الرجم ولا يوجب الغسل" فرضي الله عنها وعن أمهات المؤمنين.

ويتجلى استخدام المنهج العقلي في الدعوة عند أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في خطبها ومواعظها، من ذلك على سبيل المثال، عندما بلغها أن أقواماً ينالون من أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- فأرسلت إلى أزفلة[(٢)] منهم، فلما حضروا سدلت أستارها، ثم دنت فحمدت الله تعالى وصلَّت على نبيه محمَّد ﷺ وعذلت[(٣)] وقَرَّعت[(٤)]، ثم قالت: "أبي وما أبيه؟ أبي والله لا تعطوه[(٥)] الأيدي، ذاك طود منيف وفرع مديد، هيهات، كذبت الظنون..."[(٦)].

فاستخدمت -رضي الله عنها- من الأساليب البيانية والحجج العقلية وضرب الأمثال ما بهر العقول، وألجم الأفواه، وأظهر الحق وأزهق الباطل وأخمد نار الفتنة من الوقيعة في الصديق خليفة رسول الله ﷺ، فرضي الله عن أم المؤمنين وأعظم لها الأجر والمثوبة.

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٣٩٧/١-٣٩٩) بتصرف.

(٢) الأزفلة: هي الجماعة، معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة "زفل" (١٥/٣).

(٣) العذل: هو اللوم: أي لامتهم على سوء صنيعهم. انظر: المصباح المنير للفيومي مادة (عذل) (٤٨/٢).

(٤) قرَّع: بتشديد الراء: أوجع باللوم والعتاب، انظر: المعجم الوسيط مادة "قرع" (٧٢٨/٢).

(٥) لا تعطوه: لا تناوله. معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (عطو) (٣٥٣/٤).

(٦) انظر الخطبة بكمالها في كتاب صفة الصفوة لابن الجوزي (٣٥١/١).

٢- أثر المنهج العقلي في التربية عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

«لقد قرَّر المختصون في الدعوة والتربية نوعاً من التربية سمَّوه التربية بالعقوبة، وهذا النوع يأتي حين لا تفلح الموعظة ولا القدوة.

وليست العقوبة أول خاطر يخطر على قلب المربي ولا أقرب سبيل. فالموعظة هي المقدمة، والدعوة إلى الخير، والصبر الطويل على انحراف النفوس لعلها تستجيب. والقرآن مليء باللمسات الدقيقة اللطيفة الموحية المؤثرة التي تهز الوجدان وتؤثر فيه بكل وسائل التأثير. ولكن الواقع المشهود أن هناك أناساً لا يصلح معهم ذلك كله، أو يزدادون انحرافاً كلما زيد لهم في الوعظ والإرشاد.

من هنا كان لابدَّ من شيء من الحزم في تربية الأطفال وتربية الكبار لصالحهم هم أنفسهم قبل صالح الآخرين.

ومن الحزم استخدام العقوبة أو التهديد أو الهجر في بعض الأحيان، فالإسلام يتبع جميع وسائل التربية فلايترك منفذاً في النفس لا يصل إليه»[(١)].

وهذه **أم المؤمنين عائشة** -رضي الله عنها- تورد مثل هذا النوع من التربية، فمما أفادت به -رضي الله عنها- روايتها لكثير من الأحاديث النبوية التي تعتبر أساساً ونبراساً للسالكين في هذا السبيل. فقد روت عن رسول الله

---

(١) انظر: منهج التربية الإسلامية لمحمَّد قطب (١/١٩٠-١٩١)، ط. الرابعة عشرة (١٤١٤هـ-١٩٩٣م) ط. دار الشروق، القاهرة - مصر.

ﷺ أنه "كان أبغض الخُلُق إليه الكذب"(١).

وفي رواية أخرى: "ما كان خلُق أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب، ولقد كان الرجل يُحَدِّث عند النبي ﷺ بالكذبة فما يزال في نفسه حتى يعلم أنه قد أحدث منها توبة"(٢) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

وليت شعري لو تمت تربية الأمة على فضائل هذا الحديث كم كانت ستجني من الخير والبركة في صلاح الأفراد والمجتمعات، وفي توضيح معنى الحديث يقول العلامة المناوي -رحمه الله-: «"كان أبغض الخلق" أي أبغض أعمال الخلق (إليه الكذب) لكثرة ضرره وجموم ما يترتب عليه من المفاسد والفتن وكان لا يقول في الرضى والغضب إلا الحق...، ولهذا كان يزجر أصحابه وأهل بيته عنه، ويهجر على الكلمة من الكذب المدة الطويلة، وذلك لأنه قد يُبنى عليه أمور ربما أضرت ببعض الناس»(٣).

ولقد كان الصحابة -رضوان الله عليهم- يربون أبناءهم على الأدب ومكارم الأخلاق ومنها الصدق في القول والعمل وتجنب الكذب وأسبابه،

---

(١) الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للإمام جلال الدين السيوطي (٢/١٠٠)، وحكم عليه السيوطي بأنه حديث (حسن). وصححه الشيخ الألباني -رحمه الله-. انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته للشيخ محمَّد ناصر الدين الألباني، حديث رقم: (٤٦١٨) (٢/٨٤٧).

(٢) سنن الترمذي -رحمه الله-، حديث رقم: (١٩٧٣) (٤/٣٤٨) كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في الصدق والكذب، وصححه الألباني كما في (ص٣٣٠) طبعة بيت الأفكار الدولية.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة عبدالرؤوف المناوي (٥/٨١).

فقد أورد البغوي -رحمه الله- بعد ذكره للحديث السابق قول عبدالله بن عمرو وأبي هريرة -رضي الله عنهم- في التأكيد على فضائل الحديث فقال -رحمه الله-: (قال عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما- أربع خلالٍ إذا أعطيتهن، فلا يضرك ما عزل عنك من الدنيا: حسن خليقة، وعفاف طعمة، وصدق حديث، وحفظ أمانة. وقال أبوهريرة -رضي الله عنه-: من قال لصبي: تعال هاك تمراً، ثم لم يعطه شيئاً فهي كذبة)(١).

وفي حديث آخر ترويه لنا أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- ملؤه الدروس التربوية للأمة المحمدية، تمثل ذلك في بيان كيفية التعامل مع أهل الكتاب، وأخذ الحيطة والحذر من مكرهم ومعرفة الأسلوب الأمثل في الرد عليهم. كل ذلك ضمن إطار الأدب والوقار، وتجنب الفحش في القول، فقد روى البخاري في صحيحه (عن **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليك، فَفَهِمْتُها، فقلت: عليكم السام واللعنة، فقال رسول الله ﷺ: مهلاً يا **عائشة**، فإن الله يحب الرفق في الأمر كله فقلت: يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: فقد قلت: وعليكم)(٢).

---

(١) شرح السنة للإمام الحسين بن مسعود البغوي (١٣/١٥٥) تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٦٢٥٦) (ص١٣٣٦) كتاب الاستئذان، باب: كيف الرد على أهل الذمة.

وفي توضيح موقف أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في ردها على أهل الكتاب، قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «يحتمل أن تكون **عائشة** -رضي الله عنها- فهمت كلامهم بفطنتها فأنكرت عليهم وظنّت أن النبي ﷺ ظنّ أنهم تلفظوا بلفظ السلام، فبالغت في الإنكار عليهم...، والذي يظهر أن النبي ﷺ أراد أن لا يتعود لسانها بالفحش، أو أنكر عليها الإفراط في السب»(١).

وقد رجح النووي -رحمه الله- تحريم ابتداء الكافر بالسلام فقال -رحمه الله-: «واختلف العلماء في رد السلام على الكفار وابتدائهم به فمذهبنا تحريم ابتدائهم به ووجوب ردّه عليهم بأن يقول: وعليكم أو عليكم فقط، ودليلنا في الابتداء قوله ﷺ: (لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام)(٢)، وفي الرد قوله ﷺ: (فقولوا وعليكم)(٣)، وبهذا الذي ذكرناه عن مذهبنا قال أكثر العلماء وعامة السلف، وذهبت طائفة إلى جواز ابتدائنا لهم بالسلام، روي ذلك عن ابن عباس وأبي أمامة وابن أبي محيريز وهو وجه لبعض أصحابنا...، واحتجّ هؤلاء بعموم الأحاديث وبإفشاء السلام وهي حجة باطلة لأنه عام مخصوص بحديث "لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام، وقال بعض أصحابنا يكره ابتداؤهم بالسلام ولا يحرم، وهذا مذهب ضعيف أيضاً، لأن النهي للتحريم فالصواب

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٤٣/١١) بتصرف.

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢١٦٧) (ص٨٩٤) كتاب السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام.

(٣) المصدر السابق، حديث رقم: (٢١٦٣) (ص٨٩٣) كتاب السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام.

تحريم ابتدائهم»[١].

ولعلَّ القاضي عياض قد وفق في هذه المسألة، حيث توسط في بيان الحكم الذي يعتبر مناسباً مع ما يعرض للمسلمين من أحوال وضرورات، فقال -رحمه الله-: «ذهب آخرون إلى جوازه ابتداءً للضرورة أو لحاجة تعن له إليه، أو لذمام[٢] وسبب، يروى ذلك عن علقمة والنخعي»[٣].

وقد أفاد النووي -رحمه الله- في استنباط كثير من الفوائد من هذا الحديث فمن ذلك قوله -رحمه الله-: «قوله ﷺ "يا **عائشة**" إن الله يحب الرفق في الأمر كله"، هذا من عظيم خلقه ﷺ وكمال حلمه، وفيه حثّ على الرفق والصبر والحلم وملاطفة الناس ما لم تدع حاجة إلى المخاشنة...، وأما سبها لهم ففيه الانتصار من الظالم، وفيه الانتصار لأهل الفضل ممن يؤذيهم...، وفي هذا الحديث استحباب تغافل أهل الفضل عن سفه المبطلين إذا لم يترتب عليه مفسدة، قال الشافعي -رحمه الله-: الكيس العاقل هو الفطن المتغافل»[٤].

وقد عُنيت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- كغيرها من أمهات المؤمنين بتربية المرأة المسلمة أيما عناية، وما ذاك إلا لعلمها التام بأهمية دورها

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/١٤٥) بتصرف.

(٢) الذمام: بمعنى العهد والأمان والضمان والحرمة والحق، وسمي أهل الذمة ذمة؛ لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم. لسان العرب للعلامة جمال الدين محمَّد بن منظور الإفريقي المصري، مادة (ذمم) (١٢/٢٢١).

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم للإمام القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (٧/٥٣).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/١٤٥، ١٤٧).

ومكانتها في المجتمع، وأن لها نصيباً وافراً في تربية الأجيال، بل هي السفير الأمين لإيصال بعض أسس وقواعد الدين إلى الأزواج فيما يُستحيا من ذكره في بعض الأحكام الشرعية الخاصة.

فمن الأساليب الدعوية التي أفادت بها أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في تربية الأمة رجالاً ونساءً بأسلوب عقلي ملؤه الحكمة والأدب وظاهره النصح للأزواج عن طريق زوجاتهن، ما جاء عن معاذة عن **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: "مُرْنَ أزواجكن أن يستطيبوا[1] بالماء، فإني أستحييهم، فإن رسول الله ﷺ كان يفعله".

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[2].

ودلالة الحديث ظاهرة في مشروعية الاستنجاء بالماء. وأنه يحصل به النقاء والنظافة أكثر من الحجارة، ولكن العلماء -رحمهم الله- من سلف هذه الأمة وخلفها تناولوا هذه المسألة من ناحية هل الأفضلية للماء أم للحجارة في الاستبراء من الخبث؟

وفي بيان ذلك، أورد البخاري -رحمه الله- باباً في صحيحه سماه "باب

---

(١) الاستطابة والإطابة، كناية عن الاستنجاء، سمي بها من الطيب، لأنه يطيب جسده بإزالة ما عليه من الخبث بالاستنجاء: أي يطهره. يقال منه: أطاب واستطاب. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمَّد الجزري المعروف بابن الأثير (١٤٩/٣) مادة (طيب).

(٢) سنن الترمذي، حديث رقم: (١٩) (٣٠/١) أبواب الطهارة، باب: ما جاء في الاستنجاء بالماء، وصححه الألباني كما في (ص٢٢) طبعة بيت الأفكار الدولية.

الاستنجاء بالماء". وذكر فيه حديثاً عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- يقول: (كان النبي ﷺ إذا خرج لحاجته أجيء أنا وغلام معنا إداوة من ماء. يعني يستنجي به)(١).

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في توضيح ذلك: «أراد بهذه الترجمة الردّ على من كرهه، وعلى من نفى وقوعه من النبي ﷺ. وقد روى ابن أبي شيبة بأسانيد صحيحة عن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- أنه سئل عن الاستنجاء بالماء فقال: إذاً لا يزال في يدي نتن. وعن نافع أن ابن عمر كان لا يستنجي بالماء. وعن ابن الزبير قال: ما كنا نفعله. ونقل ابن التين عن مالك أنه أنكر أن يكون النبي ﷺ استنجى بالماء، وعن ابن حبيب من المالكية أنه منع الاستنجاء بالماء لأنه مطعوم»(٢).

وهذه الأقوال التي وردت إنما تُحمل على وجه الكمال عند من قال بها لا على عدم الإجزاء، وهذا هو الذي قال به الزرقاني -رحمه الله- في شرحه لموطأ الإمام مالك -رحمه الله- عند بعض الأحاديث الواردة في الطهارة، فمن ذلك ما روي عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: "إذا توضأ أحدكم فليجعل في أنفه ماء، ثم لينثر ومن استجمر فليوتر"(٣).

قال الزرقاني -رحمه الله- عند شرحه لقوله ﷺ: "ومن استجمر فليوتر"

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (١٥٠) (ص٥١) كتاب الوضوء، باب: الاستنجاء بالماء.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٢٥١/١).

(٣) موطأ الإمام مالك بن أنس الأصبحي، حديث رقم: (٣٣) (ص١٨) كتاب الطهارة، باب: العمل في الوضوء، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ-١٩٨٤م).

قال: «واستدل به بعض من نفى وجوب الاستنجاء للإتيان فيه بحرف الشرط، ولا دلالة فيه وإنما مقتضاه التخيير بين الاستنجاء بالماء أو بالأحجار»[1].

وفي شرحه لحديث أبي هريرة -رضي الله عنه- الذي قال فيه: "جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إنا نركب في البحر ونحمل معنا القليل من الماء فإن توضأنا به عطشنا أفنتوضأ به. فقال رسول الله ﷺ: هو الطهور ماؤه، الحلّ ميتته"[2].

قال الزرقاني -رحمه الله- عند شرحه للحديث: «قوله: "إنا نركب البحر" أي الملح لأنه المتوهم فيه؛ لأنه مالح ومر، وقوله: "ونحمل معنا القليل من الماء" بقدر الاكتفاء، "أفنتوضأ به" أي بماء البحر الملح، قال ﷺ: "هو الطهور ماؤه" بفتح الطاء البالغ في الطهارة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ أي طاهراً في ذاته مطهراً لغيره، ولم يقل في جوابه نعم، مع حصول الغرض به، ليعرف الحكم بعلته وهي الطهورية المتناهية في بابها ودفعاً لتوَهُّمِ حملِ لفظةِ نعم على الجواز، ولما وقع جواباً للسائل بين أن ذلك وصف لازم له ولم يقل ماؤه الطهور لأنه أشد اهتماماً بذكر الوصف الذي اتصف به الماء المجوِّز للوضوء وهو الطهورية، فالتطهير به حلال صحيح كما عليه جمهور السلف والخلف وما نُقل عن بعضهم من عدم الإجزاء به مزيف أو مؤوَّل بأنه

---

(١) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، للإمام محمَّد الزرقاني (٤٦/١).

(٢) موطأ الإمام مالك بن أنس الأصبحي، حديث رقم: (٤٠) (ص٢٠) كتاب الطهارة، باب: الطهور للوضوء.

أراد عدم الإجزاء على وجه الكمال عنده»[1].

وزيادة في توضيح هذه المسألة قال النووي -رحمه الله- في شرحه لحديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- وغيره من الأحاديث الواردة في الطهارة، قال -رحمه الله-: «وفيها جواز الاستنجاء بالماء واستحبابه ورجحانه على الاقتصار على الحجر، وقد اختلف الناس في هذه المسألة، فالذي عليه الجمهور من السلف والخلف وأجمع عليه أهل الفتوى من أئمة الأمصار أن الأفضل أن يجمع بين الماء والحجر فيستعمل الحجر أولاً لتخف النجاسة وتقل مباشرتها بيده، ثم يستعمل الماء، فإن أراد الاقتصار على أحدهما جاز الاقتصار على أيهما شاء سواء وجد الآخر أو لم يجده، فيجوز الاقتصار على الحجر مع وجود الماء، ويجوز عكسه، فإن اقتصر على أحدهما فالماء أفضل من الحجر لأن الماء يطهر المحل طهارة حقيقية، وأما الحجر فلا يطهره، وإنما يخفف النجاسة ويبيح الصلاة مع النجاسة المعفو عنها، وبعض السلف ذهبوا إلى أن الأفضل هو الحجر وربما أوهم كلام بعضهم أن الماء لا يجزئ، وقال ابن حبيب المالكي: لا يجزئ الحجر إلا لمن عَدِمَ الماءَ، وهذا خلاف ما عليه العلماء من السلف والخلف وخلاف ظواهر السنن المتظاهرة، والله أعلم»[2].

ومما أفاد به الترمذي -رحمه الله- بعد روايته لحديث أم المؤمنين **عائشة**

---

(١) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك للإمام محمَّد الزرقاني (١/٥٢، ٥٣).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٣/١٦٣) الطبعة الثانية (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م) ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

-رضي الله عنها- قال -رحمه الله-: «وعليه العمل عند أهل العلم» ومضمونه مشروعية الاستنجاء بالماء، ثم قال -رحمه الله- «يختارون الاستنجاء بالماء، وإن كان الاستنجاء بالحجارة يجزئ عندهم، فإنهم استحبوا الاستنجاء بالماء، ورأوه أفضل، وبه يقول سفيان الثوري، وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق»[1].

وفي حديث آخر ترويه لنا أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها-، يظهر من خلاله مدى اهتمامها بتنشئة الأمة وتربيتها العقلية على آداب ومثل وقيم لم تكن لتعرفها الأمة من دون هذا الميراث النبوي العظيم الذي ورثته لنا أم المؤمنين -رضي الله عنها-، فقد روي عنها -رضي الله عنها- أنها "قالت: قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا، فقال: لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته، قالت: وحكيت له إنساناً فقال: ما أحب أني حكيت إنساناً وأن لي كذا وكذا"[2].

يتضح من خلال هذا الحديث أثر المنهج العقلي في التربية من خلال الأسلوب البليغ المشتمل على هذا التشبيه البالغ في النكارة والتخويف والزجر من الغيبة وآثارها وشدة ضررها على المسلم؛ بحيث لا يقدم على هذا الفعل من له ذرة من عقل.

---

(١) سنن الترمذي (١/٣١).

(٢) سنن أبي داود، حديث رقم: (٤٨٧٥) (٤/٢٦٩) كتاب الأدب، باب في الغيبة، والحديث صححه الألباني -رحمه الله- انظر: صحيح سنن أبي داود للشيخ محمَّد ناصر الدين الألباني -رحمه الله-، حديث رقم: (٤٨٧٥) (٣/١٩٦).

ومعنى قول أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها-: "حسبك من صفية" أي من عيوبها البدنية "كذا وكذا" أي كونها قصيرة، وقوله: "لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته" أي على فرض تجسيدها وتقدير كونها مائعة لمزجته أي غلبته وغيرته، والمعنى: أن هذه الغيبة لو كانت مما يمزج بالبحر لغيرته عن حاله، مع كثرته وغزارته، فكيف بأعمال قليلة خلطت بها[1].

وفي بيان معنى قوله ﷺ: ("ما أحب أني حكيت أنساناً وأن لي كذا وكذا" أي ما أحب أن أتحدث بعيب أحد قولياً أو فعلياً، ولو أعطيت كذا وكذا من الدنيا، أي شيئاً كثيراً على ذلك)[2].

هذا ولقد تناول العلماء -رحمهم الله- موضوع الغيبة بالبحث والتوضيح من خلال التعريف بها وبيان المواطن التي يجوز للمسلم أن يتحدث بها. فقد قال النووي -رحمه الله-: «الغيبة: هي ذكر الإنسان في غيبته بما يكره، لكن تباح لغرض شرعي وذلك لستة أسباب: أحدها: التظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما فيقول ظلمني فلان أو فعل بي كذا، الثاني: الاستغاثة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته:

---

(١) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للإمام محمد المباركفوري (٢٠٩/٧). وانظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة محمد شمس الحق آبادي (٢٢١/١٣) الطبعة الثالثة (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م).

(٢) انظر: تحقيق الشيخ الألباني -رحمه الله- على كتاب مشكاة المصابيح للشيخ محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي (١٣٦٣/٣) كتاب الآداب، باب: حفظ اللسان والغيبة والشتم، الطبعة الثالثة (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

فلان يعمل كذا فازجره عنه ونحو ذلك. الثالث: الاستفتاء بأن يقول للمفتي: ظلمني فلان أو أبي أو أخي. الرابع: تحذير المسلمين من الشر وذلك من وجوه منها، جرح المجروحين من الرواة والشهود والمصنفين، وذلك جائز بالإجماع بل واجب صوناً للشريعة. الخامس: أن يكون مجاهراً بفسقه أو بدعته كالخمر فيجوز ذكره بما يجاهر به ولا يجوز بغيره إلا بسبب آخر. السادس: التعريف؛ فإذا كان معروفاً بلقب كالأعمش والأعرج ونحوها جاز تعريفه به ويحرم ذكره به تنقصاً، ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى»[1].

وفي أسلوب عقلي تربوي استفادت منه الأمة أوردته لنا أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في إحدى مروياتها وهي تستنكر صورة امرأة من المسلمين تركت نفسها، وبذت من هيئتها، وتُعلّل ذلك لرسول الله ﷺ بسبب انقطاع زوجها للعبادة، وعدم التفاته لها، ويعالج المصطفى عليه الصلاة والسلام هذه الحادثة باستدعاء زوجها ونهيه عن التبتل والانقطاع للعبادة إلى هذا الحد ويبين له أن هذا مخالف لهديه ﷺ وسماحة شريعته التي بعثه الله بها.

فقد روى أبوداود في سننه (عن **عائشة** -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ بعث إلى عثمان بن مظعون فجاءه فقال: "يا عثمان أرغبت عن سنتي؟ قال: لا والله يا رسول الله، ولكن سُنّتَكَ أَطْلُبُ، قال: "فإني أنام وأصلي، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء، فاتق الله يا عثمان فإن لأهلك عليك حقاً، وإن لضيفك عليك

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/١٤٢-١٤٣) الطبعة الثانية: (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م) ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً، فصم وأفطر، وصل، ونم)[١].

وقد أورد الإمام أحمد -رحمه الله- في مسنده مناسبة الحديث السابق، فقد روى عن أم المؤمنين **عائشة** زوج النبي ﷺ قالت: دخلت عليَّ خويلة[٢] بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقصي السُّلمية، وكانت عند عثمان بن مظعون، قالت: فرأى رسول الله ﷺ بذاذة هيئتها، فقال لي: يا **عائشة**، ما أبذَّ هيئة خويلة، قالت: فقلت: يا رسول الله، امرأة لا زوج لها، يصوم النهار ويقوم الليل، فهي كمن لا زوج لها فتركت نفسها وأضاعتها، قالت: فبعث رسول الله ﷺ إلى عثمان بن مظعون فجاءه فقال: يا عثمان، أرغبة عن سنتي؟ قال: فقال: لا والله يا رسول الله، ولكن سنتك أطلب، قال: فإني أنام وأصلي، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء، فاتق الله يا عثمان، فإن لأهلك عليك حقاً، وإن لضيفك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً، فصم وأفطر، وصل ونم)[٣].

---

(١) سنن أبي داود، حديث رقم: (١٣٦٩) (٢/٤٨) كتاب الصلاة، باب: ما يؤمر به من القصد في الصلاة، والحديث صححه الألباني -رحمه الله- في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم: (١٣٦٩) (١/٣٧٦).

(٢) هي خولة بنت الحكيم السلمية، ويقال لها: خويلة بالتصغير، امرأة عثمان بن مظعون وكنيتها أم شريك. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر (٤/٢٨٣).

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم: (٢٦٨٣٩) حديث السيدة **عائشة** -رضي الله عنها- (ص١٩٥٤) ط. بيت الأفكار الدولية، الرياض - المملكة العربية السعودية. والحديث رجاله ثقات، وروى أبوداود طرفاً منه، وزاد البزار فقال: يا عثمان إن لك فيَّ أسوة وإن أخشاكم لله وأحفظكم لحدوده لأنا. انظر: بلوغ الأماني حاشية الفتح الرباني للشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا (١٦/٢٣٣).

وفي بيان معنى قوله ﷺ: "إن لأهلك عليك حقاً" قال صاحب معالم السنن -رحمه الله-: «قوله: "إن لأهلك عليك حقاً"، يريد أنه إذا دأب نفسه وجهدها ضعفت قواه فلم يتسع لقضاء حق أهله. وقوله "وإن لضيفك عليك حقاً" فيه دليل على أن المتطوع بالصوم إذا أضافه ضيف كان المستحب أن يفطر ويأكل معه ليبسط بذلك منه ويزيد في إيناسه بمواكلته إياه، وذلك نوع من إكرامه. وقد قال ﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»[1].

وهكذا تكون الأمة قد استفادت من هذا الحوار دروساً تربوية عظيمة يشع من خلالها نور سماحة الإسلام ونبذه للرهبانية والتبتل، وأنه هو الدين الخالد الخاتم الصالح لكل زمان ومكان.

(١) معالم السنن شرح سنن أبي داود للإمام أبي سليمان حمد بن محمَّد الخطابي البستي (ت: ٣٨٨هـ) (١/٢٤٣).

٣- الدروس المستفادة للواقع المعاصر:

١- كان من نتائج المحاورات العقلية المستفادة من الأحاديث النبوية المروية عن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- ظهور كثير من الأحكام الشرعية التي لا يستغني المسلم عنها ومنها: العلم بوقت غسله ﷺ من الجنابة من الليل، ووقت وتره ﷺ من الليل، وكيفية قراءته ﷺ للقرآن في الليل وغير ذلك.

٢- ومنها العلم ببعض أحكام نسخ السنة بالسنة، من ذلك ما ورد في نسخ نهيه ﷺ عن الأكل من لحوم الأضاحي بعد ثلاث بالإباحة التي وردت في رواية أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- والتي أوردها مسلم -رحمه الله- في صحيحه.

٣- ومنها أخذه ﷺ بمشورة النساء في بعض الأمور الخاصة والعامة.

٤- ومنها ظهور بعض التشريعات التي يحتاجها المسلمون في أمور البيع والشراء، ومنها إقدامه ﷺ على الشراء بالنسيئة من تاجر يهودي من أهل الكتاب. وفي هذا من الدروس والعبر ما لا يخفى سواءً ما كان من الاستفادة في فقه أحكام البيوع أم في فقه المعاملات والعلاقات الدولية التي قد يحتاج إليها المسلمون.

٥- ومنها صدور حكمه ﷺ بالتيسير والتوسعة على حجاج بيت الله الحرام إلى يوم القيامة، وذلك بتركه منى مكاناً لمن سبق فلا يضيق على الحجاج فيه بتملك المتملكين، وهذا فيه الحثّ على المسارعة في الخير والسبق إليه.

٦- ومنها مناقشة العلماء لمسألة زيارة القبور لكل من الرجال والنساء وبيان

حكم الشرع في ذلك ليكون المسلم على بصيرة من أمر دينه.

٧- أفادت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- الأمة من خلال نشرها للعلم ونفع المسلمين، فقد كان لها السبق في إيضاح بعض الأحكام الخاصة بين الزوجين لمكانتها من رسول الله ﷺ، فروي عنها من الاستنباطات الفقهية والأقيسة العقلية في هذا المجال ما يؤكّد ذلك. ومنه توضيحها لمسألة وجوب الغسل على الزوجين إذا جاوز الختان الختان ولم ينزلا.

٨- استخدمت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- الأسلوب الخطابي المدعم بالأساليب البلاغية والحجج العقلية في الدعوة إلى الله وجمع الكلمة وإخماد نار الفتنة من الوقيعة في الصديق خليفة رسول الله ﷺ.

٩- أفادت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في منهجها العقلي في التربية بنوع من التربية يسمّى التربية بالعقوبة، وذلك من خلال روايتها لبعض الأحاديث الواردة في هذا الشأن فأفادت الأمة عامة والمربين خاصة بهذا النوع من التربية.

١٠- ومنه روايتها لبعض الأحاديث المشتملة على الحوار العقلي المتزن بينها وبين رسول الله ﷺ، وظهرت ثماره وفوائده في تعلم الأسلوب الأمثل في كيفية التعامل مع أهل الكتاب والردّ على تحيتهم.

١١- ومنه عنايتها بتربية المرأة المسلمة وحثّها على أن تكون سفير خير لإيصال العلم وأحكام الشريعة للزوج، خاصة فيما يُستحيا من ذكره من الأمور. ومن ذلك روايتها للأحاديث الخاصة بأمور الطهارة حيث حَمَّلت النساء مسؤولية بلاغ الأزواج الأحكام المتعلقة بذلك.

١٢- ومنه روايتها للحوار الذي دار بينها وبين رسول الله ﷺ في شأن أم المؤمنين صفية -رضي الله عنها- فاستفادت الأمة من هذا الحديث دروساً في التربية على حفظ حرمة المسلم وعدم ذكره في غيبته إلا بخير.

١٣- ومنه عنايتها بتربية المسلم على الاعتدال والوسطية في الدين ونبذ التبتل والانقطاع والرهبانية وأنها مخالفة لهديه ﷺ وسماحة شريعته التي بعثه الله بها.

الفصل الرابع

المنهج العاطفي في دعوة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

سبق الحديث عن المنهج العاطفي في كتاب السيدة **خديجة** -رضي الله عنها- حيث وضَّحتُ أبرز أساليب المنهج العاطفي في الدعوة، وأهمية المنهج العاطفي في الدعوة، الأمر الذي يغني عن تكرار ذلك، وسيكون حديثي الآن عن:

١- أثر المنهج العاطفي في الدعوة عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

هذه **أم المؤمنين عائشة** -رضي الله عنها- تروي للأمة حديثاً عن رسول الله ﷺ في بيان أهمية العاطفة وأثرها في الدعوة إلى الله، فهذا رسول الله ﷺ يغمرها بعاطفته الفياضة ويتعهدها بما يَسُرُّها فقد قالت -رضي الله عنها-: "لقد رأيت رسول الله يوماً على باب حجرتي والحبشة يلعبون في المسجد، ورسول الله ﷺ يسترني بردائه، أنظر إلى لعبهم"(١).

لقد كان ﷺ المثل الأعلى في كل ما يفعل، وربما لا تتسع أحلام الصحابة الكرام لمثل هذا، ولكنها النبوة وآدابها، وقد تعلمت الصديقة -رضي الله عنها- من هذا الموقف درساً عظيماً وهي بدورها تُعلِّم الأمة كلها هذا الدرس في أثر المنهج العاطفي في نجاح الدعوة من خلال روايتها لهذا الحديث العظيم، ويتضح تأكيدها -رضي الله عنها- لأهمية هذا المنهج في الدعوة من خلال

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٥٤) (ص١١٢) كتاب الصلاة، باب: أصحاب الحراب في المسجد.

بعض الروايات الأخرى والتي ورد فيها: "وكان يوم عيد، يلعب السودان بالدرق والحراب، فإمَّا سألت النبي ﷺ، وإمَّا قال: تشتهين تنظرين؟ فقلت: نعم، فأقامني وراءه، خدي على خده، وهو يقول: دونكم يا بني أرفدة، حتى إذا مللت، قال: حسبك؟ قلت: نعم، قال: فاذهبي"[1].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «وفي الحديث جواز النظر إلى اللهو المباح، وفيه حسن خلقه ﷺ مع أهله وكرم معاشرته»[2].

وتصرح أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- بأهمية العاطفة، وأن لها أثراً مهماً في نفوس المدعوين خاصة النساء ومن هم في حكم عاطفتهم، فتقول -رضي الله عنها- بعد روايتها للحديث السابق: "فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو"[3].

لقد كانت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- تلقى العطف النبوي في شتى المجالات، فتتعلم منه ﷺ وتُعلِّم الأمة، لقد قدَّمت -رضي الله عنها- للأمة درساً نبوياً في أهمية العاطفة وأثرها في الدعوة من خلال روايتها لحديث سباقها مع النبي ﷺ وأظهرت كيف كان يتعاطف معها ويحسن إليها وهي بدورها تنقل هذا الخير إلى الأمة لتعمل وتقتدي به ﷺ، "فعن **عائشة** -رضي الله عنها- أنها كانت مع النبي ﷺ في سفر قالت: فسابقته فسبقته على رجلي، فلما حملت

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٩٥٠) (ص٢٠٥) كتاب العيدين، باب: الحراب والدرق يوم العيد.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (١/٥٤٩).

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم: (٥٢٣٦) (ص١١٥٠) كتاب النكاح، باب: نظر المرأة إلى الحبش ونحوهم من غير ريبة.

اللحم سابقته فسبقني، فقال: هذه بتلك السَّبقة"[1].

ومما تقرر عند علماء الدعوة أن من أساليب المنهج العاطفي في الدعوة أسلوب الترغيب والترهيب وذكر الثواب والعقاب، ومن خلال حديث ترويه أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- نرى هذا الأسلوب واضحاً جلياً، فقد جمعت إلى الأسلوب السابق استثارة العاطفة لدى الشخص المدعو؛ وذلك بمناداته باسمه، وهذا فيه مزيد عناية واهتمام بالمدعو إذ يتيقن صدق دعوتك له من خلال الحب والعاطفة التي غمرته بها وتحملها في جنباتك له.

وما هذا المنهج عن أم المؤمنين -رضي الله عنها- بغريب، وهي ممن نهلت من المعين الصافي، وتربت في بيت النبوة وتأدبت بآدابها، فقد روى مسلم -رحمه الله- في صحيحه بسنده إلى سالم[2] مولى شداد (قال: دخلت على **عائشة** زوج النبي ﷺ يوم توفي سعد بن أبي وقاص، فدخل عبدالرحمن ابن أبي بكر فتوضأ عندها، فقالت: يا عبدالرحمن! أسبغ الوضوء، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ويل للأعقاب من النار)[3].

وفي مسند الإمام أحمد "عن **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: يا عبدالرحمن

---

(١) سنن أبي داود، حديث رقم: (٢٥٧٨) (٣/٣٠) كتاب الجهاد، باب: في السبق على الرجل، الحديث صححه الألباني -رحمه الله-. انظر: صحيح أبي داود (٢/١١٨).

(٢) هو سالم بن عبدالله النصري: بالنون، أبوعبدالله المدني، ويقال له: مولى النصريين، ومولى مالك بن أوس، ومولى أوس، ومولى المهري، ومولى شداد، والدوسي، وسالم سبلان: بفتح المهملة والموحدة، صدوق، من الثالثة، مات سنة عشر ومائة، انظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (١/٢٨٠).

(٣) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٤٠) (ص١٢٤) كتاب الطهارة، باب: وجوب غسل الرجلين بكمالهما.

أسبغ الوضوء، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ويل للعراقيب من النار"[1].

وأورد مسلم -رحمه الله- في صحيحه من رواية أبي هريرة -رضي الله عنه، "أنه رأى قوماً يتوضؤون من المطهرة، فقال: أسبغوا الوضوء، فإني سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: ويل للعراقيب من النار"[2].

ومن أساليب المنهج العاطفي في الدعوة إظهار الرأفة والرحمة بالمدعوين، وهذه أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- تؤكد هذا المعنى من خلال دعوتها بهذا الأسلوب في حديث ترويه عن رسول الله ﷺ حيث يعتبر بحق قاعدة أساسية في الرحمة والعاطفة بالمدعوين ويتعين على الدعاة إلى الله والمصلحين نهج هذا الأسلوب العاطفي الناجح من خلال دعوتهم ونصحهم لعباد الله، فقد روى البخاري في صحيحه بسنده إلى أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: (كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ، وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يَتَقَمَّعْنَ[3] منه، فَيُسَرِّبُهُنَّ[4] إليَّ، فيلعبن معي)[5].

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم: (٢٤٦٢٤) (ص١٨٠٩). قال الشيخ البنا -رحمه الله- في تخريجه للحديث: أخرجه مسلم والبيهقي وغيرهما، ورواية العراقيب عند مسلم من حديث أبي هريرة. انظر: بلوغ الأماني حاشية الفتح الرباني للشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا (٢/٤٢).

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٤١) (١٢٥) كتاب الطهارة، باب: وجوب غسل الرجلين بكمالهما.

(٣) يَتَقَمَّعْنَ: وفي رواية "انْقَمَعْنَ": أي تَغَيَّبن ودخلن في بيت، أو من وراء سِتْر، وأصله من القِمَع الذي على رأس الثمرة، أي يَدْخُلْنَ فيه كما تدخل الثمرة في قِمَعِها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمَّد الجزري ابن الأثير (٤/١٠٩).

(٤) فيسربهن: أن يبعثهن ويرسلهن إلي. انظر: المصدر السابق (٢/٣٥٦).

(٥) صحيح البخاري، حديث رقم: (٦١٣٠) (ص١٣١١) كتاب الأدب، باب: الانبساط إلى الناس.

ومما ينبغي الإشارة إليه في تأكيد المنهج العاطفي في الدعوة من خلال هذا الحديث، هو أن البخاري -رحمه الله ذكر هذا الحديث تحت باب سماه: باب الانبساط إلى الناس، وصَدَّره بأثرٍ عن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- ونصه: "وقال ابن مسعود: خالط الناس ودينك لا تَكْلِمَنَّه[1]، والدعابة مع الأهل"[2]. ثم أورد حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- يقول: "إن كان النبي ﷺ ليخالطنا، حتى يقول لأخٍ لي صغير: يا أبا عمير، ما فعل النغير[3]"[4]، وختم البخاري -رحمه الله الباب بحديث أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- السابق، وهذا الترتيب من البخاري -رحمه الله- لا يخفى مغزاه على ذوي الفطنة والبصائر من أهل العلم، خاصة ممن شرفهم الله عزَّ وجلَّ بشرف الدعوة إليه سبحانه، حيث يُفهم من هذا تَعَيُّنُ مخالطة الناس والصبر على ذلك ليتحقق هدف الدعوة.

وقد يرد على هذا لبسٌ عند البعض مما قد تسببه الخلطة مع الناس من أمور لا يقبلها أصحاب النفوس الطيبة والهمم العالية، أجاب عن هذا التساؤل الحافظ

---

(١) تكلمنه: بفتح أوله وسكون الكاف وكسر اللام وفتح الميم من الكلم، بفتح الكاف وسكون اللام وهو الجرح وزناً ومعنى، وروي بالمثلثة بدل الكاف، والنون مشددة للتأكيد. انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (١٠/٥٢٦).

(٢) صحيح البخاري (ص١٣١١) كتاب الأدب، باب: الانبساط إلى الناس.

(٣) النغير: هو تصغير النُّغَر، وهو طائر يشبه العصفور، أحمر المنقار، ويُجمع على: نغران. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمَّد الجزري ابن الأثير (٥/٨٦).

(٤) صحيح البخاري، حديث رقم: (٦١٢٩) (١٣١١) كتاب الأدب، باب: الانبساط إلى الناس، ط. دار الأرقم، بيروت - لبنان.

ابن حجر -رحمه الله- من خلال شرحه لهذا الحديث فقال: «والجمع بينهما أن المنهي عنه ما فيه إفراط أو مداومة عليه لما فيه من الشغل عن ذكر الله والتفكر في مهمات الدين ويؤول كثيراً إلى قسوة القلب والإيذاء والحقد وسقوط المهابة والوقار، والذي يسلم من ذلك هو المباح، فإن صادف مصلحة مثل تطييب نفس المخاطب ومؤانسته فهو مستحب، قال الغزالي: من الغلط أن يُتخذ المزاح حرفه، ويتمسك بأنه ﷺ مزح، فهو كمن يدور مع الريح حيث دار، ويتمسك بأنه ﷺ أذن **لعائشة** أن تنظر إليهم -أي إلى رقص الحبشة في المسجد-»(١).

هذا ومما أورده القاضي عياض -رحمه الله- من أحكام عند شرحه لحديث أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في بيان حكم جواز اللعب بالبنات؟ فقال -رحمه الله-: «فيه جواز اللعب بهن، وتخصيصهن من الصور المنهي عنها لهذا الحديث، ولما في ذلك من تدريب النساء في صغرهن على النظر لأنفسهن وبيوتهن، وأبنائهن، وقد أجاز العلماء بيعهن وشراءهن، وروي عن مالك كراهة شرائها، وهذا عندي محمول على كراهة الاكتساب بها للبائع، وتنزيه أولي المروءات عن تولي ذلك من بيع وشراء لا كراهة اللعب بهن، وعلى الجواز بلعب الجواري بهن جمهور العلماء، وذهبت فرقة إلى أنه منسوخ بالنهي عن الصور»(٢).

---

(١) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٥٢٧/١٠).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم للإمام أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (٤٤٧/٧-٤٤٨).

وبهذا القول قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- عند شرحه للحديث فقال: «واستدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ صور البنات واللعب من أجل لعب البنات بهن، وخص ذلك من عموم النهي عن اتخاذ الصور وبه جزم عياض ونقله عن الجمهور....، قال الخطابي: في هذا الحديث أن اللعب بالبنات ليس كالتلهي بسائر الصور التي جاء فيها الوعيد؛ وإنما أرخص **لعائشة** فيها لأنها إذ ذاك كانت غير بالغ»[1].

وفي تقرير المنهج العاطفي في الدعوة من خلال هذا الحديث، قال النووي -رحمه الله- بعد شرحه للحديث: «وهذا من لطفه ﷺ وحسن معاشرته»[2].

وفي إظهار الرأفة والرحمة بالمدعوين أيضاً تروي لنا أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في هذا حديثاً عن رسول الله ﷺ ترشد من خلاله الدعاة إلى الله إلى هذا الأسلوب العاطفي لكي تثمر ودعوتهم تنجح وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، فقد روى مسلم في صحيحه (عن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- أنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ يصلي سبحة[3] الضحى قط،

---

(١) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٥٢٧/١٠).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٠٥/١٥) الطبعة الثانية (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م).

(٣) سبحة الضحى: يطلق التسبيح على صلاة التطوع والنافلة، ويقال أيضاً للذكر ولصلاة النافلة، سبحة، وإنما خصت النافلة بالسبحة وإن شاركتها الفريضة في معنى التسبيح لأن التسبيحات في الفرائض نوافل، فقيل لصلاة النافلة سبحة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير (٣٣١/٢).

وإني لأسبحها، وإن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل، وهو يحب أن يعمل به، خشية أن يعمل به الناس، فيفرض عليهم)[١].

وفي رواية لأبي داود أنها قالت: "ما سبح رسول الله ﷺ سبحة الضحى قط، وإني لأسبحها وإن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم"[٢].

وفي بيان حكم هذه الصلاة ومقدارها ومدى مداومته ﷺ عليها قال النووي -رحمه الله-: «الضحى سنة مؤكدة وأقلها ركعتان وأكملها ثمان ركعات، وبينهما أربع أوست كلاهما أكمل من ركعتين ودون ثمان، وأما الجمع بين حديثي **عائشة** -رضي الله عنها- في نفي صلاته ﷺ الضحى وإثباتها فهو أن النبي ﷺ كان يصليها بعض الأوقات لفضلها ويتركها في بعضها خشية أن تفرض كما ذكرته **عائشة** -رضي الله عنها- ويتأول قولها ما كان يصليها إلا أن يجيء من مغيبه على أن معناه ما رأيته كما قالت في الرواية الأولى وسببه أن النبي ﷺ ما كان يكون عند **عائشة** في وقت الضحى إلا في نادر من الأوقات، فإنه قد يكون في ذلك مسافراً وقد يكون حاضراً ولكنه في المسجد أو في موضع آخر. وإذا كان عند نسائه فإنما كان لها يوم من تسعه

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٧١٨) (ص٢٨٣) كتاب صلاة المسافرين، باب: استحباب صلاة الضحى.

(٢) سنن أبي داود، حديث رقم: (١٢٩٣) (٢/٢٨) كتاب الصلاة، باب: صلاة الضحى، والحديث صححه الألباني في: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم: (١٢٩٣) (١/٣٥٤).

فيصح قولها ما رأيته يصليها وتكون قد علمت بخبره أو خبر غيره أنه صلاها أو يقال قولها ما كان يصليها أي ما يداوم عليها فيكون نفياً للمداومة لا لأصلها، وا لله أعلم»[١].

وفي توضيح معنى القول المنسوب إلى ابن عمر -رضي ا لله عنهما- بأنها بدعة، قال القاضي عياض -رحمه ا لله-: «وقول ابن عمر "إنها بدعة" أي ملازمتها وإظهارها في المساجد، مما لم يكن بعد، لاسيَّما وقد روي عنه: "بدعة ونعمت البدعة" وروي عنه: ما ابتدع المسلمون بدعة أفضل من صلاة الضحى كما قال عمر -رضي ا لله عنه- في صلاة التراويح، لا على أنها بدعة مخالفة للسنة، وكذلك روي عن ابن مسعود لما أنكرها على هذا الوجه، وقال: "إن كان لابدَّ ففي بيوتكم، لِمَ تُحمِّلون عباد ا لله ما لم يحملهم ا لله" كل ذلك خيفة أن يحسبها الجاهل من الفرائض، ولهذا رأى جماعة ممن رأى صلاتها في بعض الأيام دون بعض ليخالف بينها وبين الفرائض، واحتجوا بما روي عن أبي سعيد "أن النبي ﷺ كان يصليها حتى نقول: لا يدعها، ويدعها حتى نقول: لا يصليها"[٢]»[٣].

ومما ينبغي الإشارة إليه هو أن أم المؤمنين **عائشة** -رضي ا لله عنها-

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٥/٢٣٠).

(٢) سنن الترمذي، حديث رقم: (٤٧٧) (٢/٣٤٢) أبواب الصلاة، باب: ما جاء في صلاة الضحى، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. وضعفه الألباني كما في (ص٤٨١) طبعة بيت الأفكار الدولية.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم للإمام أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (٣/٥٤).

لم تكتفِ بذكر الحكم المراد توضيحه للأمة في صلاة الضحى[1]، ولكنها علَّلت سبب عدم مداومته ﷺ عليها، وما ذاك إلا لبيان الأسلوب العاطفي في الدعوة

---

(١) وضح الإمام ابن القيم -رحمه الله- مسألة الأحكام المتعلقة بصلاة الضحى غاية التوضيح والبيان حيث استعرض جميع الأحاديث والآثار والأقوال الواردة في صلاة الضحى، وناقش المسألة في كلام طويل مسهب، وسأورد مختصراً لكلامه، فقد قال -رحمه الله-: «اختلف الناس في الأحاديث الواردة في صلاة الضحى على طرق وهي:

القول الأول: منهم من رجَّح رواية الفعل على الترك بأنها مثبتة تتضمن زيادة علم خفيت على النافي. قالوا: وقد يجوز أن يذهب علم مثل هذا على كثير من الناس، ويوجد عند الأقل.

الطائفة الثانية: ذهبت إلى أحاديث الترك، ورجحتها من جهة صحة إسنادها، وعمل الصحابة بموجبها.

الطائفة الثالثة: ذهبت إلى استحباب فعلها غالباً، فتُصلي في بعض الأيام دون بعض.

الطائفة الرابعة: ذهبت إلى أنها تفعل بسبب من الأسباب، وأن النبي ﷺ إنما فعلها بسبب، قالوا: وصلاته يوم الفتح ثمان ركعات ضحى، إنما كانت من أجل الفتح...، وأما قول **عائشة**: لم يكن رسول الله ﷺ يصلي الضحى إلا أن يقدم من مَغيبه، فهذا من أبين الأمور أن صلاته لها إنما كانت لسبب، فإنه ﷺ كان إذا قدم من سفر، بدأ بالمسجد، فصلى فيه ركعتين، فهذا كان هَدْيُه، و**عائشة** -رضي الله عنها- أخبرت بهذا وهذا... وفعل الصحابة -رضي الله عنهم- يدل على هذا، فإن ابن عباس -رضي الله عنهما- كان يصليها يوماً ويدعها عشرة، وكان ابن عمر لا يصليها، فإذا أتى مسجد قباء صلاها، وكان يأتيه كل سبت، وقال سفيان عن منصور: كانوا يكرهون أن يحافظوا عليها كالمكتوبة ويصلون ويَدَعون، ومن تأمل الأحاديث المرفوعة وآثار الصحابة، وجدها لاتدلُّ إلا على هذا القول».

زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية (١/٣٤٥-٣٥٧) بتصرف.

قلت: والذي يظهر والعلم عند الله أن في قول النووي السابق في هذه المسألة زيادة خير وتسابق في الخيرات، حيث أكَّد سنيتها وجمع بين حديثي **عائشة** -رضي الله عنها- السابقين في نفي صلاته ﷺ لصلاة الضحى وإثباتها، وبيَّن وجه ذلك، ووضح أن تركه ﷺ لها في بعض الأحيان كان خشية أن تفرض على الأمة، وقد زال هذا المحذور بعد وفاته ﷺ، فيكون نفيها لمداومته ﷺ عليها، لا نفي أصل إثباتها، وبهذا يكون قد فتح باب الخير للراغبين فيه، والمداومة عليه. والله أعلم.

الذي يجب أن ينتهجه الدعاة إلى ا لله أسوة بإمام الدعاة ﷺ، فتشير -رضـي ا لله عنها- إلى عاطفته ﷺ ورحمته بأمته في عـدم المداومـة على النفـل مـن الأعمـال بسبب خشيته أن يفرض على أمته نوافل قد يعجـزوا عـن أدائهـا. وفي هـذا مـن دروس الدعوة ما يلي:

١- التأكيد على المنهج العاطفي في الدعوة وأنه باب أساس في الدعوة.

٢- يجب على الداعي إلى ا لله أن لا يحمل الناس من السنن والنوافل ما لا يطيقون خشية أن يتسرب إليهم الملل وينسحب ذلك إلى الفرض لا قدَّر ا لله.

٣- وجوب مراعاة نفوس المدعوين وأحوالهم وتفقد إقبالهم وإدبارهم على الخير ومعالجة كل حالة بما يناسبها.

٤- لا حرج بأن يأخذ الداعي إلى ا لله نفسه بالعزيمة في معالي الأمور كالمحافظـة على السنن الرواتـب والمواظبـة علـى المسـتحبات، ولكـن شـريطة ألا يـلزم مدعويه بذلك خشية نفرتهم ومللهم.

٥- سـيتحقق للداعـي إلى ا لله -بـإذن ا لله- اسـتجابة النـاس إلى المحافظـة علـى النوافل والمستحبات، وذلك عند قيامه والتزامه بذلـك فيكـون قـد دعـا إلى ا لله بعمله، وهذا أبلغ تأثيراً في نفوس المدعوين من القول.

وحيث تقرر أن من أساليب المنهـج العـاطفي في الدعـوة أسـلوب الـترغيب والترهيب، وذكر الثواب والعقاب، فقد ضمنته أم المؤمـنين **عائشـة** -رضـي ا لله عنها- دعوتها من خلال روايتها التالية (فقد ورد أنه دخل نسوة من أهل الشـام على **عائشة** -رضي ا لله عنها- فقالت: ممن أنتن؟ قلن: من أهل الشـام، قـالت:

لعلكن من الكُوَرَةِ[1] التي تدخل نساؤها الحمامات؟ قلن: نعم، قالت: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من امرأة تخلع ثيابها في غير بيتها إلا هتكت ما بينها وبين الله تعالى)[2].

وفي رواية (أن نساء من أهل حمص أوْ من أهل الشام دخلن على **عائشة** فقالت: أنتن اللاتي يدخُلْنَ نساؤكن الحمامات؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من امرأة تضع ثيابها في غير بيت زوجها إلا هتكت الستر بينها وبين ربها)[3].

وبهذا الأسلوب المهيب المنفر من هذا الفعل استطاعت أم المؤمنين -رضي الله عنها- أن تنفر سامعيها من النساء عن هذا الفعل[4] الذي يتنافى مع المروءة والحياء والعفة.

---

(١) الكُوَرة: الصقع، ويطلق على المدينة والجمع كُوَر: مثل غرفة وغرف. انظر: المصباح المنير للعلامة أحمد بن محمَّد بن علي المقري الفيومي (ت: ٧٧٠هـ) مادة (كور) (٢/٢٠٦).

(٢) سنن أبي داود، حديث رقم (٤٠١٠) (٤/٣٩) كتاب الحمام. والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم: (٤٠١٠) (٢/٤٩٧).

(٣) سنن الترمذي لأبي عيسى محمَّد بن عيسى بن سورة، حديث رقم: (٢٨٠٣) (٥/١١٤) كتاب الأدب، باب: ما جاء في دخول الحمام، قال أبوعيسى: هذا حديث حسن، وصححه الألباني كما في (ص٤٥٠) طبعة بيت الأفكار الدولية.

(٤) تعرض العلماء -رحمهم الله- من سلف هذه الأمة وخلفها لهذه المسألة، وترددت فيها الأقوال بين الإباحة والكراهة والتحريم، فقد قال النووي -رحمه الله-: «وجاء في دخول الحمام عن السلف آثار متعارضة في الإباحة والكراهة: فعن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: نعم البيت الحمَّام يذهب الدرن ويذكر النار. وعن علي وابن عمر -رضي الله عنهم-: بئس البيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحياء، -ثم قال النووي رحمه الله- وأما أصحابنا فكلامهم فيه قليل، وممن تكلم فيه من أصحابنا الإمام الفقيه الحافظ أبوبكر السمعاني المروزي -رحمه الله- فقال: جملة القول في دخول الحمام أنه مباح للرجال بشرط التستر وغض البصر، ومكروه للنساء إلا لعذر من نفاس أو مرض. قال: وإنما كره للنساء لأن أمرهن مبني على المبالغة في التستر، ولما في وضع

وفي إظهار الرأفة والرحمة بالمدعوين، تروي أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها-

---

=

ثيابهن في غير بيوتهن من الهتك، ولما في خروجهن واجتماعهن من الفتنة والشر». المجموع شرح المهذب للإمام النووي (٢/٢٣٤-٢٣٥).

وقال صاحب المغني -رحمه الله-: «قال أحمد: إن علمت أن كل من في الحمام عليه إزار فادخله وإلا فلا تدخل. وقال سعيد بن جبير: دخول الحمام بغير إزار حرام، وأما النساء فليس لهن دخوله مع ما ذكرنا من الستر إلا لعذر من حيض أو نفاس أو مرض أو حاجة إلى الغسل ولا يمكنها أن تغتسل في بيتها لتعذر ذلك عليها أو خوفها من مرض أو ضرر فيباح لها ذلك إذا غضت بصرها وسترت عورتها، وأما مع عدم العذر فلا». المغني للعلامة موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمَّد بن قدامة (١/٢٣٠).

ولعل الشوكاني -رحمه الله- قد وفق في هذه المسألة حيث سدَّ هذا الباب مطلقاً على النساء، خوفاً من استغلال الرخصة فيه للمريضة والنفساء إلى التوسع في هذا الأمر، فقال -رحمه الله- تحت حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من ذكور أمتي فلا يدخل الحمام إلا بمئزر، ومن كانت تؤمن بالله واليوم الآخر من إناث أمتي فلا تدخل الحمام" -هذا الحديث برقم (٤٩٥) (٢/١٥٠) في الفتح الرباني للشيخ أحمد البنا، وله شاهد في المسند برقم (١٢٥) من رواية عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ودرجته حسن. انظر: حاشية تحقيق المسند حديث رقم: (١٢٥) (١/٢٧٧) ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان-. قال الشوكاني -رحمه الله-: «هذا الحديث يدل على جواز الدخول للذكور بشرط لبس المآزر، وتحريم الدخول بدون مئزر، وعلى تحريمه على النساء مطلقاً واستثناء الدخول من عذر لهن لم يثبت من طريق تصلح للاحتجاج بها، فالظاهر المنع مطلقاً، ويؤيد ذلك ما سلف من حديث **عائشة** -رضي الله عنها- الذي روته لنساء الكُوَرةِ وهو أصح ما في الباب». نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للإمام محمَّد بن علي الشوكاني (١/٣٢١).

وقد وافق الشيخ البنا -رحمه الله- قول الشوكاني في هذه المسألة. انظر: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد (٢/١٥١).

قلت: ولعل في هذا القول مزيد احتياط وعناية ورعاية لحرمة المسلمات من تطلع أصحاب النفوس الضعيفة إليهن وسدّاً لباب الفتن التي قد تترتب على هذا العمل، ولهن في أمهات المؤمنين أسوة حسنة في ترك ذلك.

حديثاً من أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام موضحة هذا الأسلوب في الدعوة، فقد روى مسلم في صحيحه (عن **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: جاءت هند إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض أهل خباء أحب إليَّ من أن يذلهم الله من أهل خبائك، وما على ظهر الأرض أهل خباء أحبّ إليَّ من أن يعزهم الله من أهل خبائك، فقال النبي ﷺ: وأيضاً والذي نفسي بيده، ثم قالت: يا رسول الله! إن أبا سفيان رجل ممسك، فهل عليَّ حرج أن أنفق على عياله من ماله بغير إذنه؟ فقال النبي ﷺ: لا حرج عليك أن تنفقي عليهم بالمعروف)[1][2].

---

(١) صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، حديث رقم (١٧١٤) (ص٧١٢) كتاب الأقضية، باب: قضية هند.

(٢) هذا الحديث استنبط منه العلماء فوائد جمة، منها ما أورده النووي -رحمه الله- عند شرحه للحديث حيث قال: «في هذا الحديث فوائد منها: وجوب نفقة الزوجة، ومنها وجوب نفقة الأولاد الفقراء الصغار، ومنها أن النفقة مقدرة بالكفاية لا بالأمداد ومذهب أصحابنا أن نفقة القريب مقدرة بالكفاية كما هو ظاهر هذا الحديث، ونفقة الزوجة مقدرة بالأمداد على الموسر كل يوم مدان وعلى المعسر مد، وعلى المتوسط مد ونصف...، ومنها جواز سماع كلام الأجنبية عند الإفتاء والحكم وكذا ما في معناه، ومنها جواز ذكر الإنسان بما يكرهه إذا كان للاستفتاء والشكوى ونحوهما، ومنها أن من له على غيره حق وهو عاجز عن استيفائه يجوز له أن يأخذ من ماله قدر حقه بغير إذنه». شرح النووي على صحيح مسلم (٧/١٢).

وهذه المسألة التي أشار إليها النووي -رحمه الله- تسمى مسألة (الظفر). انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٥٠٩/٩).

قال الإمام الخطابي -رحمه الله- عند شرحه للحديث: «وفيه جواز الحكم على الغائب...، وفيه جواز أن يقضي الرجل حقه من مال عنده لرجل له عليه حق يمنعه منه، وسواء كان ذلك =

وحديث آخر ترويه أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- عن رسول الله ﷺ يتضح من خلاله أثر المنهج العاطفي في نجاح الدعوة وقبولها لدى المدعوين، فقد روى مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: (أتى رجل إلى رسول الله ﷺ في المسجد في رمضان، فقال: يا رسول الله احترقت، احترقت، فسأله رسول الله ﷺ ما شأنه؟ فقال: أصبت أهلي، قال: تصدَّق. فقال: والله يا نبي الله ما لي شيء، وما أقدر عليه، قال: اجلس، فجلس، فبينا هو على ذلك أقبل رجل يسوق حماراً، عليه طعام، فقال رسول الله ﷺ: أين المحترق آنفاً، فقام الرجل: فقال رسول الله ﷺ: تصدق بهذا، فقال: يا رسول الله أغيرنا؟ فوالله إنا لجياع، ما لنا شيء، قال: فكلوه)[1].

وفي رواية عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: هلكت يا رسول الله، قال: وما أهلكك؟ قال: وقعت على امرأتي في

= من جنس حقه أو من غير جنس حقه، وذلك لأن معلوماً أن منزل الرجل الشحيح لا يجمع كل ما يحتاج إليه من النفقة والكسوة وسائر المرافق التي تلزمه لهم. وقد استدل بعضهم من معنى هذا الحديث على وجوب نفقة خادم المرأة على الزوج، قال: وذلك أن أباسفيان رجل رئيس في قومه، ويبعد أن يتوهم عليه أن يمنع زوجته نفقتها ويشبه أن يكون ذلك منه في نفقة خادمها فوقعت الإضافة في ذلك إليها إذا كانت الخادم داخلة في ضمنها ومعدودة في جملتها، والله أعلم». معالم السنن شرح سنن أبي داود للإمام أبي سليمان حمد بن محمَّد الخطابي البستي (ت: ٣٨٨هـ) (١٤٢/٣).

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (١١١٢) (ص٤٣١) كتاب الصيام، باب: تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم ووجوب الكفارة الكبرى.

رمضان، قال: هل تجد ما تعتق رقبة؟ قال: لا، قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، قال: فهل تجد ما تطعم ستين مسكيناً؟ قال: لا، قال: ثم جلس، فأتي النبي ﷺ بِعَرَق[1] فيه تمر، فقال: تصدق بهذا. قال: أفقر منا؟ فما بين لابتيها أهل بيت أحوج إليه منا، فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه، ثم قال: اذهب فأطعمه أهلك)[2].

وهكذا تتضح أهمية استخدام المنهج العاطفي في الدعوة وأنه من الضرورات التي يجب على الدعاة إلى الله الإيمان بها وتنفيذها في ميدان الدعوة إلى الله حتى تميل لهم قلوب الناس وبالتالي يُقبل منهم الحق والهدى الذي يدعون إليه.

وقد اعتنى بهذا الحديث العلماء من الصدر الأول وحتى الآن، وذاك لِعِظم الفوائد الفقهية المستنبطة منه، ومنهم من أفرده بالتأليف فتكلم عليه في مجلدين جمع فيهما ألف فائدة وفائدة[3].

---

(١) هو زبيلٌ منسوج من نسائج الخوص، وكل شيء مضفور فهو عَرَقٌ وعَرَقَةٌ بفتح الراء فيهما. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣/٢١٩).

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (١١١١) (ص٤٣٠) كتاب الصيام، باب: تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم، ووجوب الكفارة الكبرى.

(٣) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (١٧٣/٤). وانظر: التحقيق والتعليق على إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لعلي بن محمَّد الهندي (٣٤٢/٣) حيث ذكر أن الذي ألف هذا المؤلف هو الحافظ زين الدين عبدالرحيم بن الحسين العراقي، حكى ذلك عن نفسه. ط. المكتبة السلفية، القاهرة.

ولقد أطال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في استنباط الفوائد من هذا الحديث فمن ذلك قوله: «وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم السؤال عن حكم ما يفعله المرء مخالفاً للشرع، والتحدث بذلك لمصلحة معرفة الحكم، وفيه استعمال الكناية فيما يستقبح ظهوره بصريح لفظه...، وفيه الرفق بالمتعلم والتلطف في التعليم والتألف على الدين، والندم على المعصية، واستشعار الخوف، وفيه الجلوس في المسجد لغير الصلاة من المصالح الدينية كنشر العلم، وفيه جواز الضحك عند وجود سببه، وإخبار الرجل بما يقع منه مع أهله للحاجة، وفيه الحلف لتأكيد الكلام، وقبول قول المكلف مما لا يطلع عليه إلا من قبله لقوله في جواب قوله: أفقر منا: أطعمه أهلك ويحتمل أن يكون هناك قرينة لصدقه، وفيه التعاون على العبادة والسعي في إخلاص المسلم وإعطاء الواحد فوق حاجته الراهنة، وإعطاء الكفارة أهل بيت واحد، وفيه أن المضطر إلى ما بيده لا يجب عليه أن يعطيه أو بعضه لمضطر آخر»(١).

ودرس آخر من أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- تنقله للأمة من خلال حديث ترويه عن رسول الله يتضح من خلاله مدى عطفه ورأفته ﷺ بالأمة، وفي هذا من الدروس والفوائد للدعاة إلى الله الشيء الكثير فقد روى أبوداود في سننه (عن **عائشة** -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ بعث أبا جهم ابن حذيفة

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) (٤/١٧٢-١٧٣).

مُصَدِّقاً[1] فَلاَجَّهُ[2] رجل في صدقته، فضربه أبوجهم فشجه، فأتوا النبي ﷺ، فقالوا: القود يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: لكم كذا وكذا فلم يرضوا، فقال: لكم كذا وكذا فلم يرضوا، فقال: لكم كذا وكذا فرضوا، فقال النبي ﷺ: إني خاطب العشية على الناس ومخبرهم برضاكم فقالوا: نعم، فخطب رسول الله ﷺ فقال: إن هؤلاء الليثيين أتوني يريدون القود، فعرضت عليهم كذا وكذا فرضوا، أرضيتم؟ قالوا: لا، فهَمَّ المهاجرون بهم، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يكفوا عنهم، فكفوا، ثم دعاهم فزادهم، فقال: أرضيتم فقالوا: نعم، قال: إني خاطب على الناس ومخبرهم برضاكم قالوا: نعم، فخطب النبي ﷺ فقال: أرضيتم؟ قالوا: نعم)[3].

حقاً إنه لدرس عظيم قدمته أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- للأمة عامة والدعاة إلى الله خاصة من خلال رواية هذا الحديث الذي يعتبر أصلاً في باب العاطفة، فأيُّ صبر وحلم هذا الذي مَنَّ الله به على رسوله ﷺ.

---

(١) مُصَدِّقاً: المصدِّق بتخفيف الصاد، هو عامل الزكاة الذي يستوفيها من أربابها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١٨/٣).

(٢) فَلاَجَّهُ: اللجاج: تماحك الخصمين وهو تماديهما، واللَّجَة: بالفتح: كثرة الأصوات. انظر: المصباح المنير للعلامة أحمد بن محمَّد بن علي المقري الفيومي (ت: ٧٧٠هـ) مادة (لجج) (٢١١/٢).

(٣) سنن أبي داود، حديث رقم: (٤٥٣٤) (١٨١/٤-١٨٢) كتاب الديات، باب: العامل يصاب على يديه خطأ، والحديث صححه الألباني في: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم: (٤٥٣٤) (٩٨/٣-٩٩).

وإن الأمة مكلَّفة بالاقتداء به والسير على نهجه ﷺ، والدعاة إلى الله من باب أولى وهم حملة النور ومشعل الهداية من بعده عليه الصلاة والسلام.

لقد أيقن هؤلاء الليثيون بهذا الدين يقيناً، واستقوا من معينه درساً لم يكن ليحصل لهم بدون هذا الموقف العاطفي الحاني من رسول الله ﷺ، وصدق الله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1].

هذا ولقد أفاد الإمام الخطابي -رحمه الله- في شرحه لهذا الحديث فقال: «في هذا الحديث من الفقه وجوب الإقادة من الوالي والعامل إذا تناول دماً بغير حقه كوجوبها على من ليس بوالٍ. وفيه دليل على جواز إرضاء المشجوج بأكثر من دية الشجة إذا طلب المشجوج القصاص. وفيه دليل على أن القول في الصدقة قول رب المال وأنه ليس للساعي ضربه وإكراهه على ما لم يظهر له من ماله. وفيه حجة لمن رأى وقوف الحاكم عن الحكم بعلمه لأنهم لما رضوا بما أعطاهم النبي ﷺ ثم رجعوا عنه فلم يلزمهم برضاهم الأول حتى كان ما رضوا به ظاهراً...، وروى عن أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- أنهما أقادا من العمال.

وممن رأى عليهم القود الشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه -رحمهم الله-»[2].

«وهكذا عُني الإسلام بالمنهج العاطفي، لأنه دين جاء بالخير، ويحب الخير للناس جميعاً، لا يفرق بين أتباعه وبين غيرهم من الناس، وليس أدلُّ على ذلك من دعوتهم جميعاً بغير استثناء إلى ذلك الخير، والعاطفة هي شيء باطني يدرك

---

(١) سورة الأنبياء، آية: (١٠٧).

(٢) معالم السنن شرح سنن أبي داود للخطابي، (١٩/٤).

به الإنسان ما لا يدركه بشيء من الحواس، فهي تعتبر حاسة سادسة في الإنسان، فكما أن الحواس الخمس تترك الإنسان متأثراً بما تحسه من الجمال والقبح، ومن الحرارة والبرودة، ومن الطيب والخبيث، فكذلك العاطفة تترك الإنسان متأثراً بالانفعالات التي تثار نحوها، ومن هنا كان توجيه العاطفة نحو الخير من أهم الوسائل التي تعين الدعاة على التوجيه، وتصل بهم إلى الغاية»[(١)].

وفي تأكيد هذا المنهج وأهميته القصوى في الدعوة تروي لنا أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- حديثاً من أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام تُبين من خلاله حرصه ﷺ على زيارة المرضى من أهله وأصحابه والدعاء لهم بالشفاء وإحاطتهم بالعاطفة والرعاية منه ﷺ، بل لقد تعدى الأمر ذلك إلى أن زار عليه الصلاة والسلام المرضى من غير المسلمين رجاء تأليف قلوبهم إلى الإسلام، فقد روى البخاري في صحيحه (عن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- أنَّ النبي ﷺ كان يُعَوِّذُ بعض أهله، يمسح بيده اليمنى ويقول: اللهم رب الناس، أذهب البأس، اشفه وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقماً)[(٢)].

وعن **عائشة** بنت سعد بن أبي وقاص: أن أباها قال: تَشَكَّيْتُ بمكة شكواً شديداً، فجاءني النبي ﷺ يعودني، فقلت: يا نبي الله، إني أترك مالاً، وإني لم أترك إلا ابنة واحدة فأوصي بثلثي مالي وأترك الثلث؟ فقال: لا. قلت: فأوصي بالنصف وأترك النصف؟ قال: لا. قلت: فأوصي بالثلث وأترك لها الثلثين؟ قال:

---

(١) تقنين الدعوة، للدكتور: محمَّد السيد الوكيل (ص١٨٩).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٥٧٤٣) (ص١٢٤٥) كتاب الطب، باب: رقية النبي ﷺ.

الثلث، والثلث كثير، ثم وضع يده على جبهته، ثم مسح يده على وجهي وبطني، ثم قال: اللهم اشف سعداً، وأتمم له هجرته، فما زلت أجد برده على كبدي -فيما يخال إلي- حتى الساعة)[1].

وعن أنس -رضي الله عنه- قال: (كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم. فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار)[2].

وهكذا يتضح من مجموع الأحاديث السابقة مدى عناية الإسلام بالمنهج العاطفي وأنه أساس مهم في نجاح الدعوة لكل أصناف المدعوين فقد استخدمه ﷺ مع أهله وأصحابه ومع غير المسلمين، وكان له الأثر البالغ في نجاح الدعوة واستمالة قلوب المدعوين واستجابتهم إلى هذا الدين.

وفي مسحه ﷺ على المريض قال النووي -رحمه الله-: «فيه استحباب مسح المريض باليمين والدعاء له وقد جاءت فيه روايات كثيرة صحيحة»[3].

وقد استنبط الحافظ ابن حجر -رحمه الله- من دعائه ﷺ في قوله (أنت الشافي) فائدة جليلة فقال: «يؤخذ منه جواز تسمية الله تعالى بما ليس في القرآن بشرطين:

---

(١) المصدر السابق، حديث رقم: (٥٦٥٩) (١٢٣٠) كتاب المرضى، باب: وضع اليد على المريض.

(٢) المصدر السابق، حديث رقم: (١٣٥٦) (ص٢٨٤) كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يُعرض على الصبي الإسلام.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/١٨٠) كتاب السلام، باب: استحباب رقية المريض.

أحدهما: أن لا يكون في ذلك ما يوهم نقصاً.

والثاني: أن يكون له أصل في القرآن وهذا من ذلك، فإن في القرآن: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾»(١).

وفي التأكيد على تصحيح العقيدة وتعليق القلب بالله وأنه وحده الشافي وأن الدواء والتداوي وطلب الطب ليست إلا أسباباً مقدرة، والمقَدِّر الفعلي للشفاء هو الله عزَّ وجلَّ، قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «قوله لا شافي إلا أنت إشارة إلى أن كل ما يقع من الدواء والتداوي إن لم يصادف تقدير الله تعالى وإلا فلا ينجع»(٢).

وفي بيان معنى قوله ﷺ: (شفاء لا يغادر سقماً) قال المناوي -رحمه الله-: «وفائدة التقييد به أنه قد يحصل الشفاء من ذلك المرض فيخلفه مرض آخر، وكان يدعو له بالشفاء المطلق لا بمطلق الشفاء(٣)».

وفي التأكيد على المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله من خلال زيارة المريض، أورد ابن القيم -رحمه الله- في هذا كلاماً لطيفاً تحت عنوان: فصل في هديه ﷺ في عيادة المريض، فقال -رحمه الله-: «كان ﷺ يعود من مرض من أصحابه، وعاد غلاماً كان يخدمه من أهل الكتاب، وعاد عمَّه وهو مشرك، وعرض عليهما الإسلام، فأسلم اليهودي، ولم يسم عمه، وكان يدنو من

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٠/٢٠٧)، والآية رقم: (٨٠) من سورة الشعراء.

(٢) المصدر السابق (١٠/٢٠٧).

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، للعلامة محمَّد المدعو عبد الرؤوف المناوي (٥/٨٦-٨٧).

المريض، ويجلس عند رأسه، ويسأله عن حاله فيقول: كيف تجدك؟ وذُكر أنه كان يسأل المريض عما يشتهيه، فيقول: هل تشتهي شيئاً؟ فإن اشتهى شيئاً وعلم أنه لا يضره، أمر له به، وكان يمسح بيده اليمنى على المريض...، وربما كان يقول: "كفارة وطهور")[1].

وتؤكد أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- على أهمية تحريك العاطفة نحو الخير لدى المدعوين، وتؤصل ذلك من خلال حديث ترويه عن رسول الله ﷺ، يتضح من خلاله أثر الهدية الطيب والفاعل في نفس المُهدَى إليه؛ إذ تورث المحبة والألفة بين الداعي والمدعو وتذيب كل الموانع والعوائق التي تحول دون المدعو واستجابته إلى الخير، ولقد نهجت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- هذا المنهج في الدعوة تأسياً به ﷺ، فقد روي عنها -رضي الله عنها- قالت: (كان يحمل ماء زمزم)[2].

وفي رواية: (كان يحمل ماء زمزم في الأداوي والقرب، وكان يصب على المرضى ويسقيهم)[3].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمَّد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية (١/٤٩٤-٤٩٧).

(٢) الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت:٩١١هـ) (٢/١١٦)، والحديث صححه الألباني -رحمه الله- في: صحيح الجامع الصغير وزيادته للشيخ محمَّد ناصر الدين الألباني، حديث رقم: (٤٩٣١) (٢/٨٨٥).

(٣) السنن الكبرى للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت:٤٥٨هـ) (٥/٢٠٢) كتاب الحج، باب: الرخصة في الخروج بماء زمزم، الطبعة الأولى (١٣٥٢هـ).
والحديث صححه الألباني في: السلسلة الصحيحة، حديث رقم: (٨٨٣) (٢/٥٤٣).

وفي رواية الترمذي عنها -رضي الله عنها-: (أنها كانت تحمل ماء زمزم وتخبر أن رسول الله ﷺ كان يحمله)[١].

وأفرد البخاري -رحمه الله- في صحيحه كتاباً كاملاً للهبة، وما ذاك إلا لِعِظَم أثرها على الناس، وتأكيداً لمشروعيتها فقال -رحمه الله-: (كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها)[٢]. وساق تحته من الأحاديث والآثار الشيء الكثير، كل ذلك بياناً لأهمية الهبة وأثرها الطيب في نفوس المدعوين، بل لقد تجاوز الأمر تأليف قلوب المسلمين بالهدية إلى تأليف قلوب المشركين، عن طريق الهدية لهم ومواصلتهم لتأليف قلوبهم إلى الإسلام، فقد عقد البخاري باباً في كتاب الهبة سماه: باب الهدية للمشركين، وقول الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[٣] وأورد فيه حديثاً عن أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- (قالت: قَدِمَتْ عليَّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ استفتيت رسول الله ﷺ قلت: إن أمي قدمت وهي راغبة[٤]، أفأصل أمي؟ قال: نعم، صلي أمك)[٥].

وفي توضيح المراد بالهبة قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «الهدية هي

---

(١) سنن الترمذي، لأبي عيسى محمَّد بن عيسى بن سورة، حديث رقم: (٩٦٣) (٣/٢٩٥) كتاب الحج: بابٌ، قال أبوعيسى: هذا حديث حسن غريب.

(٢) صحيح البخاري، (ص٥٣٣) كتاب الهبة.

(٣) سورة الممتحنة، آية: (٨).

(٤) المعنى: أنها قدمت طالبة في بر ابنتها لها خائفة من ردها إياها خائبة، وقيل: راغبة في الإسلام، وقيل: راغبة عن ديني. انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر (٥/٢٣٤).

(٥) صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٦٢٠) (ص٥٤٤) كتاب الهبة، باب: الهدية للمشركين.

ما يكرم به الموهوب له...، وتطلق الهبة بالمعنى الأخص على ما لا يقصد له بدل، وعليه ينطبق قول من عرَّف الهبة بأنها تمليك بلا عوض»[1].

وفي توضيح المراد من قول أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- أنه ﷺ كان يحمل زمزم. قال المناوي -رحمه الله-: «أي من مكة إلى المدينة ويهديه لأصحابه، وكان يستهديه من أهل مكة، فيسن فعل ذلك»[2].

وقيل: «فيه دليل على استحباب حمل ماء زمزم إلى المواطن الخارجة عن مكة»[3].

وأما ما يرد من استفسار في موضوع حديث أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- في حكم الهدية للمشركين وقبول هداياهم، وهل هذا الأمر على الإطلاق، أم هي حادثة عين؟ أجاب عن ذلك الحافظ ابن حجر -رحمه الله- بقوله: «المراد منها بيان من يجوز برّه منهم، وأن الهدية للمشرك إثباتاً ونفياً ليست على الإطلاق، ومن هذه المادة قوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ﴾ الآية، ثم البر والصلة والإحسان لا يستلزم التحابب والتوادد المنهي عنه في قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآية، فإنها عامة في حق من قاتل ومن لم يقاتل»[4].

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٩٧/٥).

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، (٢١٠/٥).

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للإمام أبي العلا محمَّد بن عبدالرحمن المباركفوري (٣٧/٤).

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٢٣٣/٥).
والآية الأولى من سورة لقمان برقم: (١٥) والأخرى من سورة المجادلة برقم: (٢٢).

٢- أثر المنهج العاطفي في التربية عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

هـذه **أم المؤمنـين عائشـة** -رضـي الله عنهـا- تـبرهن علـى أهميـة المنهـج العاطفي في التربية. يتضح ذلك للمتأمل في كثير من الأحاديث الـتي روتهـا عـن النبي ﷺ في هذا الشأن. فها هـي تؤكـد علـى هـذا المنهـج مـن خـلال الحديـث التالي، ناقلة للأمة مدى حرصـه ﷺ علـى ملاطفـة أهلـه ومسـامرتهم والحديـث معهم، وللأمة في ذلك أعظم درس في التربية على هذا الخلق العظيـم مـن خـلال العاطفة الصادقة، فقد ثبـت في الصحيـح (عـن أم المؤمنـين **عائشـة** -رضـي الله عنها-: أن النبي ﷺ كان إذا صلى، فإذا كنت مستيقظة حَدَّثني، وإلا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة)[١].

وفي رواية (عنها -رضي الله عنها-: أن النبي ﷺ كان يصلي ركعتين، فإن كنت مستيقظة حدَّثني، وإلا اضطجع)[٢].

وفي صحيح مسلم (عن **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: كان النبي ﷺ إذا صلَّى ركعتي الفجر، فإن كنت مستيقظة، حدثني، وإلا اضطجع)[٣].

---

(١) متفق عليه واللفظ للبخاري، حديث رقم: (١١٦١) (ص٢٤٥) كتاب التهجد، باب: من تحدَّث بعد الركعتين ولم يضطجع.

(٢) المصدر السابق، حديث رقم: (١١٦٨) (ص٢٤٧) كتاب التهجد، باب: الحديـث -يعني- بعد ركعتي الفجر.

(٣) صحيح مسلم، حديث رقم: (٧٤٣) (ص٢٩٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ في الليل، وأن الوتر ركعة، وأن الركعة صلاة صحيحة.

ويؤخذ من مجموع هذه الأحاديث اضطجاعه ﷺ بعد صلاته في الليل عموماً، وهذا لم يكن محل خلاف بين العلماء، أما الوقت الذي وقع فيه الاضطجاع فقد كان محل بحث عند أهل العلم، فمن رأى أن الاضطجاع كان عقب صلاة الليل وليس بعد ركعتي الفجر فقد ورد ذلك عن القاضي عياض -رحمه الله- في شرحه لحديث مسلم السابق فنقل عنه: «استحباب الاضطجاع بعد سنة الفجر عن الشافعي وأصحابه، ثم أنكر عليهم وقال: قال مالك وجمهور العلماء وجماعة من الصحابة: ليس هو سنة؛ بل سموه بدعة، واستدل بأن أحاديث **عائشة** -رضي الله عنها- في بعضها الاضطجاع قبل ركعتي الفجر بعد صلاة الليل، وفي بعضها بعد ركعتي الفجر، وفي حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قبل ركعتي الفجر، فدل على أنه لم يكن مقصوده»[1].

لكن النووي -رحمه الله- ردَّ ذلك وأفاد بأن حَمْلَ فِعْلِه ﷺ على الغالب أولى من التخصيص فقال -رحمه الله-: «والصحيح أو الصواب أن الاضطجاع بعد سنة الفجر لحديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ (إذا صلى أحدكم ركعتي الفجر فليضطجع على يمينه)[2] رواه أبو داود والترمذي بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم قال الترمذي: هو حديث حسن صحيح، فهذا حديث صحيح صريح في الأمر بالاضطجاع، وأمَّا حديث

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت:٥٤٤هـ) (٣/٨٢-٨٣) بتصرف.

(٢) سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سوره (ت:٢٩٧هـ)، حديث رقم: (٤٢٠) (٢/٢٨١)، باب: ما جاء في الاضطجاع بعد ركعتي الفجر.

عائشة -رضي الله عنها- بالاضطجاع بعدها وقبلها وحديث ابن عباس قبلها فلا يخالف هذا فإنه لا يلزم من الاضطجاع قبلها أن لا يضطجع بعد، ولعله ﷺ ترك الاضطجاع بعدها في بعض الأوقات بياناً للجواز لو ثبت الترك و لم يثبت فلعله كان يضطجع قبل وبعد وإذا صح الحديث في الأمر بالاضطجاع بعدها مع روايات الفعل الموافقة للأمر به تعين المصير إليه، وإذا أمكن الجمع بين الأحاديث لم يجز رَدُّ بعضها وقد أمكن بطريقين أشرنا إليهما، أحدهما: أنه اضطجع قبل وبعد، والثاني: أنه تركه بعد في بعض الأوقات لبيان الجواز والله أعلم»(1).

وقال البيهقي: «أشار الشافعي -رحمه الله تعالى- إلى أن الاضطجاع المنقول عنه ﷺ إنما هو للفصل بين النافلة والفريضة فيحصل بالاضطجاع والتحدث أو التحول من ذلك المكان أو نحو ذلك، والاضطجاع غير متعين لذلك -وأورد أثراً عن ابن عمر -رضي الله عنهما- بلفظ:- "عن أبي الصديق الناجي أن ابن عمر رأى قوماً قد اضطجعوا بعد الركعتين قبل صلاة الفجر فقال: ارجع إليهم فسلْهم: ما حملهم على ما صنعوا؟ فأتيتهم، فسألتهم فقالوا: نريد السنة، قال ابن عمر: ارجع إليهم فأخبرهم أنه بدعة»(2).

وأورد النووي -رحمه الله في المجموع قول البيهقي السابق وعلق عليه بقوله: «والمختار الاضطجاع لظاهر حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، وأما ما رواه

---

(1) شرح النووي على صحيح مسلم (٦/١٩-٢٠).

(2) كتاب السنن الكبرى للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت:٤٥٨هـ) (٣/٤٦) كتاب الصلاة، باب: ما ورد في الاضطجاع بعد ركعتي الفجر، بتصرف.

البيهقي عن ابن عمر أنه قال: "هي بدعة" فإسناده ضعيف[1]، ولأنه نفى فوجب تقديم الإثبات عليه، وا لله أعلم»[2].

وإلى هذا ذهب الحافظ ابن حجر -رحمه ا لله- حيث قال: «وأرجح الأقوال مشروعيته -أي الاضطجاع- للفصل، لكنه لا بعينه -ثم قال: قوله (باب من تحدث بعد الركعتين و لم يضطجع) أشار بهذه الترجمة إلى أنه ﷺ لم يكن يداوم عليها، وبذلك احتج الأئمة على عدم الوجوب، وحملوا الأمر الوارد بذلك في حديث أبي هريرة -رضي ا لله عنه- عند أبي داود وغيره على الاستحباب»[3].

وفي حديث آخر توجه أم المؤمنين **عائشة** -رضي ا لله عنها- الأمة إلى التربية على العاطفة المضبوطة بميزان الشرع في حالة نزول المصائب بالعبد المؤمن، وهذا من كمال هذه الشريعة الخالدة وتوافقها مع الفطرة البشرية. فالحزن والدموع عند مفارقة الأحباب -خاصة عند الفراق العظيم والوداع الأخير- أمرٌ لا يتعارض مع الشرع، وقد فَعَلَه ﷺ تحقيقاً لبشريته وتوافقاً مع العواطف البشرية التي فطر ا لله عليها الخلق.

---

(١) في سنده زيد العمي ضعفه البيهقي في باب النفاس. انظر: المصدر السابق (٤٦/٣).

(٢) المجموع شرح المهذب للإمام أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت:٦٧٦هـ) (٣٦/٤) باب: صلاة التطوع.

(٣) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٤٣/٣) بتصرف، كتاب التهجد، باب: الضجعة على الشق الأيمن بعد ركعتي الفجر، وباب: من تحدَّث بعد الركعتين و لم يضطجع.

فقد جاء في سنن أبي داود (عن **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: رأيت رسول الله ﷺ يُقبِّل عثمان بن مظعون وهو ميت، حتى رأيت الدموع تسيل)[١].

وفي رواية عنها قالت: (قَبَّل رسول الله ﷺ عثمان بن مظعون وهو ميت، فكأني أنظر إلى دموعه تسيل على خَدَّيه)[٢].

وفي الصحيح (أن **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: أقبل أبوبكر -رضي الله عنه- على فرسه من مسكنه بالسُّنْح[٣]، حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم الناس، حتى دخل على **عائشة** -رضي الله عنها- فتيمَّم[٤] النبي ﷺ وهو

---

(١) سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت:٢٧٥هـ) حديث رقم: (٣١٦٣) (٣/٢٠١) كتاب الجنائز، باب: في تقبيل الميت، والحديث صححه الألباني -رحمه الله- في: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم: (٣١٦٣) (٢/٢٨٩).

(٢) سنن ابن ماجة للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت:٢٧٥هـ) حديث رقم (١٤٥٦) (١/٤٦٨) كتاب الجنائز، باب: ما جاء في تقبيل الميت، والحديث صححه الألباني في: صحيح سنن ابن ماجة، حديث رقم: (١٢٠٠-١٤٧٨) (٢/٩).

(٣) السنح: إحدى محالّ المدينة كان بها منزل أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- وهي منازل بني الحارث بن الخزرج بعوالي المدينة، وبينها وبين منزل النبي ﷺ ميل. انظر: معجم البلدان للإمام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (٣/٢٦٥).

(٤) فتيمم: أي قصد. وتيممته: تقصَّدته، قوله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ أي: اقصدوا الصعيد الطيب، ثم كثر استعمال هذه الكلمة حتى صار التيمم في عرف الشرع: عبارة عن استعمال التراب في الوجه واليدين على هيئة مخصوصة. انظر: المصباح المنير للعلامة أحمد بن محمد الفيومي مادة (يمم) (٢/٣٥٨).

مُسجى[1] ببُردٍ[2] حِبَرةٍ[3]، فكشف عن وجهه، ثم أكبَّ عليه فقبَّله، ثم بكى فقال: بأبي أنت يا نبي الله، لا يجمع الله عليك مَوْتَتين.....)[4] الحديث.

وفي توضيح هديه ﷺ في هذا الشأن، عقد الإمام ابن القيم -رحمه الله- فصلاً في ذلك قال فيه: «وسَنَّ -ﷺ- الخشوع للميت، والبكاء الذي لا صوت معه، وحزن القلب، وكان يفعل ذلك ويقول: (تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يُرضي الرب)[5]. وسن لأمته الحمد والاسترجاع، والرضى عن الله، ولم يكن منافياً لدمع العين وحُزن القلب، ولذلك كان أرضى الخلق عن الله في قضائه، وأعظمهم له حمدا، وبكى مع ذلك يوم موت ابنه إبراهيم رأفة منه، ورحمة للولد، ورقة عليه، والقلب ممتلئ بالرضى عن الله عزَّ وجلَّ وشكره،

---

(١) سجيت الميت: بالتثقيل: إذا غطيته بثوب ونحوه. انظر: المصدر السابق، مادة (سجا يسجو ٢٨٦/١٠).

(٢) ببُردٍ: البُرد نوع من الثياب معروف. والجمع أبراد وبُرود، والبُرْدة: الشملة المخططة. وقيل: كساء أسود مُربَّع فيه صِغر تلبسه الأعراب، وجمعها: بُرَد. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت:٦٠٦هـ) مادة (برد) (١١٦/١).

(٣) حِبَرة: الحبير من البُرود: ما كان مَوْشِيّاً مخططاً. يقال: بُرْدُ حَبِير، وبُرْدُ حِبَرة بوزن عِنَبة: على الوصف والإضافة، وهو بُرْد يَمَانٍ، والجمع حِبَرٌ وحِبَرات. انظر: المصدر السابق، مادة (حبر) (٣٢٨/١).

(٤) صحيح البخاري، حديث رقم: (١٢٤١-١٢٤٢) (ص٢٦٢) كتاب الجنائز، باب: الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في كفنه.

(٥) صحيح البخاري، حديث رقم: (١٣٠٣) (ص٢٧٤) كتاب الجنائز، باب: قول النبي ﷺ "إنا بك لمحزونون"، وفي صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٣١٥) (ص٩٤٧) كتاب الفضائل، باب: رحمته ﷺ للصبيان والعيال.

واللسان مشتغل بذكره وحمده...، وكان من هديه ﷺ تسجية الميت إذا مات، وتغميض عينيه، وتغطية وجهه وبدنه، وكان ربما يُقبل الميت كما قبل عثمان بن مظعون وبكى، وكذلك الصدِّيق أكب عليه، فقبَّله بعد موته ﷺ[1].

عقد صاحب النيل -رحمه الله- باباً خاصاً أورد فيه حديث أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- السابق، وحديث الصحيح في تقبيل الصديق -رضي الله عنه- للنبي ﷺ بعد موته فقال -رحمه الله-: «فيه -أي حديث الصديق -رضي الله عنه- جواز تقبيل الميت لأنه لم ينقل أنه أنكر أحد من الصحابة على أبي بكر -رضي الله عنه- فكان إجماعا. قوله "قَبَّل رسول الله ﷺ عثمان" فيه دلالة على جواز تقبيل الميت كما تقدم. قوله: "حتى رأيت الدموع" فيه جواز البكاء على الميت»[2].

لقد سمىَّ الحق تبارك وتعالى الموت مصيبة في أكثر من آية من كتاب الله، وما ذاك إلا لأن النفس البشرية يصيبها من هولها ما يذهلها، وقد يخرجها من دائرة الصواب.

إن هذا الموقف النبوي الوارد في حديث أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها-

---

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ) (١/٤٩٩ و٥٠٢) بتصرف.

(٢) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت:١٢٥٥هـ) (٤/٥٦) بتصرف، كتاب الجنائز، باب: تسجية الميت والرخصة في تقبيله. انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي (٨/٤٤٣-٤٤٤) كتاب الجنائز، باب: في تقبيل الميت.

يؤكد التربية على ضبط العواطف البشرية بضابط الشرع الذي لا يخرجها إلى دائرة التسخط والاعتراض على قضاء الله وقدره، وفي الوقت نفسه يعطي النفس البشرية حقها في التنفيس عما يخالجها من عواطف وأحزان لفراق الأحباب.

لقد تناول سيّد قطب -رحمه الله- هذا المعنى وبينه غاية البيان عند الكلام على قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ . لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾(١)

قال -رحمه الله-: «إن هذا الوجود من الدقة والتقدير بحيث لا يقع فيه حادث إلا وهو مقدر من قبل في تصميمه، محسوب حسابه في كيانه، لا مكان فيه للمصادفة، ولا شيء فيه جزاف. وقبل خلق الأرض وقبل خلق الأنفس كان في علم الله الكامل الشامل الدقيق، كل حدث سيظهر للخلائق في وقته المقدور...، فكل مصيبة -من خير أو شر فاللفظ على إطلاقه اللغوي لا يختص بخير ولا بشر- تقع في الأرض كلها وفي أنفس البشر أو المخاطبين منهم يومها، هي في ذلك الكتاب الأزلي من قبل ظهور الأرض وظهور الأنفس في صورتها التي ظهرت بها..... ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

وقيمة هذه الحقيقة التي لا يتصور العقل غيرها حين يتصور حقيقة الوجود الكبرى. قيمتها في النفس البشرية أن تسكب فيها السكون والطمأنينة عند استقبال الأحداث خيرها وشرها. فلا تجزع الجزع الذي تطير به شعاعاً وتذهب

---

(١) سورة الحديد، آية: (٢٢-٢٣).

معه حسرات عند الضراء. ولا تفرح الفرح الذي تستطار به وتفقد الاتزان عند السراء: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ هذه درجة قد لا يستطيعها إلا القليلون. فأما سائر المؤمنين فالمطلوب منهم ألا يخرجهم الألم للضراء، ولا الفرح بالسراء عن دائرة التوجه إلى الله، وذكره بهذه وبتلك، والاعتدال في الفرح والحزن. قال عكرمة -رضي الله عنه-: (ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا الفرح شكراً والحزن صبراً)......وهذا هو اعتدال الإسلام الميسر للأسوياء»[1].

وتشير أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- إلى المنهج العاطفي في التربية من خلال حديث نبوي ترويه عن رسول الله ﷺ يتضح من خلاله مدى أهمية العاطفة في التربية والرحمة وأن الأخيار والصالحين يجب أن تتوفر فيهم مثل هذه السجايا والخصال الحميدة رحمة بالأمة بدءاً من الصبيان وانتهاءً بالشيوخ، وهذا رسول الله ﷺ وهو قدوة المقتدين يسع الجميع عطفه ورحمته وحلمه، فقد جاء في الصحيح (عن **عائشة** أم المؤمنين -رضي الله عنها- أنها قالت: أُتي رسول الله ﷺ بصبي، فبال على ثوبه، فدعا بماء فأتبعه إياه)[2].

وفي رواية (عن **عائشة** زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالصبيان فَيُبَرِّكُ عليهم ويحنكهم، فَأُتي بصبي فبال عليه، فدعا بماء، فأتبعه بوله ولم يغسله)[3].

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب -رحمه الله- (٣٤٩٣/٦).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٢٢) (ص٦٥) كتاب الوضوء، باب: بول الصبيان.

(٣) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٨٦) (ص١٣٧) كتاب الطهارة، باب: حكم بول الطفل والرضيع وكيفية غسله.

وقد يقول قائل وأين إدراك الصبي للعاطفة والرحمة من هذا الموقف؟ والجواب على ذلك يتلخص في أن الصبي لا يدرك بعقله بقدر ما يدرك بحواسه، فهو يشعر بمن يحسن إليه، ألا ترى كيف يتعطف على أمه دون غيرها. ثم إنَّ هذا الصبي أتى به وليه يرجو بركة دعاء النبي ﷺ وتحنيكه له، ففي الرفق بهذا الصبي رفق بوالديه، وفي رحمته رحمة لوالديه، والإحسان إليه إحسان لوالديه فما أعظم هذا الخلق الكريم منك يا رسول الله، كيف لا وقد أثنى عليك الحق تبارك وتعالى في كتابه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

ومما يستفاد من فقه هذا الحديث ما أورده النووي -رحمه الله- حيث قال: «وفيه استحباب تحنيك المولود...، وفيه الندب إلى حسن المعاشرة واللين والتواضع والرفق بالصغار وغيرهم وفيه أن بول الصبي يكفي فيه النضح، وقد اختلف العلماء في كيفية طهارة بول الصبي والجارية على ثلاثة مذاهب:

الأول: وهو الصحيح المشهور المختار أنه يكفي النضح في بول الصبي ولا يكفي في بول الجارية بل لا بد من غسله كسائر النجاسات.

الثاني: يكفي النضح فيهما.

الثالث: لا يكفي النضح فيهما»[2].

قال البغوي -رحمه الله-: «بول الصبي الذي لم يطعم: نجس، كبول غيره، غير أنه يكتفي فيه بالرش، وهو أن ينضح عليه الماء بحيث يصل إلى جميعه،

(١) سورة القلم، آية: (٤).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٣/١٩٤-١٩٥) كتاب الطهارة، باب: حكم بول الطفل الرضيع.

فيطهر من غير مرس[1] ولا دلك، وإليه ذهب غير واحد من الصحابة، منهم علي بن أبي طالب، وبه قال عطاء بن أبي رباح، والحسن، وهو قول الشافعي، وأحمد، وإسحاق، وقالوا: ينضح بول الغلام ما لم يطعم، ويغسل بول الجارية»[2].

وأما مسألة نجاسة البول فمتفق عليها، وهذا الخلاف إنما هو في كيفية تطهير الشيء الذي بال عليه الصبي، أشار إلى هذا النووي -رحمه الله- حيث قال: «واعلم أن هذا الخلاف إنما هو في كيفية تطهير الشيء الذي بال عليه الصبي ولا خلاف في نجاسته، وقد نقل بعض أصحابنا إجماع العلماء على نجاسة بول الصبي وأنه لم يخالف فيه إلا داود الظاهري. قال الخطابي وغيره: وليس تجويز من جوز النضح في الصبي من أجل أن بوله ليس بنجس، ولكنه من أجل التخفيف في إزالته فهذا هو الصواب، وأما ما حكاه أبو الحسن بن بطال ثم القاضي عياض عن الشافعي وغيره أنهم قالوا بول الصبي طاهر فينضح فحكاية باطلة قطعاً»[3].

وفي الإشارة لبعض الفوائد والدروس المستفادة من هذه الأحاديث قال الإمام العيني -رحمه الله-: «ومن الفوائد الرفق بالصغار والشفقة عليهم،

(١) المرس: الدلك، وهو مصدر مَرَسَ التمر يمرُسه ومَرَثَه يَمْرُثُهُ إذا دلكه في الماء. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣١٩/٤)، وانظر: لسان العرب لابن منظور مادة (مرس) (٢١٦/٦).

(٢) شرح السنة للإمام الحسين بن مسعود البغوي (ت:٥١٦هـ) (٨٥/٢) كتاب الطهارة: باب: بول الصبي الذي لم يطعم.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٩٥/٣).

ألا ترى أن سيد الأولين والآخرين كيف كان يأخذهم في حجره ويتلطَّف بهم حتى إنَّ منهم من يبول على ثوبه فلا يؤثر فيه ذلك ولا يتغير، ولهذا كان يخفف الصلاة عند سماعه بكاء الصبي وأمه وراءه، وروي عنه أنه قال: "من لم يرحم صغيرنا فليس منا"، ومنها حمل الأطفال إلى أهل الفضل والصلاح ليدعوا لهم»[(١)].

وتوجه أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- الأمة من خلال حديث ترويه عن المصطفى عليه الصلاة والسلام تؤكد من خلاله على أهمية العاطفة وأثرها على المدعوين، حيث شهد المصطفى عليه الصلاة والسلام بكمال إيمان العبد إذا هو اتصف بخصلتين هما حسن الخلق والرفق واللين بالأهل، فإذا كان هذا مطالب به عامة الناس فكيف بخاصتهم من أهل العلم والدعاة إلى الله فتحلِّيهم بمثل هذه الأخلاق الفاضلة الحسنة من باب أولى؛ حتى تدخل محبتهم قلوب الناس وتبعاً لذلك يحصل النفع وتعظم الفائدة بدعوتهم بإذن الله عزَّ وجلَّ، فقد جاء (عن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله)[(٢)].

وفي التأكيد على هذا المعنى، قال بعض شراح الحديث: «وكمال الإيمان

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للإمام بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني (ت:٨٥٥هـ) (١٣٣/٣) كتاب الوضوء، باب: بول الصبيان.

(٢) سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت:٢٩٧هـ) حديث رقم: (٢٦١٢) (٩/٥) كتاب الإيمان، باب: ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه. قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح، وضعفه الألباني كما في (ص٤٢٤) طبعة بيت الأفكار الدولية. والحديث رواه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم: (٢٤٧٠٨) (ص١٨١٤) حديث السيدة **عائشة** -رضي الله عنها-.

يوجب حسن الخلق والإحسان إلى كافة الإنسان. وقوله: "وألطفهم بأهله" أي أرفقهم وأبرهم بنسائه وأولاده وأقاربه وعترته والحديث يدل على أن المؤمنين كلهم ليسوا سواء في الإيمان بل بعضهم أكمل إيماناً من بعض»[1].

وأضاف بعضهم في التأكيد على حسن المعاملة مع الأهل وبذل العاطفة لهم من خلال التربية الحسنة المبنية على المسامحة والعفو والرحمة نظراً لما جُبل عليه النساء من قلة الصبر، ونقص العقل. كما تتعين الرحمة كذلك بالصبيان من باب أولى، ويلحق بهم الأهل والأقارب والعشيرة بشكل عام، فقيل في ذلك: «أي -أن الخيرية وكمال الإيمان- لمن يعاملهن بالصبر على أخلاقهن ونقصان عقلهن وطلاقة الوجه والإحسان إليهن، ولهذا كان المصطفى ﷺ أحسن الناس معاشرة لعياله، وهو شامل لكل من ينتمي إلى الرجل من زوجة وأصول وفروع وأقارب أو من تلزمه نفقته منهن، أو الكل والحمل على الأعم أتم»[2].

وقد عنيت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- بتربية الأمة على العطف والمحبة والتراحم بين أفرادها وجماعاتها، بل لقد وسع ذلك البهائم العجماوات

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للإمام أبي العلا محمد بن عبدالرحمن المباركفوري (ت:١٣٥٣هـ) (٣٥٧/٧).

(٢) بلوغ الأماني شرح الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني للشيخ أحمد بن عبدالرحمن البنا (٧٥/١٩) بتصرف، كتاب الأخلاق الحسنة وما جاء فيها، باب: الترغيب في محاسن الأخلاق. وهذا الشرح لحديث أبي هريرة -رضي الله عنه- ونصه: (قال قال رسول الله ﷺ: "اكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقا وخيارهم خيارهم لنسائهم). وحديث أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- أورده صاحب الرباني في كتاب النكاح. أبواب حقوق الزوجين، باب: فضل إحسان العشرة مع الزوجة (٢٣٦/١٦).

التي لا تعقل، يتضح ذلك من خلال حديث نبوي، تشير من خلاله إلى ما كان يشملها به ﷺ من التربية على هذا الخلق الكريم، وهي في الوقت نفسه تنقل هذا المنهج النبوي في التربية على العاطفة وتورِّثه للأمة من خلال روايتها لهذا الحديث الذي يعتبر باباً في هذا المنهج، فقد روي (عن المقدام[1] بن شريح، عن أبيه، قال: سألت **عائشة** -رضي الله عنها- عن البداوة فقالت: كان رسول الله ﷺ يبدو إلى هذه التلاع، وإنه أراد البداوة مرة فأرسل إليَّ ناقة مُحَرَّمَةً من إبل الصدقة، فقال لي: "يا **عائشة**! ارفقي"؛ فإن الرفق لم يكن في شيء قط إلاَّ زانه، ولا نزع من شيء قط إلا شانه)[2].

وفي رواية عن المقدام بن شريح الحارثي عن أبيه قال: قلت **لعائشة**: هل كان النبي ﷺ يبدو؟ قالت: نعم، كان يبدو إلى هذه التلاع....)[3] الحديث.

---

(١) هو المقدام بن شريح بن هانئ بن يزيد الحارثي الكوفي. روى عن أبيه. قال أحمد وأبو حاتم والنسائي ثقة. ذكره ابن حبان في الثقات. انظر: تهذيب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ) (٢٨٧/١٠).

(٢) سنن أبي داود، حديث رقم: (٢٤٧٨) (٣/٣) كتاب الجهاد، باب: ما جاء في الهجرة وسكن البدو، والحديث صححه الألباني في: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم: (٢٤٧٨) (٨٩/٢).

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم: (٢٤٨١١) (ص١٨٢١)، وفي الإفادة عن بعض مفردات هذا الحديث قال الإمام الخطابي -رحمه الله-: «البداوة هي الخروج إلى البدو والمقام به، وفيه لغتان: البَداوة بفتح الباء، والبِداوة بكسرها. والناقة المحرمة: هي الناقة التي لم تركب، ولم تذلل، فهي غير وطيئة، ويقال: أعرابي محرَّم، إذا كان جلفاً لم يخالط أهل الحضر. والتلاع: جمع تلعة، وهي ما ارتفع من الأرض وغلظ وكان ما سفل منها مسيلاً لمائها». معالم السنن شرح سنن أبي داود للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي (ت:٣٨٨هـ) (٢٠٢/٢-٢٠٣) كتاب الجهاد، باب: ومن سكنى البدو، حديث رقم: (٦٨٩).

ويؤخذ من هذا الحديث رفقه ﷺ بأهله ووصيته لهم بذلك، كما يتضح ذلك من خلال أسلوبه العاطفي بقوله: "**يا عائشة**" مستدراً مكامن العاطفة والرحمة في قلبها، وذلك توطِئة للنصح والتوجيه الذي يريده في الحث على الرفق والرحمة بخلق الله، وتنقل أم المؤمنين -رضي الله عنها- هذا الدرس العاطفي في التربية للأمة عموماً وللدعاة إلى الله على وجه الخصوص، ليستفيدوا منه وليكون نبراساً لهم على طريق الدعوة.

إن المنهج العاطفي في التربية ليس مقصوراً على عبارات منمقة، وأساليب مشوقة، وخطب رنانة يضمنها الدعاة دعوتهم وهي بعيدة عن حيز التنفيذ. بل هو سلوك عملي واقعي يراه المدعوون ويحسون به، ويتأثرون به، وبالتالي يكون مفتاحاً للخير الذي يقصده الدعاة إلى الله، ألا وهو استجابة المدعوين والأخذ بأيديهم إلى طريق الهدى والرشاد.

لقد أكّدت هذه المعاني أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في كثير من الأحاديث النبوية التي روتها عن رسول الله ﷺ.

وقد شملها عليه الصلاة والسلام بعطف ورعاية أثمرت تربية ناجحة لداعية ملهمة موفقة نفع الله بها الأمة جيلاً بعد جيل. فها هي -رضي الله عنها- تبرهن على واقعية هذا المنهج العاطفي في التربية من خلال سلوكه ﷺ معها ورحمته بها وعطفه عليها، وكم أثرت هذه المعاملة الحسنة من تربية صالحة وأثر طيب عليها وعلى نفس كل مؤمن.

روى مسلم -رحمه الله- في صحيحه بسنده (عن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: كنت أشرب وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ، فيضع

فاه على موضع فيَّ، فيشرب، وأتعرَّقُ الْعَرْقَ وأنا حـائض، ثـم أناوله النبي ﷺ، فيضع فاه على موضع فِيَّ»[1].

ودلالة الحديث ظاهرة على طهارة بدن الحائض وسؤرها وجواز مؤاكلتها وغير ذلك من أمور المعيشة الضرورية، وإلى هذا أشار النووي -رحمه الله- بقوله: «قال العلماء: لا تكره مضاجعة الحائض ولا قبلتها ولا الاستمتاع بها فيما فوق السرة وتحت الركبة ولا يكره وضع يدها في شيء من المائعات ولا يكره غسلها رأس زوجها أو غيره من محارمها وترجيله ولا يكره طبخها وعجنها وغير ذلك من الصنائع وسؤرها وعرقها طاهران وكل هذا متفق عليه، وقد نقل الإمام أبو جعفر محمد بن جرير في كتابه في مذاهب العلماء إجماع المسلمين على هذا كله ودلائله من السنة ظاهرة مشهورة وأما قول الله تعالى: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ ، فالمراد: اعتزلوا وطأهن ولا تقربوا وطأهن والله اعلم»[2].

---

(١) صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت:٢٦١هـ) حديث رقم: (٣٠٠) (ص١٤١) كتاب الحيض، باب: جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه، وفي توضيح بعض مفردات الحديث قال القاضي عياض -رحمه الله-: «وقولها: "أتعرَّقُ العَرْق" بفتح العين وسكون الراء، وهو العظم الذي عليه اللحم، وجمعه عُرَاق، ويقال: عرقتُ العظم واعترقتُه وتعرَّقتُه إذا أخذت عنه اللحم بأسنانك». إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت:٥٤٤هـ) (١٣٢/٢).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٠٧/٣) كتاب الحيض، باب: الاضطجاع مع الحائض في لحاف واحد، والآية رقم: (٢٢٢) في سورة البقرة.

وتستخدم أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- العبارات المستدرة للعاطفة مع مدعويها كما تعلمت ذلك من رسول الله ﷺ، وهي هنا تنادي المدعو بكنيته تَحَبُّباً إليه وتعطيفاً لقلبه لتربي عنده مخافة الله عزَّ وجلَّ ومراقبته، وتذكّره بأمر مهم حَذَّر منه رسول الله ﷺ، فقد جاء في الصحيحين و غيرهما (عن يحيى[1] بن أبي كثير قال: حدثني محمد[2] بن إبراهيم: أن أبا سلمة حَدَّثه: أنه كانت بينه وبين أناس خصومة، فذكر **لعائشة** -رضي الله عنها- فقالت: يا أبا سلمة، اجتنب الأرض، فإن النبي ﷺ قال: من ظلم قيد شبر من الأرض طُوِّقه من سبع أرضين)[3].

ومما أفاد به النووي -رحمه الله- في تحديد المراد من قوله ﷺ "طوقه من سبع أرضين" قال -رحمه الله-: «وأمَّا التطويق المذكور في الحديث فقالوا يحتمل أن معناه أنه يحمل مثله من سبع أرضين ويكلف إطاقة ذلك، ويحتمل

---

(١) هو يحيى بن أبي كثير الطائي روى عن أنس وأبي سلمة بن عبدالرحمن وغيرهم. ذكره ابن حبان في الثقات. مات سنة تسع وعشرين ومائة. انظر: تهذيب التهذيب للحافظ أحمد بن علي ابن حجر (٢٦٨/١١).

(٢) هو محمد بن إبراهيم بن الحارث القرشي التيمي. روى عن أبي سعيد الخدري وغير. كان ثقة كثير الحديث. مات سنة عشرين ومائة. انظر: المصدر السابق (٥/٩).

(٣) متفق عليه واللفظ للبخاري. انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٤٥٣) (ص٥٠٩) كتاب المظالم والغصب، باب: إثم من ظلم شيئاً من الأرض، وانظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (١٦١٢) (ص٦٥٧) كتاب المساقاة، باب: تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها، ومعنى قوله ﷺ (قيد شبر: أي قدر شبر، ومنه الحديث حتى ترتفع الشمس قيد رمح أي: قدر رمح) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١٣١/٤).

أن يكون يجعل له كالطوق في عنقه كما قال سبحانه وتعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ وقيل معناه: أنه يطوَّقُ إثم ذلك ويلزمه كلزوم الطوق بعنقه، وعلى تقدير التطويق في عنقه يطوِّل الله تعالى عنقه كما جاء في غلظ جلد الكافر وعِظَمِ ضرسه»[1].

وقد زاد الحافظ ابن حجر -رحمه الله- على هذه الأقوال فقال -رحمه الله-: «وقيل: معناه أنه يكلف نقل ما ظلم منها في القيامة إلى المحشر ويكون كالطوق في عنقه، لا أنه طوق حقيقة، .....ويحتمل أن يكون المراد بقوله "يطوقه" يكلف أن يجعله له طوقا ولا يستطيع ذلك فيعذب بذلك، كما جاء في حق من كذب في منامه كلف أن يعقد شعيرة. -ثم قال رحمه الله- في الجمع بين هذه الأقوال- ويحتمل أن تتنوع هذه الصفات لصاحب هذه الجناية، أو تنقسم أصحاب هذه الجناية فيعذب بعضهم بهذا وبعضهم بهذا بحسب قوة المفسدة وضعفها»[2].

وفي استنباط بعض الفوائد من هذا الحديث، قال الإمام العيني -رحمه الله-: «فيه دليل أن من ملك أرضاً ملك أسفلها إلى منتهاها، وله أن يمنع من حفر تحتها سرداباً أو بئراً سواءً أضر ذلك بأرضه أولا، قاله الخطابي، وقال ابن الجوزي: لأن حكم أسفلها تبع لأعلاها، وقال القرطبي: وقد اختلف

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٤٨/٦-٤٩) كتاب المساقاة، باب: تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها، والآية في سورة آل عمران برقم: (١٨٠).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ) (١٠٤/٥-١٠٥) بتصرف.

فيما إذا حفر أرضه فوجد فيها معدنا أو شبهه، فقيل: هو له، وقيل: بل للمسلمين، وعلى ذلك فله أن ينزل بالحفر ما شاء ما لم يضر بجاره، وكذلك له أن يرفع في الهواء، المقابل لذلك القدر من الأرض من البناء ما شاء ما لم يضر بأحد...، وفيه تهديد عظيم للغصّاب. وفيه دليل على أن الأرضين سبع كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ . . ﴾ الآية»[1].

وفي الرحمة بالأمة والشفقة عليها، تروي أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- حديثاً عن رسول الله ﷺ يتضح من خلاله مدى عنايته عليه الصلاة والسلام بأن يجنب أمته المشقة في الدين وسلوكه بها سبل التيسير. وتنقل أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- ذلك للأمة، متأسية به ﷺ في ذلك، وناصحة للأمة عامة وللدعاة إلى الله خاصة بنهج هذا السبيل، حتى لا يُحمَّل الناس ما لا طاقة لهم به. فقد جاء في سنن الترمذي عن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: (خرج النبي ﷺ من عندي وهو قرير العين طيب النفس، فرجع إليَّ وهو حزين، فقلت له، فقال: إني دخلت الكعبة وَوَدِدْتُ أنّي لم أكن فعلت، إني أخاف أن أكون أتعبت أمتي من بعدي)[2].

وهكذا يفصح المصطفى عليه الصلاة والسلام بعد دخوله الكعبة عن حزنه

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للإمام بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني (ت:٨٥٥هـ) (١٢/٢٩٨) بتصرف، كتاب المظالم والغصب، باب: إثم من ظلم شيئاً من الأرض.

(٢) سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت:٢٩٧هـ) حديث رقم: (٨٧٣) (٣/٢٢٣) كتاب الحج، باب: ما جاء في دخول الكعبة، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وضعفه الألباني كما في (ص١٦١) طبعة بيت الأفكار الدولية.

في الدخول مبرراً أن سبب ذلك شفقته ورحمته ﷺ بأمته من بعده، لما قد يعرض لهم من مشقة في محاولة التأسي به -عليه الصلاة والسلام- في الدخول وعدم قدرتهم على ذلك، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[(١)].

وهذا موقف من مواقفه التي لا تعد ولا تحصى في رحمته وشفقته بالأمة، ومنها قوله ﷺ: "لو لا أن أشق على أمتي -وفي رواية على المؤمنين- لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة"[(٢)]. وقوله ﷺ: "...والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين، ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل"[(٣)].

ولحديث أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- فوائد عظيمة وأحكام فقهية كثيرة تناولها العلماء بالشرح والتوضيح تطلب في مظانها[(٤)].

وفي بيان أدب النبوة الممتلئ رحمة وعطفاً بالأمة على كافة مستوياتها،

---

(١) سورة التوبة، آية: (١٢٨).

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٥٢) (ص١٢٧) كتاب الطهارة، باب: السواك. والحديث ورد بروايتين الأولى فيها: (لو لا أن أشق على المؤمنين...) والثانية فيها: (لو لا أن أشق على أمتي...).

(٣) المصدر السابق، حديث رقم: (١٨٧٦) (ص٧٨٢) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-. كتاب الإمارة، باب: فضل الجهاد والخروج في سبيل الله.

(٤) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (٢/٢٩٦-٢٩٧) بحث في دخول الكعبة، وتحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي للمباركفوري (٣/٥٢٠).

غنيها وفقيرها، شريفها ووضيعها، صغيرها وكبيرها، توضح أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- ذلك من خلال حديث نبوي ترويه عن رسول الله ﷺ تؤكد من خلاله على دور العاطفة المهم في التربية وأنه من الهدي النبوي الرشيد، فقد روى ابن ماجة في سننه (عن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: عثر أسامة بعتبة الباب. فشج في وجهه. فقال رسول الله ﷺ: "أميطي عنه الأذى" فتقذرته. فجعل يمصُّ عنه الدم ويمجه عن وجهه. ثم قال: "لو كان أسامة جارية لحلَّيته وكسوته حتى أُنَفِّقَهُ)[1].

وفي رواية للإمام أحمد -رحمه الله- عن **عائشة** -رضي الله عنها- أن أسامة عَثَرَ بعتبة الباب -وفي رواية- عثر بأسكفة[2] الباب، فدمي، فجعل النبي ﷺ يمصه ويقول: لو كان أسامة جارية لحليتها ولكسوتها حتى أُنْفِقَهَا)[3].

وهكذا أفادت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- الأمة بروايتها لهذا الحديث النبوي الذي اتضح من خلاله مدى عنايته ﷺ بالعاطفة وتربية الأمة على ذلك، هذا مع ما أعطاه الله إياه من دماثة الخلق ولين الجانب فيتواضع عليه الصلاة والسلام وهو من هو، فيباشر بفمه الشريف مصَّ الدم الذي سال من

---

(١) سنن ابن ماجة للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت:٢٧٥هـ) حديث رقم: (١٩٧٦) (١/٦٣٥) كتاب النكاح، باب: الشفاعة في التزويج، والحديث صححه الألباني في: صحيح سنن ابن ماجة، حديث رقم: (١٦٢٠-٢٠٠٧) (٢/١٥٧).

(٢) أسكفة الباب: بضم الهمزة: عتبته العليا، وقد تستعمل في السفلى، والجمع: أسكفات. انظر: المصباح المنير للعلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت:٧٧٠هـ) مادة (سكف) (١/٣٠٢).

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم: (٢٥٥٩٥-٢٦٣٨٦) (ص١٨٧٢-١٩٢٥).

جرح أسامة -رضي الله عنه-. وإلى هذا المعنى أشار صاحب الفتح الرباني -رحمه الله- حيث قال: «وهذا من تواضعه وكرم أخلاقه ﷺ حيث باشر مص الدم بفمه الشريف ثم يمجه حتى لم يبق من أثر الدم شيء -وفي توضيح قوله ﷺ "لو كان أسامة جارية لكسوته وحليته حتى أُنَفِّقَه" قال -رحمه الله-: أي حتى يرغب الناس خطبته والزواج به لأن أسامة كان أسود لا يرغب فيه إذا كان جارية إلا بالكسوة الجميلة والحلية العظيمة ويؤيد ذلك التفسير ما رواه أبو يعلى وابن عساكر عن **عائشة** -رضي الله عنهما- قالت: أمرني رسول الله ﷺ أن أغسل وجه أسامة بن زيد وهو صبي وما ولدت ولا أعرف كيف يغسل الصبيان، فأخذته فغسلته غسلاً ليس بذلك، فأخذه فجعل يغسل وجهه ويقول لقد أُحسن بنا إذ لم تكن جارية ولو كنت جارية لحلَّيتُك وأعطيتُك»[(١)].

ومما هو مقرر أن من الأساليب الناجعة في نجاح المنهج العاطفي، إظهار الرأفة والرحمة بالمدعوين، وأم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- توصل هذا المنهج التربوي لكل الدعاة إلى الله كي ينهجوا هذا المنهج المُستقى من الهَدْي النبوي، لقد روت -رضي الله عنها- حديثاً نبوياً صححت من خلاله فتوى أفتي بها أحد فضلاء الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين-. لكنها لم تبادر إلى التخطئةِ ولا إلى التجهيل، بل بادرت -رضي الله عنها- إلى الدعاء والترحُّم

---

(١) بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، حاشية كتاب الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني للشيخ أحمد بن عبدالرحمن البنا (٢٢/٢٠١) كتاب المناقب، باب: ما جاء في فضل أسامة بن زيد -رضي الله عنهما-، بتصرف.

على صاحبها. وهذا فيه ما فيه من فتح القلوب وإقبالها وانقيادها إلى الحق، ثم أدلت بحجتها مستدلة بحديث روته عن رسول الله ﷺ أظهرت من خلاله هَدْيَه ﷺ في هذه المسألة فهو المبلغ للأمة عليه الصلاة والسلام، وليس بعد ذلك دليل أو برهان. فقد جاء (عن إبراهيم[1] بن المنتشر، عن أبيه أنه سأل ابن عمر عن الطيب عند الإحرام، فقال: لأن أتطيب بقطران أحب إِليَّ من أن أفعل ذلك. قال: فذكرته **لعائشة**. فقالت: يرحم الله أبا عبدالرحمن كنت أطيب رسول الله ﷺ فيطوف على نسائه ثم يصبح محرماً ينضخ طيباً)[2].

وفي رواية للبخاري (عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه، قال: ذكرته **لعائشة** فقالت: يرحم الله أبا عبدالرحمن، كنت أطيب رسول الله فيطوف على نسائه، ثم يصبح محرماً[3] ينضخ طيباً)[4].

---

(١) هو إبراهيم بن محمد بن المنتشر بن الأجدع الهمداني الكوفي، روى عن أبيه وأنس بن مالك وقيس بن مسلم وغيرهم. وروى عنه شعبة والثوري وغيرهم. قال أحمد وأبو حاتم: ثقة صدوق وقال النسائي: ثقة. ذكره ابن حبان في الثقات. انظر: تهذيب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ) (١/١٥٧).

(٢) صحيح ابن خزيمة للإمام أبي بكر بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (ت:٣١١هـ) حديث رقم: (٢٥٨٨) (٤/١٥٧) كتاب المناسك، باب: استحباب الاغتسال بعد التطيب عند الإحرام، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي. الطبعة الأولى (١٣٩٥هـ-١٩٧٥م) ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

(٣) النضخ: قريباً من النضح. وقيل: النضخ بالمعجمة أكثر من النضح بالمهملة. والنضح: هو الرشح، والمعنى: أي يفوح طيباً. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٥/٧٠).

(٤) صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٦٧) (ص٧٣) كتاب الغسل، باب: إذا جامع ثم عاد.

وفي مسلم (عنه، قال: سألت عبدا لله بن عُمر، عن الرجل يتطيب ثم يصبح محرماً؟ فقال: ما أحب أن أصبح محرما أنضخ طيبا، لأن أَطَّلِيَ بقطران أحب إليَّ من أن أفعل ذلك، فدخلت على **عائشة** فأخبرتها أن ابن عمر قال: ما أحب أن أصبح محرماً أَنْضَخُ طيباً، لأن أَطَّلِيَ بقطران أحبُّ إليَّ من أن أفعل ذلك، فقالت **عائشة**: أنا طَيَّبتُ رسول ا لله ﷺ عند إحرامه، ثم طاف في نسائه، ثم أصبح محرما)[1].

وتظهر العاطفة والتربية في دعوة أم المؤمنين **عائشة** -رضي ا لله عنها- حين ترحَّمت على عبدا لله بن عمر -رضي ا لله عنهما- عند ما أفتي بعدم جواز التطيب للمحرم قبل إحرامه والْتَمَسَتْ له العذر، وفي ذلك قال الحافظ ابن حجر -رحمه ا لله- : «وقولها: "يرحم ا لله أبا عبدالرحمن" يعني ابن عمر، استرحمت له **عائشة** -رضي ا لله عنها- إشعاراً بأنه قد سها فيما قاله، إذ لو استحضر فعل النبي ﷺ لم يقل ذلك»[2] -ثم قال -رحمه ا لله- في بيان موضع الاستدلال بالحديث- «واستدل به على استحباب التطيب عند إرادة الإحرام، وجواز استدامته بعد الإحرام، وأنه لا يضر بقاء لونه ورائحته»[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه ا لله-: «وكذلك إن شاء المحرم أن يتطيب في بدنه فهو حسن، ولا يؤمر المحرم قبل الإحرام بذلك، فإن النبي ﷺ

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (١١٩٢) (ص٤٦٦) كتاب الحج، باب: الطيب للمحرم عند الإحرام.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ) (٣٧٧/١) كتاب الغسل، باب: إذا جامع ثم عاد. ومن دار على نسائه في غسل واحد.

(٣) المصدر السابق (٣٩٨/٣) كتاب الحج، باب: الطيب عند الإحرام.

فعله، ولم يأمر به الناس»[1].

ومما يرد في هذه المسألة قصة صاحب الجبة الذي استفتى رسول الله ﷺ عن عمرته وقد تضمخ بالطيب، فقد جاء في صحيح مسلم (أن يعلى[2] بن أمية كان يقول لعمر بن الخطاب: ليتني أرى نبي الله ﷺ حين ينزل عليه، فلما كان النبي ﷺ بالجعرانة[3]، وعلى النبي ﷺ ثوب قد أُظلَّ به عليه، معه ناس من أصحابه فيهم عمر إذ جاءه رجل عليه جبة صوف، متضمخ بطيب، فقال: يا رسول الله كيف ترى في رجل أحرم بعمرة في جبة بعد ما تضمخ بطيب؟ فنظر إليه النبي ﷺ ساعة، ثم سكت، فجاءه الوحي، فأشار عمر بيده إلى يعلى بن أمية، تعال، فجاء يعلى فأدخل رأسه، فإذا النبي ﷺ مُحْمَرُّ الوجه، يغط ساعة، ثم سُرِّيَ عنه، فقال: أين الذي سألني عن العمرة آنفا. فالتُمِس الرجل فجيءَ به، فقال النبي ﷺ: أمَّا الطِّيبُ الذي بك فاغسله ثلاث مرات، وأمَّا الجُبَّةُ فَانْزِعها، ثم اصنع في عمرتك ما تصنع في حجِّك)[4].

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (١٠٧/٢٦).

(٢) هو يعلى بن أمية بن أبي عبيدة بن همَّام التميمي، حليف قريش، وهو يعلى بن مُنْيَةَ، بضم الميم وسكون النون بعدها تحتانية مفتوحة، وهي أمه، صحابي مشهور، مات سنة بضع وأربعين. انظر: تقريب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٣٧٧/٢).

(٣) الجعرانة: بكسر أوله وسكون عينه مع تخفيف الراء. ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب، نزلها النبي ﷺ لما قسم غنائم هوازن مرجعه من غزاة حنين وأحرم منها عليه الصلاة والسلام. انظر: معجم البلدان للإمام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي (١٤٢/٢).

(٤) صحيح مسلم، حديث رقم: (١١٨٠) (ص٤٦٠) كتاب الحج، باب: ما يباح للمحرم بحج أو عمرة وما لا يباح وبيان تحريم الطيب عليه.

فهذا الحديث قد تكلم عنه العلماء وقرروا بأنه متقدم على حديث أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- وبهذا يكون العمل على المتأخر ويكون الأول منهما منسوخاً، أشار إلى ذلك صاحب شرح المنتهى فقال -رحمه الله-: «ويسن -للمحرم- تطيب في بدنه بما تبقى عينه، كمسك، أو أثره. كماء ورد، ويجوز لقول **عائشة** -رضي الله عنها-: (كأني أنظر إلى وبيص الطيب في مفارق رسول الله ﷺ وهو محرم) متفق عليه. قال ابن عبدالبر: لا خلاف بين جماعة أهل العلم بالسير والآثار أن قصة صاحب الجبة كانت عام حنين والجعرانة سنة ثمان. وحديث **عائشة** -رضي الله عنها- في حجة الوداع سنة عشر. أي فهو ناسخ»(١).

ومما يستفاد من حديث أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- ما ذكره الحافظ ابن حجر -رحمه الله- بقوله: «ومن فوائده أيضاً وقوع رد بعض الصحابة على بعض بالدليل، واطّلاع أزواج النبي ﷺ على ما لا يطلع عليه غيرهن من أفاضل الصحابة، وخدمة الزوجات لأزواجهن، والتطيب عند الإحرام»(٢) وفي موضع آخر قال -رحمه الله-: «ويؤخذ منه أن المفزع في النوازل إلى السنن وأنه مستغنى بها عن آراء الرجال وفيها المقنع»(٣).

---

(١) شرح منتهى الإرادات المسمى: دقائق أولي النهي لشرح المنتهى للعلامة الشيخ منصور بن يونس ابن إدريس البهوتي (ت:١٠٥١هـ) (١٢/٢) باب الإحرام. الناشر: المكتبة السلفية، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٣٨١/١).

(٣) انظر: المصدر السابق، (٣٩٨/٣).

وتشير أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- إلى العاطفة والرحمة التي كان يغمر بها ﷺ أمته من خلال حديث نبوي وضحت فيه بأنه ﷺ لم يعمد إلى استخدام العنف والضرب مع الخدم ولا النساء ومن تحت يده من المسلمين إلا ما كان في الجهاد في سبيل الله، وأشارت إلى عفوه وصفحه حتى لمن أساء إليه، فلا يجازي بالسيئة السيئة، وبينت كذلك أخذه ﷺ بالتيسير في جميع الأحوال ما لم يكن إثماً، فقد جاء في الصحيح عنها -رضي الله عنها- أنها قالت: (ما خُيِّرَ رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها)(١).

وفي رواية عنها -رضي الله عنها- قالت: (ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأةً، ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط، فينتقم من صاحبه، إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله، فينتقم لله عزَّ وجلَّ)(٢).

وفي بيان معنى قول أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- (ما خُير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما) قال القاضي عياض -رحمه الله-: «فيه الأخذ بالأيسر والأرفق، وترك التكلف وطلب المطاق، إلا فيما لا يحل الأخذ به كيف كان، ويحتمل أن يكون التخيير هنا من الله تعالى مما فيه عقوبتان، أو فيما بينه وبين الكفار من القتال وأخذ الجزية، أو فيما يخبره فيه المنافقون من المواعدة

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٣٥٦٠) (ص٧٥١) كتاب المناقب، باب: صفة النبي ﷺ.

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٣٢٨) (ص٩٥١) كتاب الفضائل، باب: مباعدته ﷺ للآثام، واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله عند انتهاك حرماته.

والمحاربة، أو أمته من الشدة في العبادة أو القصد. وكان يذهب في كل هذا إلى الأيسر»[١].

وفي بيان العاطفة والرحمة التي اشتمل عليها توجيه هذا الحديث النبوي قال النووي -رحمه الله- في تفسير قول أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- (ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله) قال -رحمه الله-: «فيه أن ضرب الزوجة والخادم والدابة وإن كان مباحاً للأدب فتركه أفضل»[٢].

وأما قولها -رضي الله عنها- (وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها) فقد فسرها الحافظ ابن حجر -رحمه الله- بقوله: «قولها: "وما انتقم لنفسه" أي خاصة، فلا يَرِدُ أمره بقتل عقبة بن أبي معيط وعبدالله بن خطل وغيرهما ممن كان يؤذيه لأنهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله، وقيل: أرادت أنه لا ينتقم إذا أوذي في غير السبب الذي يخرج إلى الكفر، كما عفا عن الأعرابي الذي جفا في رفع صوته عليه، وعن الآخر الذي جبذ بردائه حتى أثّر في كتفه»[٣].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت:٥٤٤هـ) (٢٩١/٧).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٨٤/٨) كتاب الفضائل، باب: مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله.

(٣) فتح الباري بشرح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ) (٥٧٥/٦) كتاب المناقب، باب: صفة النبي ﷺ.

وقد أفاد -رحمه الله- في استنباط بعض الفوائد والأحكام من هذه الأحاديث فقال -رحمه الله-: «وفي الحديث الحث على ترك الأخذ بالشيء لعسر، والاقتناع باليسر، وترك الإلحاح فيما لا يضطر إليه. ويؤخذ من ذلك الندب إلى الأخذ بالرخص ما لم يظهر الخطأ، والحث على العفو إلا في حقوق الله تعالى، والندب إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحل ذلك ما لم يفض إلى ما هو أشد منه، وفيه ترك الحكم للنفس وإن كان الحاكم متمكناً من ذلك بحيث يؤمن منه الحيف على المحكوم عليه، لكن لحسم المادة»[1].

وقد حكى القاضي عياض -رحمه الله- الإجماع في هذه المسألة الأخيرة التي أشار إليها الحافظ ابن حجر -رحمه الله-. فقال القاضي -رحمه الله-: «وقد أجمع العلماء أن القاضي لا يقضي لنفسه ولا لمن لا يجوز شهادة له»[2].

ويتضح المنهج العاطفي في التربية عند أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في كثير من أقوالها وأفعالها التي كانت مرجعاً للدروس والعبر للناظر إليها بعين الفائدة والاعتبار.

وللمرأة نصيب كبير في نصائح أم المؤمنين -رضي الله عنها- حيث لم تترك باباً من الأبواب المفيدة إلا وطرقته وأبدعت فيه، وهذا يدلُّ على أن أم المؤمنين تريد من المرأة المسلمة أن تكون مفتاح خير في مسارات الحياة وعوناً للرجل على المضي في طاعة الله.

---

(١) المصدر السابق (٥٧٦/٦) كتاب المناقب، باب: صفة النبي ﷺ.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت:٥٤٤هـ) (٢٩٤/٧) كتاب الفضائل، باب: مباعدته ﷺ للآثام.

ولم تنطق أم المؤمنين -رضي الله عنها- بنصائحها وتوجيهاتها من فراغ، بل كانت عن دراية وتجربة وكأنها تشير إلى المرأة الصالحة التي عناها رسول الله ﷺ بقوله: (الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا، المرأة الصالحة)[1].

فها هي -رضي الله عنها- تربي المؤمنات على حسن التبعل للزوج، وتوجه إلى أن ذلك من الدين والعقل، ولا عجب، فقد ورثت ذلك -رضي الله عنها- من ميراث النبوة، فتقول -رضي الله عنها- ناصحة ومربية لمؤمنة من المؤمنات: (أميطي عنك الأذى، وتصنعي لزوجك كما تصنعين للزيارة، وإذا أمرك فلتطيعيه، وإذا أقسم عليك فأبريه، ولا تأذني في بيته لمن يكره)[2].

أيُّ درس في التربية أعظم من هذا، بل وأيُّ عقل أوتيته أم المؤمنين -رضي الله عنها-، حيث أفادت وأجادت في هذه الكلمات القليلة، فلو أُخذت هذه المقالة مأخذ التنفيذ من قبل النساء وعملن بها لسعد المجتمع سعادة لا حدَّ لها وانتهت مشكلاته الزوجية.

وما هذا بغريب عن أم المؤمنين -رضي الله عنها- التي نهلت من نبع النبوة الفياض، ولعلها تشير بهذا إلى قوله ﷺ في خطبته في حجة الوداع حيث قال ﷺ: "فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله..."[3] الحديث.

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (١٤٦٧) (ص٥٨٥) كتاب الرضاع، باب: خير متاع الدنيا المرأة الصالحة.

(٢) المصنف لعبدالرزاق الصنعاني (١٤٦/٣) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى: ١٩٧٢م، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

(٣) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (١٢١٨) (ص٤٨٤) كتاب الحج: باب: حجة النبي ﷺ.

ومن أقوالها المأثورة الدالة على العاطفة الصادقة، والتي تُعد أساساً مهماً في التربية على الإيمان والعمل الصالح لكل الأمة، قولها -رضي الله عنها-: (إنكم لن تلقوا الله بشيء خير لكم من قلة الذنوب، فمن سرَّه أن يسبق الدائب المجتهد فليكفَّ نفسه عن كثرة الذنوب)[1].

وفي هذا القول تظهر العاطفة الصادقة والتربية على الاستعداد للقاء الله عزَّ وجلَّ وأخذ أسباب النجاة من عذاب الله، ثم وجهت أولي الأحلام والنهى إلى أقصر وأسهل الطرق لنيل ذلك الخير، فجمعته -رضي الله عنها- في الكفِّ عن الذنوب والمعاصي، وجعلت ذلك أفضل عمل يقدمه العبد بين يدي ربه، ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[2].

وفي صحيح البخاري عن طلحة بن عبيد الله: أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ ثائر الرأس فقال: يا رسول الله، أخبرني ماذا فرض الله عليَّ من الصيام؟ فقال: شهر رمضان إلا أن تطوع شيئاً، فقال: أخبرني ما فرض الله عليَّ من الزكاة؟ قال: فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام، قال: والذي أكرمك بالحق، لا أتطوع شيئاً ولا أنقص مما فرض الله عليَّ شيئاً. فقال رسول الله ﷺ أفلح إن صدق، أو دخل الجنة إن صدق)[3].

---

(١) صفة الصفوة للإمام جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (١/٣٥٠).

(٢) سورة الشورى، آية: (٣٧).

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم: (١٨٩١) (ص٣٩٤) كتاب الصوم، باب: وجوب صوم رمضان.

ودلالة الحديث ظاهرة في أن قلة النوافل مع المحافظة التامة على الفرائض توصل صاحبها إلى الجنة، وهذا قطعاً مع اجتناب الذنوب والمعاصي، فتوجيه أم المؤمنين -رضي الله عنها- كان توجيهاً ملؤه العاطفة والإشفاق على الأمة في الأخذ بأسباب الوقاية من عذاب الله بترك الذنوب، ولا يتبادر إلى الذهن أن اجتناب الكبائر كافياً لتحقيق ما وجهت به أم المؤمنين -رضي الله عنها-، بل كان الحديث شاملاً للذنوب عامة الكبائر والصغائر، لأن التحقير من شأن الصغائر موقع في الهلكة فقد ورد في الحديث عن **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: قال لي رسول الله ﷺ (يا **عائشة** إياك ومحقرات الأعمال؛ فإن لها من الله طالباً)(١).

ومن أقوالها المأثورة، والتي تعتبر منهجاً متكاملاً للأمة لو أحسنت التربية والتعليم على أساسه، قولها -رضي الله عنها-: (خلال المكارم عشر، تكون في الرجل، ولا تكون في أبيه ولا في ابنه وقد تكون في العبد، ولا تكون في سيّده، يقسمها الله لمن أحب: صدق الحديث، ومداراة الناس، وصلة الرحم، وحفظ الأمانة، والتذمم(٢) للجار، وإعطاء السائل، والمكافأة بالصنائع، وقرى الضيف، والوفاء بالعهد، ورأسهن كلهن الحياء)(٣).

---

(١) سنن ابن ماجة، حديث رقم: (٤٢٤٣) (١٤١٧/٢) كتاب الزهد، باب: ذكر الذنوب، والحديث صححه الألباني في: صحيح ابن ماجة، حديث رقم:(٣٤٤٠-٤٣١٩) (٣٨١/٣).

(٢) التذمم للجار أو للصاحب، هو أن يحفظ ذمامه، ويطرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه. لسان العرب لجمال الدين ابن منظور الإفريقي المصري، مادة (ذمم) (٢٢٢/١٢).

(٣) بهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبدالبر (٦٠١/١-٦٠٢) تحقيق: محمد موسى الخولي، ط. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.

وهكذا يظهر أثر المنهج العاطفي في التربية عند أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في عطفها وإشفاقها على تربية الأمة على جميل الخصال، فهي تغرف من بحر الحكمة ومن نبع النبوة هذه المكارم والأخلاق النبيلة التي دعت إليها أم المؤمنين -رضي الله عنها- كلها وأساسها من الدين وتدعوا إلى الدين، ومن عمل بها سار على صراط مستقيم، فمن وفقه الله لصدق الحديث، وحسن التعامل مع الناس، وصلة الرحم التي هي مصدر كل خير، وحفظ الأمانة التي هي عنوان الإيمان وحفظ ذمم الجار، والبذل والعطاء للسائل، ومكافأة صانعي المعروف، وإكرام الضيف، والوفاء بالعهد فقد هدي إلى الخير والهدى.

ثم نظرت أم المؤمنين -رضي الله عنها- إلى تلك الصفات الحميدة التي دعت الأمة إلى نهجها والسير عليها، فأجملت دعوتها باختصار عبارتها، فجمعت تلك الخصال في وصف واحد مشتق من أدب النبوة الرفيع الذي عاشت في كنفه، فقالت -رضي الله عنها-: ورأسهن كلهن الحياء، فكأنها تشير بذلك إلى قوله ﷺ في الحديث الصحيح: "الحياء من الإيمان"(١)، وقوله ﷺ: "الحياء لا يأتي إلا بخير"(٢)، وقوله ﷺ: "الحياء خير كله"(٣).

---

(١) صحيح مسلم، الأحاديث رقم: (٣٦-٣٧) (ص٤٨) كتاب الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان.

(٢) نفس المصدر السابق (ص٤٨).

(٣) نفس المصدر السابق (ص٤٨).

٣- الدروس المستفادة للواقع المعاصر:

تستفاد هذه الدروس من خلال دراسة وتحليل المنهج العاطفي في الدعوة وفي التربية لأم المؤمنبن **عائشة** -رضوان ا لله تعالى عنها-.

إن حياة أم المؤمنين **عائشة** -رضي ا لله تعالى عنها- صورة مشرقة للمرأة المسلمة عموماً والدعاة إلى ا لله على وجه الخصوص، لقد كانت مُثُلاً عُلْيا للحياة الزوجية الكاملة ودروساً عملية تكتشف من خلالها الجوانب الدعوية المؤصلة من المنهج العاطفي في الدعوة والتربية.

ومن هذه الدروس الدعوية والتربوية المبنية على المنهج العاطفي في دعوتها ما يلي:

١- الحث على بذل العاطفة والرحمة وخاصة لمن هم في سن مبكرة فيعطون حقهم من اللهو المباح مراعاة لسنهم وقدرات تفكيرهم، تمثل ذلك في رحمته ﷺ بأم المؤمنين **عائشة** -رضي ا لله عنها- في إذنه لها بالنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد، وكذلك في مسابقته ﷺ لها مرتين.

٢- استخدمت أم المؤمنين **عائشة** -رضي ا لله عنها- العبارات العاطفية المؤثرة النابعة من صدقها مع ا لله في تبرئتها نفسها بين يدي رسول ا لله ﷺ ووالديها، وذلك عندما نسب إليها ما نسب من حديث الإفك، فما لبثت أن جاءها الفرج والنصر ببراءتها وصدقها قرآناً يتلى إلى يوم القيامة.

٣- الحث على الرفق في انتقاء العبارات العاطفية لاستمالة قلوب المدعوين عند تصحيح أخطائهم أو حثهم على الخير، يستفاد من حديث أم المؤمنين **عائشة** -رضي ا لله عنها- عند نصحها بإسباغ الوضوء لمن لم يحسن الوضوء.

٤- الحثّ على الرفق ولين الجانب خاصة مع الصبيان ومن في حكمهم ممن لم يدرك، أشارت إلى ذلك أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- من خلال روايتها لحديث المصطفى عليه الصلاة والسلام حين كان يشفق عليها ويراعي طفولتها فلا يمنعها من اللعب المباح هي وصواحبها، بل كان عليه الصلاة والسلام يبعثهن إليها ليلعبن معها.

٥- إظهار الرأفة والرحمة بالمدعوين وعدم حمل الناس على ما لا يطيقون، أشارت إلى ذلك أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في روايتها لحديث المصطفى عليه الصلاة والسلام الدال على تركه العمل أحياناً وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم.

٦- استخدام أسلوب الترغيب والترهيب وذكر الثواب والعقاب في التنفير من بعض الأمور المخالفة للشرع، وهذا ما نهجته أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في توجيهها لبعض نساء حمص حين بلغها دخول النساء إلى الحمامات في تلك الديار، وأكّدت نهيها لهن باستدلالها بحديث من أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام الزاجرة عن ذلك أبلغ النهي والزجر.

٧- الحثّ على إظهار التودد والمحبة للمدعوين، بغية هدايتهم واستجابة قلوبهم، أكّدت هذا أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- من خلال روايتها لحديث المصطفى عليه الصلاة والسلام حين جاءته هند بنت عتبة، فأظهر لها من المودة والمحبة، حتى يضمن ثباتها على الدين وزيادة محبتها للإسلام.

٨- العطف والشفقة بالجهال والعوام من المسلمين، خاصة عند وقوعهم في شيء من المحذورات الشرعية وأخذهم بالحلم والرحمة وتعليمهم ما جهلوه،

أشارت لذلك أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- عند روايتها لقصة الرجل الذي جامع أهله في نهار رمضان، وكيف عامله ﷺ بالحلم والرحمة وعلّمه كيف يكفر عن ذلك المحذور.

٩- مراعاة الناس ورحمتهم والعفو عنهم والتدرج معهم في فهمهم حتى يصل بهم الداعي إلى بَرِّ الأمان وموطن الإقناع في الحق الذي يريد الوصول إليه، تمثل ذلك في رواية أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- لحديث المصطفى عليه الصلاة والسلام، حيث ثبت من خلاله مدى حلمه وعطفه وتدرجه مع الليثيين في إرضائهم حتى وصل إلى القدر الذي وافقوا عليه من القود في شأن صاحبهم المشجوج من لدن عامل الصدقة الذي بعثه رسول الله ﷺ إليهم.

١٠- الحث على تأليف قلوب المدعوين بتفقد أحوالهم والعطف عليهم وزيارة مرضاهم والدعاء لهم، أشارت لذلك أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في روايتها لعدد من الأحاديث النبوية الدالة على ذلك، ومنها زيارته ﷺ لسعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- والدعاء له في مرضه الذي مرضه وهو بمكة.

١١- الحثّ على استخدام الوسائل المستجلبة لاستجابة المدعو، وإظهار العطف عليه وذلك من خلال الهدية له وتفقده بالمنح بين الفينة والأخرى، تمثل ذلك في حديث أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في بيان هديه ﷺ في حمل ماء زمزم من مكة وإهدائه لأصحابه وصَبِّه على المرضى وسقيهم منه.

١٢- الحرص على ملاطفة الأهل ومسامرتهم والحديث معهم، أشارت إلى ذلك أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في حديث روته عن رسول الله ﷺ، أوضحت من خلاله فعله ﷺ لذلك معها.

١٣- توجيه الأمة إلى التربية على العاطفة المضبوطة بميزان الشرع عند نزول المصائب بالعبد المؤمن، تمثل ذلك في حديث روته أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- أكدت من خلاله هديه ﷺ في ذلك عند ما زار عثمان بن مظعون -رضي الله عنه- وقد مات فسالت دموعه ﷺ على خديه و لم يقل إلا خيراً، وهذا من كمال هذه الشريعة الموافقة للفطرة.

١٤- دعوة الأمة عموماً والأخيار والدعاة إلى الله خصوصاً إلى الرحمة بالمسلمين بدءاً بصبيانهم وانتهاءً بشيوخهم، أشارت إلى ذلك أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في روايتها لحديث نبوي وضحت من خلاله رحمته ﷺ بالغلام الذي بال في حجره ﷺ، فشمله بعطفه ورحمته وعفوه وهو ﷺ القدوة لكل مؤمن ومؤمنة.

١٥- الحث على أهمية العاطفة وبيان عِظَمِ أثرها على المدعوين وأن ذلك دليل على كمال الإيمان أشارت لذلك أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في روايتها لحديث نبوي اتضح من خلاله ذلك حيث شهد النبي ﷺ بكمال الإيمان لمن حسن خلقه وتلطف في معاملته مع أهله.

١٦- العناية ببذل الرحمة لكل ذات روح وتربية الأمة على ذلك، تمثل ذلك في الهدي النبوي الذي روته أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- حين أرسل لها ﷺ ناقة من إبل الصدقة وأوصاها بالرفق والرحمة بها، فهذا العطف شمل البهائم العجماوات فكيف ببني آدم وخاصة المسلمين منهم.

١٧- الحث على الرفق بالأهل وبذل مزيد من العناية لهم والرحمة بهم وإظهار العاطفة والود لهم، أشارت لذلك أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها-

عند ما روت عن رسول الله ﷺ أنها كانت تشرب من الإناء وهي حائض وتناوله النبي ﷺ فيضع فاه موضع فيها فيشرب، ويصنع ذلك كذلك حين يتتبع أثر فيها على موضع العظم الذي عليه اللحم. وذلك مبالغة منه ﷺ في زيادة الود ونبذ أسباب الجفوة بينه وبين أهله حتى في أيام الحيض.

١٨- الحث على إثارة العاطفة الصادقة في مراقبة الله عزَّ وجلَّ والتربية على خشيته تمثل ذلك في توجيه أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- لأبي سلمة وتحذيره من مغبة الاعتداء والخصومة المتعلقة بالأرض، وأكدت نصحها بحديث روته عن رسول الله ﷺ يشير إلى التحذير من ذلك.

١٩- الحث على الرحمة والشفقة بالأمة في أمور الدنيا والدين والنهج بهم منهج التيسير، أشارت لذلك أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- من خلال حديث روته عن رسول الله ﷺ بينت فيه أسفه ﷺ على دخوله الكعبة وخشيته من أن يكون قد حَمَّل أمته ما لا طاقة لهم به، وهذا من أبلغ الدروس للدعاة إلى الله في التربية على العاطفة والرحمة بالأمة.

٢٠- بذل العطف والحنان لجميع أفراد الأمة، تمثل ذلك في الحديث الذي روته أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها-، عند ما عثر أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- بعتبة الباب فشج وقد كان وقتها صغيراً فجعل ﷺ يمص عنه الدم ويمجه، وهذا من أعظم الدروس النبوية الفريدة في العاطفة.

٢١- التأكيد على بذل الرحمة على من تحت اليد من الخدم والنساء والصبيان وغيرهم وجهت لذلك أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- حين روت عن رسول الله ﷺ أنه ما ضرب ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً

إلا أن يجاهد في سبيل الله.

٢٢- الحث على التماس العذر للمخطئين والرحمة بهم والدعاء لهم، أكدت ذلك أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- عند ما بلغتها فتوى عبد الله ابن عمر -رضي الله عنهما- بكراهته الطيب للمحرم عند إحرامه، فلما ذُكر ذلك لأم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها-، دعت له بخير ثم بينت هديه ﷺ في جواز ذلك للمحرم قبل إحرامه.

٢٣- حث نساء المسلمين على الإقبال على طاعة الله، وحسن التبعل للزوج والعناية بمظهرها، وحفظها لبيت زوجها عن كل ما يكره، أوضحت ذلك أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- حين نصحت المسلمات في قولها: (أميطي عنك الأذى، وتصنعي لزوجك كما تصنعين للزيارة، وإذا أمرك فلتطيعيه...) إلخ.

٢٤- الحث على إظهار الرأفة والرحمة بالمدعوين أوضحت ذلك أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في قولها: (إنكم لن تلقوا الله بشيء خير لكم من قلة الذنوب، فمن سره أن يسبق الدائب المجتهد فليكف نفسه عن كثرة الذنوب).

٢٥- الوصية بكريم الخصال وجميل الفعال والعمل على إصلاح الفرد والمجتمع من خلال ما ورد في الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح، إلى ذلك أشارت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في رحمتها بالأمة وتربيتها للمسلمين على خلق كريم حين قالت: (خلال المكارم عشر، تكون في الرجل ولا تكون في أبيه ولا في ابنه وقد تكون في العبد ولا تكون في سيده، يقسمها الله لمن أحب، صدق الحديث، ومداراة الناس، وصلة الرحم، وحفظ الأمانة، والتذمم للجار، وإعطاء السائل...) إلخ.

الفصل الخامس

أساليب الدعوة عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

١- أثر أسلوب الحكمة في دعوة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

تشير أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- إلى أهمية الحكمة وضرورة تحصيلها والعمل بها للمؤمن، خاصة لمن ولي شيئاً من أمور المسلمين حيث يتعين ويتوجب الأخذ بالحكمة لمن كان كذلك. أوضح ذلك الإمام البخاري -رحمه الله- في الصحيح، فقد أورد في كتاب العلم باباً سمّاه: باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه، فيقعوا في أشد منه، وذكر حديثاً لأم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في هذا الشأن، فقد روى بسنده (عن الأسود قال: قال لي ابن الزبير: كانت **عائشة** -رضي الله عنها- تُسِرُّ إليك كثيراً، فما حدثتك في الكعبة؟ قلت: قالت لي: قال النبي ﷺ: "يا **عائشة** لولا قومك حَدِيثٌ عَهْدُهم -قال ابن الزبير- بكفرٍ، لنقضت الكعبة، فجعلت لها بابين: باب يَدْخُلُ الناسُ وباب يخرجون" ففعله ابن الزبير)[١].

وقد أَكّدَ الحافظ ابن حجر -رحمه الله- على أهمية الحكمة عند استنباطه لفوائد هذا الحديث، وتعرض لأمر مهم جداً يهم كل الدعاة إلى الله والمحتسبين، ألا وهو موضوع ترك إنكار المنكر خشية الوقوع في منكر أكبر منه، وهذا هو

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (١٢٦) (ص٤٥) كتاب العلم، باب: من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه، فيقعوا في أشد منه.

الحكمة بعينها، فقد قال -رحمه الله-: «وفي الحديث معنى ما ترجم له -أي البخاري رحمه الله- لأن قريشاً كانت تعظم أمر الكعبة جداً، فخشي ﷺ أن يظنوا لأجل قرب عهدهم بالإسلام أنه غيَّر بناءها لينفرد بالفخر عليهم في ذلك، ويستفاد منه ترك المصلحة لأمن الوقوع في المفسدة، ومنه ترك إنكار المنكر خشية الوقوع في أنكر منه، وأن الإمام يسوس رعيته بما فيه إصلاحهم ولو كان مفضولاً ما لم يكن محرماً»(١).

وتفيد أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في جانب جِدُّ خطير يتعلق بحقيقة مهمة وركن راسخ في الدين، وذلك من توفيق الله عزَّ وجلَّ لها وفضله عليها بما وهبها سبحانه من الحكمة والبصيرة في الدين.

فقد جاء عنها -رضي الله عنها- في صحيح مسلم حديثاً أثبتت من خلاله صِدْق النبي ﷺ في تبليغه لرسالة ربه وعدم كتمه شيئاً مما هو مؤتمن عليه، وقد كان لهذا الحديث أعظم الأثر على الأمة كلها، فأهل الإيمان والهدي زادهم إيماناً مع إيمانهم، وأهل الضلال والأهواء كان حجة دامغة لأهوائهم وضلالاتهم.

فقد روى مسلم -رحمه الله- في صحيحه بسنده إلى مسروق(٢) قال: كنت متكئاً عند **عائشة**، فقالت: يا أبا **عائشة** ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، -ومما ذكرته في ذلك قولها- قالت: ومن زعم

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١/٢٢٥) بتصرف.

(٢) هو مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية، الإمام القدوة العلم، قال أبونعيم: مات سنة ٦٢هـ، وقيل: ٦٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٦٣)، وطبقات ابن سعد (٦/٧٦).

أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾[1] الآية.

وفي رواية: قالت: ولو كان محمد ﷺ كاتماً شيئاً مما أنزل عليه لكتم هذه الآية: ﴿وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾[2].

ولقد زين الله سبحانه وتعالى أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله تعالى عنها- بالعقل السليم الذي يرشد صاحبه إلى الهدى والرشاد وسعادة الدارين بإذن الله عزَّ وجلَّ، ومما يدل على توفيق الله لأم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في ذلك، عند ما نزلت آيات التخيير من رب العالمين على رسوله ﷺ في شأن أزواجه عليه الصلاة والسلام. بدأ ﷺ بأم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- وعرض عليها ما أنزل الله عزَّ وجلَّ، فبادرت مبادرة العاقل الحكيم العامل بما يسعده في الدنيا والآخرة واختارت الله ورسوله، فقد جاء في الصحيح: أنَّ **عائشة** زوج النبي ﷺ قالت: (لما أُمِرَ رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: إني ذاكر لك أمراً، فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك.

---

(١) انظر: صحيح مسلم جزء من حديث رقم: (١٧٧) (ص٩٧) كتاب الإيمان، باب: معنى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾ وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء، ط. بيت الأفكار الدولية، الرياض - المملكة العربية السعودية.

(٢) المصدر السابق (ص٩٧).

قالت: وقد علم أن أبواي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: إن الله جل ثناؤه قال:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ -إلى- ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ قالت: فقلت: ففي أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. قالت: ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت)[1].

وفي رواية لمسلم: أن **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: لا تخبر نساءك أني اخترتك، فقال لها النبي ﷺ: (إن الله أرسلني مبلغاً و لم يرسلني متعنتاً)[2].

وفي توضيح منقبة أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في هذا الحديث ما ذكره الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في شرحه للحديث حيث قال: «وفيه فضل **عائشة** -رضي الله عنها- لبداءته بها... وفيه منقبة عظيمة **لعائشة** -رضي الله عنها- وبيان كمال عقلها وصحة رأيها مع صغر سنها، وأن الغيرة تحمل المرأة الكاملة الرأي والعقل على ارتكاب ما لا يليق بحالها لسؤالها النبي ﷺ أن لا يخبر أحداً من أزواجه بفعلها، ولكنه ﷺ لما علم أن الحامل لها على ذلك ما طبع عليه النساء من الغيرة ومحبة الاستبداد دون ضرائرها لم يسعفها بما طلبت من ذلك»[3].

وقد يقول قائل إن ظهور هذه الحكمة في الاختيار قد وفق لها جميع

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٧٨٦) (ص١٠٣١) كتاب التفسير، سورة الأحزاب، باب: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (١٤٧٥) (ص٥٩٦) كتاب الطلاق، باب: في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن، وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ...﴾.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد على بن حجر العسقلاني (٥٢٢/٨) بتصرف.

أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن-، فأي وجه لاختصاص أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- بها؟ والجواب على ذلك يتلخص في التالي:

١- صغر سنها حين اختارت الله ورسوله، وهذا لم يتأت لغيرها من أمهات المؤمنين.

٢- أسبقيتها لهذا الاختيار يدل على أنها هي القدوة في هذا العمل الصالح وهن لها تبع. يدل على ذلك طلبها منه ﷺ أن لا يخبر أزواجه برأيها في اختيارها لله ولرسوله ﷺ.

٣- عدم تأجيلها الأمر لحين مشاورة والديها كما عرض عليها ﷺ، يدل على بعد نظرها وحكمتها حيث بادرت إلى اختيار الله ورسوله ﷺ والدار الآخرة.

وفي موقف آخر لأم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- يتضح من خلاله حكمتها في تثبتها من الأمور وتحققها منها، فقد جاء في مسند الإمام أحمد عن **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: جاءت يهودية فاستطعمت على بابي، فقالت: أطعموني، أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر، قالت: فلم أزل أحبسها حتى جاء رسول الله ﷺ. فقلت: يا رسول الله ما تقول هذه اليهودية؟ قال: وما تقول؟ قلت: تقول: أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر، قالت **عائشة**: فقام رسول الله ﷺ فرفع يديه مداً يستعيذ بالله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر...)[1] الحديث.

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم: (٢٥٦٠٢) (ص١٨٧٢) حديث السيدة **عائشة** أم المؤمنين -رضي الله عنها- والحديث رجاله رجال الصحيحين. انظر: بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني حاشية الفتح الرباني للشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا (١١٣/٨) أبواب عذاب القبر.

ومن خلال هذا الحديث تتضح ثمار هذا الموقف الحكيم من أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في حبسها للمرأة اليهودية وتلهيتها لحين مجيء النبي ﷺ لِتُسمعه ما سمعت وتعلم علم اليقين مدى مصداقية هذه الدعوات التي دعت بها اليهودية، كما استفادت الأمة من هذا الموقف تقريره ﷺ لهذه الدعوات من اليهودية وأنها حق وتعلمتها الأمة بهذه المناسبة، كما ثبت بها إقرار هذا الأمر الغيبي من أمور الآخرة، المتعلق بنعيم القبر وعذابه، وكذلك فتنة الدجال التي هي من أشراط الساعة نسأل الله السلامة والعافية.

ولقد أفادت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- الأمة في كثير من أقوالها وإجاباتها الحكيمة الموفقة المسددة إذ غدت بمثابة منهج حياة لكل مسلم، والتي تدل على نور الحكمة الذي آتاها الله عزَّ وجلَّ، فقد روى الحاكم -رحمه الله- عن جبير(١) بن نفير قال: حججت فدخلت على **عائشة** -رضي الله عنها- فقالت لي يا جبير: تقرأ المائدة؟ فقلت: نعم، قالت: أما إنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم من حرام فحرموه)(٢).

---

(١) هو أبو عبد الرحمن جبير بن نفير بن مالك بن عامر الحضرمي. روى عن أبيه وأبي ذر وأبي الدرداء وغيرهم وروى عنه ابنه عبد الرحمن ومكحول وأبو الزاهرية وغيرهم. قال أبو حاتم: ثقة من كبار تابعي أهل الشام، وقال أبو زرعة: ثقة. مات سنة ٧٥هـ وقيل: ٨٠هـ. انظر: تهذيب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٢/٦٤).

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري (٢/٣١١) كتاب التفسير. تفسير سورة المائدة. قال عنه الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وفي رواية المسند (...وسألتها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: القرآن)[1].

ومن خلال هذا الحديث يظهر ما وهب الله عزَّ وجلَّ أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- من العلم والحكمة، فقد أفادت الزائر لها بفائدة عظيمة، إذ دَلَّتْهُ على باب من العلم منبعه الأحكام الواردة في سورة المائدة معللة ذلك بأن هذه السورة من آخر ما نزل على رسول الله ﷺ، وهذا من دلائل حكمتها -رضي الله عنها-.

ولما أفاضت العلم على زائرها، تولدت عنده الرغبة الشائقة في زيادة التعلم والتبصر بالهدي النبوي الذي كان عليه ﷺ فسألها عن خلقه ﷺ، وأتت الإجابة الحكيمة الموفقة من أبلغ ما سمعه البشر بعد حديث رسول الله ﷺ، إذ غدا جوابها هذا معلوماً لدى الأمة كلها تتناقله جيلاً بعد جيل ويعلمه الصغير والكبير، ذلكم حين أجابته بكلمة واحدة فقط هي قمة البلاغة ومنتهى الإيجاز حيث قالت -رضي الله عنها-: "القرآن" أي أن خلقه وآدابه مصدرها القرآن، وتكون بهذا قد وجَّهت الأمة كلها إلى مصدر الحكمة ومنبعها الفياض وهو كتاب الله.

ولقد نهلت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- من معين النبوة الصافي الشيء الكثير، فكانت من علماء الأمة الذين نفع الله بهم فعلموا وعلَّموا،

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم: (٢٦٠٦٣) (ص١٩٠٣) حديث السيدة **عائشة** أم المؤمنين -رضي الله عنها- والحديث صححه الحاكم وأقره الذهبي. انظر: بلوغ الأماني شرح الفتح الرباني للشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا -رحمه الله- (١٨/١٢٥). وانظر: تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (٢/٢).

بالحكمة التي وهبهم الله، وكانت -رضي الله عنها- مضرب مثل في ذلك، إذ حباها الله عزَّ وجلَّ حباً وشغفاً بالعلم، فقد كانت لا تمر بها مسألة أو حادثة تستطيع أن تفيد بها الأمة إلا وسألت عنها رسول الله ﷺ، فمن ذلك ما رواه الحاكم -رحمه الله- عن **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: (ما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس إلا قال: سبحانك اللهم ربي وبحمدك لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك، فقلت له يا رسول الله!: ما أكثر ما تقول هؤلاء الكلمات إذا قمت، قال لا يقولهن من أحد حين يقوم من مجلسه إلا غفر له ما كان منه في ذلك المجلس) قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه[١].

وفي توضيح المعنى المقصود بالمغفرة الوارد في الحديث وأن عمومه مخصوص بما عدا الكبائر وغيرها من تبعات العباد قيل في ذلك: «عموم المغفرة الوارد مخصوص بما عدا الكبائر فإنها لا تكفر إلا بالتوبة أو بالفضل الإلهي وبما عدا تبعات العباد، لأن إسقاطها موقوف على رضا ذي الحق، وهذا التخصيص مأخوذ من أحاديث أخر، ...وترتب على هذا الذكر مغفرة ما كسب في ذلك المجلس لما فيه من تنزيه المولى سبحانه والثناء عليه بإحسانه والشهادة بتوحيده ثم سؤال المغفرة من جنابه وهو الذي لا يخيب قاصد بابه»[٢].

---

(١) المستدرك على الصحيحين في الحديث للحاكم النيسابوري (١/٤٩٦-٤٩٧) كتاب الدعاء، والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي. انظر: تلخيص المستدرك في حاشية المستدرك للإمام الذهبي (١/٤٩٧).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين وهو شرح كتاب رياض الصالحين للشيخ محمد بن علان الصديقي الشافعي (ت:١٠٥٧هـ) (٣/٣١٥) بتصرف.

ولئن كان وصف الحكمة يشمل كل من أخذ من العلم ونقل شيئاً من الميراث النبوي، فقد تبوأت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في ذلك أعلى المنازل وأرقى الدرجات وأسمى المقامات، فهي إذاً من أئمة الحكماء والعلماء الذين ورَّثوا للأمة معظم شريعة الإسلام التي استقوها من رسول الله ﷺ، ومن ذا الذي يستطيع أن يباري أو يجاري أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في هذا المضمار، لقد كانت بلا منازع هي فارس الحلبة، وهي (جُذَيْلُها المحكَّك، وعُذَيْقُها المُرَجَّبُ)(١)، فقد «بلغ مسند حديثها الذي روته عن رسول الله ﷺ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، اتفق لها البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثاً، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين»(٢).

---

(١) هذا القول ينسب لسعيد بن عُطارد، وقيل بل هو للحباب بن المنذر، والمعنى: أنه قصد بالجذيل ههنا الأصل من الشجرة تحتك به الإبل فتشتفي به، أي قد جربتني الأمور ولي رأي وعلم يشتفي بهما كما تشتفي هذه الإبل الجَرْبي بهذا الجِذْل، وصَغَّره على جهة المدح. ومعنى عذيقها المرجب: تصغيراً لعذق النخلة وهو تصغير تعظيم، والترجيب هنا إرفاد النخلة من جانب ليمنعها من السقوط، إذا خيف عليها أن تقع لطولها وكثرة حملها، والتصغير للتعظيم. انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (جذل) (١٠٧/١١)، ومادة (عذق) (٢٣٨/١٠)، ومادة (رجب) (٤١٢/١).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣٩/٢) الطبعة الثانية (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) بتصرف.

٢- أثر أسلوب الموعظة الحسنة في دعوة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

مما وعظت به **أم المؤمنين عائشة** -رضي الله عنها- الأمة فَخَوَّفت من أهوال يوم القيامة، وأيقظت القلوب للاجتهاد في العمل الصالح استعداداً لذلك اليوم العصيب، ما جاء عنها -رضي الله عنها- أنها قالت: (ذكرت النار فبكيت، فقال رسول الله ﷺ: ما لك يا **عائشة**؟ قالت: ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً، عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند الكتب حتى يقال هاؤم اقرؤوا كتابيه حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أم في شماله أو من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم حافتاه كلاليب[1] كثيرة وحسك[2] كثير يحبس الله بها من شاء من خلقه حتى يعلم أينجو أم لا)[3].

وفي التقلل من الدنيا والزهد فيها وفي متاعها الزائل، وفي التذكير بالآخرة ونعيمها المقيم تؤكد أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- ذلك من خلال

---

(١) الكلاليب: جمع الكُلّوب، بالتشديد: حديدة معوجة الرأس. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (١٩٥/٤).

(٢) الحسَك: جمع حَسَكة، وهي شوكة صلبة. المصدر السابق (٣٨٦/١).

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري (٥٧٨/٤)، وقال عنه الحاكم: هذا حديث صحيح إسناده على شرط الشيخين لولا إرسال فيه بين الحسن و**عائشة** على أنه قد صحت الروايات أن الحسن كان يدخل وهو صبي منزل **عائشة** وأم سلمة -رضي الله عنها-. وأخرجه أبوداود، كتاب السنة، باب: في ذكر الميزان، حديث رقم: (٤٧٥٥)، وقوله: عند الميزان سقط من لفظ الحاكم، والحديث ضعفه الألباني كما في (ص٥١٨) طبعة بيت الأفكار الدولية.

حديث ترويه عن رسول الله ﷺ يتضح من خلاله زهده ﷺ وتقلله من هذه الدنيا وكيف كانت همته ﷺ منصرفة إلى الآخرة والشوق إلى ما عند الله، وفي هذا أبلغ درس وأعظم موعظة لكل مؤمن ومؤمنة في التأسي برسول الله ﷺ في ذلك، فقد جاء في السنن عن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: (ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً، ولا شاة ولا بعيراً، ولا أوصى بشيء)(1).

ودلالة الحديث ظاهرة في تقلله ﷺ من الدنيا، بدليل عدم وجود شيء من المال لكي يوصي به ﷺ عند موته، وفي هذا يقول الإمام الخطابي -رحمه الله-: «قولها: "ولا أوصى بشيء" تريد وصية المال خاصة لأن الإنسان إنما يوصي في مال سبيله أن يكون موروثاً وهو ﷺ لم يترك شيئاً يورث فيوصي به، وقد أوصى بأمور منها ما روي أنه كان عامة وصيته عند الموت: الصلاة وما ملكت أيمانكم. وقال ابن عباس -رضي الله عنه- أوصى رسول الله ﷺ عند موته: أخرجوا اليهود عن جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم)(2).

وفي أسلوب ملؤه التخويف والزجر من عقاب الله وسخطه تعظ أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- المؤمنات وتوجههن إلى أمر جد خطير،

---

(1) سنن ابن ماجة، حديث رقم: (٢٦٩٥) (٢/٩٠٠) كتاب الوصايا، باب: هل أوصى رسول الله ﷺ، ورواه أبوداود في سننه حديث رقم: (٢٨٦٣) (٣/١١٢) كتاب الوصايا، باب: ما جاء في ما يؤمر به من الوصية. والحديث صححه الألباني في: صحيح سنن ابن ماجة، حديث رقم (٢١٩٨، ٢٧٤٥) (٢/٣٦٢). وصحيح سنن أبي داود، حديث رقم: (٢٨٦٣) (٢/٢٠٥).

(2) معالم السنن شرح سنن أبي داود للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي (ت:٣٨٨هـ) (٤/٧٧).

ألا وهو الحرص على التستر وذلك بعدم وضعهن ثيابهن في غير بيوتهن. وهذه الموعظة فيها من الخير الشيء الكثير لو عملت بها المؤمنات وتمسكْنَ بها، لأن فيها سداً لباب الفتنة وأسباب الفساد بشتى صوره وأشكاله. فقد جاء في السنن عن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: (...سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من امرأة تضع ثيابها في غير بيت زوجها إلا هتكت الستر بينها وبين ربها)[1].

وتوجه أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- المؤمنين والمؤمنات للعمل الصالح والاجتهاد فيه، وذلك من خلال روايتها لحديث عن رسول الله ﷺ توضح من خلاله مقدار الأجر الذي يعطيه الله عزَّ وجلَّ لمن يتقن قراءة كتاب الله ويكثر من تلاوته، وفي هذا من عظيم الموعظة للمؤمن ما لا يخفى أثره ويعظم أجره ونفعه، فقد جاء في صحيح البخاري (عن **عائشة** -رضي الله عنها- عن النبي ﷺ قال: مثل الذي يقرأ القرآن، وهو حافظ له مع السفرة[2] الكرام، ومثل الذي يقرأ وهو يتعاهده، وهو عليه شديد فله أجران)[3].

---

(١) سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، حديث رقم: (٢٨٠٣) (٥/١١٤) كتاب الأدب، باب: ما جاء في دخول الحمام. قال أبوعيسى: هذا حديث حسن. وانظر: سنن أبي داود، حديث رقم: (٤٠١٠) (٤/٣٩) كتاب الحمام. والحديث صححه الألباني في: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم: (٤٠١٠) (٢/٤٩٧).

(٢) هم الملائكة، جمع سافر، والسافر في الأصل: الكاتب، سُمِّي به لأنه يبين الشيء ويوضحه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (سفر) (٢/٣٧١).

(٣) صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٩٣٧) (ص١٠٨٣) كتاب التفسير، سورة عبس.

وفي رواية لمسلم: (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة[1]، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع[2] فيه، وهو عليه شاق، له أجران)[3].

ومما قيل في معنى قوله ﷺ: "مع السفرة الكرام البررة"، أي: «كأنه مع السفرة فيما يستحقه من الثواب»[4].

وفي المفاضلة بين الفريقين وأيهما أفضل عند الله قال القاضي عياض -رحمه الله-: «ليس معناه الذي يتتعتع عليه له من الأجر أكثر من الماهر به، بل الماهر أفضل وأكثر أجراً لأنه مع السفرة وله أجور كثيرة ولم يذكر هذه المنزلة لغيره وكيف يلحق به من لم يعتن بكتاب الله تعالى وحفظه وإتقانه وكثرة تلاوته وروايته كاعتنائه حتى مهر فيه، والله أعلم»[5].

وتفيد -رضي الله عنها- الأمة وتحذرها من خلق ذميم لا يفعله إلا من ضعفت نفسه وتدنَّى خلقه ونسي الله والدار الآخرة، تمثل ذلك في موعظتها -رضي الله عنها- من خلال حديث نبوي ترويه عن رسول الله ﷺ توضح من

---

(١) يقال: بَرَّ يبَرُّ فهو بارٌّ، وجمعه بَرَرَة، وجمع البَرّ أبرار، وهو كثيراً ما يُخَصُّ بالأولياء والزهاد والعبَّاد، وهو هنا يخص الملائكة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١/١١٦-١١٧).

(٢) أي يتردد في قراءته ويتبلد فيها لسانه. انظر: المصدر السابق (١/١٩٠).

(٣) صحيح مسلم، حديث رقم: (٧٩٨) (ص٣١٢) كتاب صلاة المسافرين، باب: فضل الماهر في القرآن والذي يتتعتع فيه.

(٤) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨/٦٩٣). وانظر: عمدة القارئ شرح صحيح البخاري للإمام بدر الدين العيني (١٩/٢٨٠).

(٥)شرح النووي على صحيح مسلم (٦/٨٥).

خلاله أن أبعد الناس وأبغض الخلق إلى ا لله هم أصحاب الجدل المذموم الموغلون في الخصومة والنزاع والمحاجَّة بالباطل، فقد جاء في الصحيحين (عن **عائشة** -رضي ا لله عنها- قالت: قال رسول ا لله ﷺ: إن أبغض الرجال إلى ا لله الألدّ الخصم)[١].

وتوضيحاً لذلك قال النووي -رحمه ا لله- عند شرحه للحديث: «الألدّ شديد الخصومة مأخوذ من لديدي الوادي وهما جانباه لأنه كلما احتجَّ عليه بحجة أخذ في جانب آخر، وأمَّا الخصم فهو الحاذق بالخصومة، والمذموم هو الخصومة بالباطل في دفع حق أو إثبات باطل»[٢].

وتنظر أم المؤمنين **عائشة** -رضي ا لله عنها- نظرة الأم الحنون على أولادها، فتقدم وصية نبويةً هي في حقيقتها موعظة حسنة لكل من وَلِيَ شيئاً من أمور المسلمين بأن يضع أمام عينيه عِظَمَ هذه المسئولية وأنه سيسأل عنها بين يدي ا لله عزَّ وجلَّ، فإن أحسن ورفق بمن تحت يده وَجَدَ ذلك حسناً عند ا لله، وإن كانت الأخرى فالجزاء من جنس العمل، فقد روى مسلم في صحيحه بسنده (...عن عبدالرحمن[٣] بن شماسة قال: أتيت **عائشة** -رضي ا لله عنها-

---

(١) متفق عليه. انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٤٥٧) (ص٥١٠) كتاب المظالم والغصب، باب: قول ا لله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾. وصحيح مسلم، حديث رقم: (٢٦٦٨) (ص١٠٧٠) كتاب العلم، باب: في الألد الخصم.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٢١٩/١٦).

(٣) هو عبدالرحمن بن شِماسة، بكسر المعجمة وتخفيف الميم بعدها مهملة، المهري بفتح الميم وسكون الهاء، المصري، ثقة، مات سنة إحدى ومائة أو بعدها. انظر: تقريب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٤٨٤/١).

أسألها عن شيء، فقالت: ممن أنت؟ فقلت: رجل من أهل مصر، فقالت: كيف كان صاحبكم لكم في غزاتكم هذه؟ فقال: ما نقمنا منه شيئاً، إن كان ليموت للرجل منا البعير، فيعطيه البعير، والعبد، فيعطيه العبد، ويحتاج إلى النفقة، فيعطيه النفقة، فقالت: أما إنه لا يمنعني الذي فعل في محمد ابن أبي بكر أخي أن أخبرك ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: "اللهم من وليَ من أمر أمتي شيئاً فشقَّ عليهم فاشقُقْ عليه، ومن وليَ من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم، فارفقْ به")[1].

وقد ذكر صاحب فيض القدير كلاماً نفيساً عند شرحه لهذا الحديث، حيث قال -رحمه الله-: «وهذا دعاء مجاب، وقضية لا يشك في حقيقتها عاقل ولا يرتاب، فَقَلَّما ترى ذا ولاية عسف وجار وعامل عيال الله بالعتو والاستكبار وإلا كان آخر أمره الوبال وانعكاس الأحوال، فإن لم يعاقب بذلك في الدنيا قصرت مدته وعُجِّل بروحه إلى بئس المستقر سقر، ...وهذا كما ترى أبلغ زجر عن المشقة على الناس، وأعظم حثٍّ على الرفق بهم، وقد تظاهرت على ذلك الآيات والأخبار»[2].

وتهتم أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- بركن أساس في الدين وقاعدة مهمة من قواعد الدين لا يقوم الدين ولا يُحفظ إلا بها، ألا وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فوعظت ونصحت وحذرت وخوفت من فقد هذا

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (١٨٢٨) (ص٧٦٣) كتاب الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر والحثّ على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة محمد المدعو عبد الرؤوف المناوي (١٠٧/٢) بتصرف.

الركن العظيم من الدين، ووجهت إلى العناية به والقيام به من لدن جميع أفراد الأمة؛ لأنه سفينة النجاة ومرسى الأمان، وتستدل على ذلك بحديث ترويه عن رسول الله ﷺ في هذا الشأن، فقد جاء عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم)(١).

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال:...سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من رأى منكم منكراً فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)(٢).

ولأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تناوله العلماء بالشرح والبحث والاستنباط وتقرير الأحكام، ورحم الله النووي، فقد أطنب وأفاد عند شرحه لحديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- السابق، وما ذاك إلا لأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعِظَمِ مكانتهما في الدين، ومما قاله في ذلك: «واعلم أن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باب عظيم به قِوامُ الأمر وملاكه وإذا كثر الخبث عمَّ العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٣)، فينبغي لطالب الآخرة والساعي

---

(١) سنن ابن ماجة، حديث رقم: (٤٠٠٤) (٢/١٣٢٧) كتاب الفتن، باب: الأمر المعروف والنهي عن المنكر، والحديث حسنه الألباني في: صحيح سنن ابن ماجة، حديث رقم: (٣٢٥١-٤٠٧٥) (٣/٣١٢).

(٢) صحيح مسلم، جزء من حديث رقم: (٤٩) (ص٥١) كتاب الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان.

(٣) سورة النور، الآية: (٦٣).

في تحصيل رضا الله عزَّ وجلَّ أن يعتني بهذا الباب فإن نفعه عظيم لاسيَّما وقد ذهب معظمه، وليخلص نيته ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته فإن الله تعالى قال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[3] وقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[4]. واعلم أن الأجر على قدر النصب، ولا يتاركه أيضاً لصداقته ومودته ومداهنته وطلب الوجاهة عنده ودوام المنزلة لديه، فإن صداقته ومودته توجب له حرمةً وحقاً، ومن حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته وينقذه من مضارها، وصديق الإنسان ومحبه هو من سعى في عمارة آخرته وإن أدَّى ذلك إلى نقص في دنياه، وإنما كان إبليس عدواً لنا لهذا، وكانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أولياء للمؤمنين لسعيهم في مصالح آخرتهم وهدايتهم إليها...، وبسطت الكلام في هذا الباب لعظم فائدته وكثرة الحاجة إليه وكونه من أعظم قواعد الإسلام»[5].

---

(١) سورة الحج، الآية: (٤٠).

(٢) سورة آل عمران، الآية: (١٠١).

(٣) سورة العنكبوت، الآية: (٦٩).

(٤) سورة العنكبوت، الآية: (٢-٣).

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/٢٤-٢٦).

ومما يشهد برسوخ قدم أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في باب الخطب والمواعظ، -حيث يتطلب ذلك مقومات كثيرة للوصول إلى مصافِّ الخطباء والوعّاظ المؤثرين- شهادة المعاصرين لها من أهل الفضل والفصاحة بذلك، ولا غرو فهي بنت الصديق -رضي الله عنه- وزوجة رسول رب العالمين أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء عليه أفضل الصلاة والتسليم، روي «عن الأحنف بن قيس قال: سمعت خطبة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والخلفاء بعدهم، فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم ولا أحسن منه من في **عائشة**»[1].

«وقال موسى بن طلحة: ما رأيت أحداً أفصح من **عائشة**»[2].

«وعن سفيان قال: سأل معاوية زياداً: أي الناس أبلغ؟ قال: أنت يا أمير المؤمنين. قال: أعزم عليك. قال: إذا عزمت عليَّ **فعائشة**. فقال معاوية: ما فتحت باباً قط تريد أن تغلقه إلا أغلقته، ولا أغلقت باباً قط تريد أن تفتحه إلا فتحته»[3].

وإن الذي يقرأ في سيرتها العطرة ليجد نماذج عدة تؤكد مقدرتها -رضي الله عنها- على الخطابة، وأخذها بزمام البلاغة والفصاحة، والتأثير عند الوعظ والإرشاد، ومن ذلك على سبيل المثال عند ما بلغها أن أقواماً ينالون من أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-، فأرسلت إلى أزفلةٍ[4] منهم. فلما حضروا

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٩١/٢).

(٢) المصدر السابق، (١٩١/٢).

(٣) صفة الصفوة للإمام ابن الجوزي (٣٥٢/١).

(٤) الأزفلة: هي الجماعة. معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (زفل) (١٥/٣).

سدلت أستارها، ثـم دنـت فحمـدت ا لله تعـالى وصلَّـت علـى نبيـه محمـد ﷺ، وعذلت[1] وقرّعت[2]، ثم قالت: (أبي وما أبيه؟ أبي وا لله لا تعطوه[3] الأيـدي، ذاك طود منيف، وفرع مديد -إلى أن قـالت- فلمـا قُبـض ﷺ نصـب الشـيطان رواقه ومدَّ طنبيه[4]، ونصـب حبائلـه، وظـن رجـال أن قـد تحققـت أطمـاعهم، ولات حين مناص، وأبي الصدِّيق بـين أظهرهـم، فقـام حاسـراً مشـمراً، فجمـع حاشيته ورفع قطريه[5]، فردَّ نشر الإسلام على غُرْبه، ولمَّ شعثه[6] بطيه[7]، وأقام أوده[8] بثقافـه[9]، فـاندفر[10] النفـاق بوطأتـه، وانتـاش[11] الدّيـن فنعشـه[12]،

(١) العذل: هو اللوم أي لامتهم على سوء صنيعهم. انظر: المصباح المنير للفيومي، مادة (عذل).

(٢) قرَّع: بتشديد الراء: أوجع باللوم والعتاب. انظر: المعجم الوسيط، مادة (قرع) (٧٢٨/٢).

(٣) لا تعطوه: أي لا تناوله. معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (عطو) (٣٥٣/٤).

(٤) الطُّنُبُ: حبل يشد به الخباء والسرادق والجمع أطناب. وطنب بالمكـان: أقام بـه. انظـر: المعجـم الوسيط (٥٦٧/٢).

(٥) رفع قطريه: أي جانبي برديه. كناية عن الجد والتشمير. انظر: المصباح المنير للفيومي، مادة (قطر) (١٦٧/٢).

(٦) الشعث: انتشار الأمر. يقال: لمَّ ا لله شعثك أي: جمع أمرك المنتشر. مختار الصحاح للرازي (ص٣٣٩).

(٧) طوى الشيء طياً: ضم بعضه على بعض. انظر: المعجم الوسيط، مادة (طوى) (٥٧٢/٢).

(٨) أود: هو العطف والانثناء والتعوّج. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٥٤/١).

(٩) ثقفته: بالتثقيل: أقمت المعوج منه. انظر: المصباح المنير للفيومي (٩١/١).

(١٠) دَفِرَ دَفَراً واندفر: بمعنى ذلَّ. انظر: المعجم الوسيط، مادة (دفر) (٢٨٨/١).

(١١) النتش: الاستخراج والجذب. وأنتش النبات: أخرج رأسه مـن الأرض. انظر: القـاموس المحيـط للفيروزآبادي (٣٠٠/٢).

(١٢) نعشه: أي رفعه، وجبره بعد فقر وانتهضه من عثرته. انظر: المصدر السابق، مادة (نعش) (٣٠١/٢).

فلما أراح الحق إلى أهله وقرَّر الرؤوس على كواهلها، وحقن الدماء في أهبها[1]، أتته ميتته فسد ثلمته[2] بنظيره في المرحمة وشقيقه في السيرة والمعدلة. ذاك عمر بن الخطاب، لله أمّ حملت به ودرَّت عليه...، -إلى أن قالت- فأروني ما تريبون، وأي يوم تنقمون؟ أيوم إقامته إذْ عدل فيكم أم يوم ظعنه فقد نظر لكم؟ أستغفر الله العظيم لي ولكم)[3].

ومن أحاديثها الشَّيِّقَةِ ومواعظها المؤثرة روايتها لحديث الإفك الطويل بأسلوب بلاغي مؤثر لا يكاد يقرؤه مؤمن إلا وتفيض عيناه وتنسكب عبرته تأثراً وحزناً لما أصابها -رضي الله عنها- وفي الوقت نفسه كان حديثها منصباً في باب تفويض الأمر لله والإنابة إليه والتوكل عليه وأنه سبحانه هو المغيث لكل ملهوف، والمفرج عن كل مكروب، وفي هذا أعظم درس وأبلغ موعظة لكل مؤمن ومؤمنة.

---

(١) أهب جمع الإهاب: وهو الجلد ما لم يدبغ. مختار الصحاح للرازي (ص٣١).

(٢) الثلمة: في الحائط وغيره: الخلل. انظر: المصباح المنير للفيومي، مادة (ثلم) (١/٩٢).

(٣) انظر: الخطبة بكمالها في كتاب صفة الصفوة لابن الجوزي (١/٣٥١).

٣- أثر أسلوب القدوة الحسنة في دعوة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

لقد جُبلت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- على الطاعة والإيمان منذ إشراقه نور الإسلام في أم القرى مكة المكرمة، فهي إحدى بنات الصحابة اللاتي ولدن في الإسلام، وكانت تقول عن أبويها: لم أعقل إلا وهما يدينان الدين[١]. ولئن كان للقدوة منبراً ونبراساً فإني لا أجد من يستحقه مثل الصديقة بنت الصديق -رضي الله عنهما- وعن والديها، فمنذ أن كانت طفلة، كان أبواها يلاحظان خيرها ويشعران بحفاوة الله تعالى بهما، وما كانا يوماً من الأيام يظنان أنها ستغدو حبيبة المصطفى عليه الصلاة والسلام وأما للمؤمنين، وموئلاً للعلماء، وقدوة للمقتدين في العلم والفقه والمعرفة والدين. وفي تعداد مناقبها وتتبع أسرار القدوة الحسنة في حياتها توافرت الأخبار في ثنايا الكتب، فقد أورد لها الزركشي -رحمه الله- في كتابه الإجابة[٢]، أربعين منقبة لم تكن لغيرها من زوجاته ﷺ. وفي حديثه عنها أفرغ الإمام الذهبي -رحمه الله- براعته البيانية، ومداد قلمه، فأجمل وأنصف، وأبدع وأحسن، فكان مما قاله: (وكانت امرأة بيضاء جميلة، ومنْ ثَمَّ يقال لها "الحميراء" ولم يتزوج النبي ﷺ بكراً غيرها، ولا أحب امرأة حبها، ولا أعلم في أمة محمد ﷺ، بل، ولا في النساء مطلقاً،

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣٩/٢) وتهذيب الأسماء واللغات للنووي (١٨٣/٢) ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(٢) الإجابة لإيراد ما استدركته **عائشة** على الصحابة للإمام بدر الدين الزركشي (ص٣٨-٦٣) تحقيق: سعيد الأفغاني، الطبعة الرابعة (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

امرأة أعظم منها. وذهب بعض العلماء إلى أنها أفضل من أبيها، وهذا مردود، وقد جعل الله لكل شيءٍ قدراً؛ بل نشهد أنها زوجة نبينا ﷺ في الدنيا والآخرة، فهل فوق ذلك مفخر؟ وإن كان للصديقة خديجة شأوٌ لا يلحقْ، وأنا واقف في أيتها أفضل، نعم، جزمت بأفضلية خديجة عليها، لأمور ليس هذا موضعها)[1].

وفي حياة أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- خصائص كريمة تستحق الوقوف، فقد تفردت بها في عالم النساء، ورقت إلى ذروة المعالي في البيت النبوي، ومن يقتعد تلك المنزلة فحق له أن يفخر. ففي حادثة الإفك سطرت -رضي الله عنها- أعظم دروس القدوة الحسنة لكل مؤمن ومؤمنة في الصبر والتفويض لله عزَّ وجلَّ، وأن عاقبة ذلك الفرج والنصر، لقد وصفت -رضي الله عنها- حالها وحال أبويها في أحرج لحظات البلاء فقالت: (والله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام)[2]. وفي تلك اللحظات الحرجة وعند نزول الوحي على رسول الله ﷺ، وصفت أم المؤمنين

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/١٤٠) الطبعة الثانية (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٣/١٦٣-١٦٤) وأسباب النزول للواحدي (ص٢٦٥) وصحيح البخاري، حديث رقم: (٤١٤١) في الشهادات وفي تفسير سورة النور، برقم: (٤٧٥٠) وفي مسلم في كتاب التوبة، برقم: (٢٧٧٠) باب: حديث الإفك وقبول توبة القاذف. وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢/١٥٣-١٥٩) والفصول في سيرة الرسول لابن كثير (ص٣٣٥) وغيرها من كتب التفسير والتراجم.

حالها وما نزل بهما حين نزول الوحي فقالت: (فأمَّا أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت، فوا لله ما فزعت ولا باليت، قد عرفت أني بريئة، وأن ا لله عزَّ وجلَّ غير ظالمي، وأمَّا أبواي فوالذي نفس **عائشة** بيده، ما سُرِّي عن رسول ا لله ﷺ حتى رأيت لتخرجن أنفسهما فرقاً من أن يأتي تحقيق ما قال الناس)[1]. لكن الوحي حسم ذلك بشهادة الطهر والبراءة **لعائشة** -رضي ا لله عنها-، وأنزل ا لله في شأنها ستة عشرة آية من صدر سورة النور، تبدأ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ﴾ . . . ،وتختم بقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾[2].

ومن دروس القدوة الحسنة المستفادة من صبر أم المؤمنين **عائشة** -رضي ا لله عنها- في هذه الحادثة: (أن ا لله عزَّ وجلَّ أخبر بأن ما قيل فيها من الإفك كان خيراً **لعائشة** -رضي ا لله عنها- ولم يكن ذلك الذي قيل شراً لها، ولا خافضاً من شأنها، بل رفعها ا لله بذلك، وأعلى قدرها، وأعظم شأنها وكرامتها، وصار لها ذكراً بالطّيب والبراءة بين أهل الأرض والسماء، فيالها من منقبة ما أجلّها وما أعظمها)[3].

وتفيد أم المؤمنين **عائشة** -رضي ا لله عنها- في دعوة المؤمنين والمؤمنات إلى الإقتداء به ﷺ فتروي أحاديث كثيرة في هذا الشأن أفردها بعض أهل العلم

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) سورة النور، الآيات من: (١٠-٢٦).

(٣) بتصرف من جلاء الأفهام لابن قيم الجوزية (ص١٨٣) تحقيق: محي الدين مستو. الطبعة الأولى: ١٩٨٨م، ط. دار ابن كثير، دمشق - سوريا.

بالتأليف مثل كتب الشمائل والسير ونحوها، ولم تخل كتب الحديث من هذه الشمائل الزكية التي رُويت عن أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- وفي مقدمتهن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها-، فقد حرصت على دعوة الأمة من خلال أسلوب القدوة الحسنة التي أمرنا الله عزَّ وجلَّ بالأخذ بها في قوله سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾(1). ففي دعوتها -رضي الله عنها- إلى توجيه الأمة إلى السنة والتأسي به ﷺ في البدء باليمين في أمور العبادة والعادة، ما روي في الصحيحين عنها -رضي الله عنها- أنها قالت: (كان النبي ﷺ يعجبه التيمن في تنعُّله وترجُّله وطُهُوره. وفي شأنه كله)(2). وفي رواية لمسلم عنها -رضي الله عنها- قالت: (إن كان رسول الله ﷺ ليحب التيمن في طهوره إذا تطهر، وفي ترجله إذا ترجَّل، وفي انتعاله إذا انتعَلَ)(3).

قال النووي -رحمه الله-: (هذه قاعدة مستمرة في الشرع، وهي أن ما كان من باب التكريم والتشريف كلبس الثوب والسراويل والخف ودخول المسجد والسواك والاكتحال وتقليم الأظفار وقص الشارب وترجيل الشعر وهو مشطه، ونتف الإبط وحلق الرأس والسلام من الصلاة وغسل أعضاء الطهارة والخروج من الخلاء والأكل والشرب والمصافحة واستلام الحجر الأسود

(1) سورة الأحزاب، الآية: (21).

(2) صحيح البخاري، حديث رقم: (168) (ص54) كتاب الوضوء، باب: التيمن في الوضوء والغسل، ط. دار الأرقم، بيروت - لبنان.

(3) صحيح مسلم، حديث رقم: (268) (ص131) كتاب الطهارة، باب: التيمن في الطهور وغيره.

وغير ذلك مما هو في معناه يستحب التيامن فيه، وأما ما كان بضده كدخول الخلاء والخروج من المسجد والامتخاط والاستنجاء وخلع الثوب والسراويل والخف وما أشبه ذلك فيستحب التياسر فيه، وذلك كله بكرامة اليمين وشرفها والله أعلم)[1].

وفي باب الدعوة إلى التقلل من هذه الدنيا والاكتفاء منها بالقليل تروي أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- أحاديث تظهر حاله ﷺ في معيشته مع أهله داخل حجراته ليقتدي به المقتدون. فتقول -رضي الله عنها-: (ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ)[2].

وعنها -رضي الله عنها- قالت: (إن كنا آل محمد ﷺ لنمكث شهراً ما نستوقد بنار، إن هو إلا التمر والماء)[3].

وعنها -رضي الله عنها- قالت: (توفي رسول الله ﷺ وما في رَفّي من شيء يأكله ذو كبد، إلا شطْرُ[4] شعيرٍ في رفٍّ لي، فأكلت منه حتى طال عليَّ،

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٣/١٦٠) الطبعة الثانية (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م) ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٩٧٠) (ص١١٩٢) كتاب الزهد والرقائق، باب: ما بين النفختين، ط. بيت الأفكار الدولية، الرياض - المملكة العربية السعودية.

(٣) المصدر السابق، حديث رقم: (٢٩٧٢) (ص١١٩٢) كتاب الزهد، باب: ما بين النفختين.

(٤) الشطر والشطير: مثل النِصف والنصيف، وهو نصف الوسق، والأصل في الوسق أنه هو الحِمْل. فكل شيء وسقته فقد حَمَلْتَه، والوسق بالفتح: ستون صاعاً. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢/٤٧٣-٥/١٨٥) ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

فَكِلْتُهُ فَفَنِي)[1].

وعنها -رضي الله عنها- قالت: (لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين)[2].

وفي هذه الأحاديث وما ورد في بابها أوضحت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- الحال التي كان يعيشها عليه الصلاة والسلام في زهده وتقلله من الدنيا، وفي ذلك قال القاضي عياض -رحمه الله- عند شرحه لهذه الأحاديث: (وفي هذه الأحاديث التي جاءت في عيش النبي ﷺ وتقلله، دليل على فضل الزهد في الدنيا والتقلل منها. وهذا مما لا خلاف في فضيلته لخفة حسابه)[3].

وكم من المهلكات التي يتعرض لها ابن آدم سببها الإفراط في الشهوات وفي مقدمتها شهوة البطن لأنها مفتاح وسبب لما بعدها من الشهوات، وفي هذا يقول ابن قدامة -رحمه الله-: (شهوة البطن من أعظم المهلكات، وبها أخرج آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة، ومن شهوة البطن تحدث شهوة الفرج والرغبة في المال، ويتبع ذلك آفات كثيرة، كلها من بطر الشبع)[4].

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٩٧٣) (ص١١٩٣) كتاب الزهد، باب: ما بين النفختين.

(٢) المصدر السابق، حديث رقم: (٢٩٧٤) (ص١١٩٣) كتاب الزهد، باب: ما بين النفختين.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (٥٢٧/٨) كتاب الزهد والرقائق، باب: ما بين النفختين، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) ط. دار الوفاء، مصر.

(٤) مختصر منهاج القاصدين للإمام أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (ص١٦٣) طبعة عام (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م) مكتبة دار البيان، دمشق - سوريا.

وفي توجيه أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- إلى حسن التأدب في القول وعدم سرد الكلام والعجلة فيه، تخبرنا -رضي الله عنها- بما كان عليه حاله ﷺ في هذا الشأن وهو الأسوة والقدوة لكل مسلم فتقول -رضي الله عنها-: (ما كان رسول الله ﷺ يسرد كسردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلامٍ بينٍ فصلٍ، يحفظه من جلس إليه)(١). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

وفي رواية عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: (كان رسول الله ﷺ يعيد الكلمة ثلاثاً لتعقل عنه)(٢). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وفي وصف فصاحته وبلاغته ووضوح عبارته ﷺ قال صاحب المواهب -رحمه الله-: (وأما فصاحة لسانه، وجوامع كلمه، وبديع بيانه وحكمه، فكان ﷺ أفصح خلق الله، وأعذبهم كلاماً، وأسرعهم أداء، وأحلاهم منطقا، حتى كان كلامه يأخذ بمجامع القلوب ويسلب الأرواح، ...ففصاحة لسانه ﷺ غاية لا يدرك مداها، ومنزلة لا يداني منتهاها، وكيف لا يكون ذلك وقد جعل الله تعالى لسانه سيفاً من سيوفه، يبين عن مراده، ويدعو به إليه عباده، فهو ينطق بحكمه عن أمره، ويبين عن مراده بحقيقة ذكره. أفصح خلق الله إذا لفظ،

---

(١) الشمائل المحمدية للإمام أبي عيسى الترمذي، حديث رقم: (٢١٣) (ص١٨٦) باب: كيف كان كلام رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد عفيف الزعبي، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) ط. دار المطبوعات الحديثة، جدة - المملكة العربية السعودية. والحديث حسنه الترمذي. انظر: الجمع الصحيح وهو سنن الترمذي، حديث رقم: (٣٦٣٩) (٥/٦٠٠) كتاب المناقب، باب: في كلام النبي ﷺ، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

(٢) انظر: المصدرين السابقين، حديث رقم: (٢١٤) (ص١٨٧) والحديث رقم: (٣٦٤٠) (٥/٦٠١).

وأنصحهم إذا وعظ، لا يقول هجراً، ولا ينطق هذراً، كلامه كلـه يثمر علمـاً، ويمتثل شرعاً وحكماً، لا يتفوه بشر بكلام أحكم منه في مقالته، ولا أجـزل منـه في عذوبته. وقد كان ﷺ إذا تكلم تكلم بكلام مفصل مبين، يعـدُّه العـادُّ، ليس بهذر مسرع لا يحفظ)(١).

وتفيـد -رضـي الله عنهـا- الأمـة في كيفيـة نومـه ودعائـه ﷺ عنـد نومـه فتوجهنا إلى الاقتداء بسنته الثابتـة في ذلـك فتقـول -رضـي الله عنهـا-: (كـان رسول الله ﷺ إذا أوَى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه فنفث فيهمـا وقـرأ فيهمـا قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعـوذ بـرب النـاس ثـم مسـح بهمـا ما استطاع من جسده يبدأ بهما رأسَه ووجهه وما أقبل من جسده، يصنع ذلك ثلاث مرات)(٢). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب صحيح(٣).

وقد تكلَّم أهل العلم في بيان هديه ﷺ عند نومه، فرويت في ذلك أحـاديث كثيرة اشتملت على أوراد وأدعيـة سَنَّها ﷺ لأمتـه عنـد النـوم، ومنهـا حديـث أم المؤمنـين **عائشـة** -رضـي الله عنهـا- السـابق، وممـا أورده الإمـام ابـن القيـم

---

(١) انظر: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للعلامة أحمد بن محمد القسطلاني (ت:٩٢٣هـ) (٢/٢٣٦-٢٣٧) تحقيق: صالح أحمد الشامي، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ-١٩٩١م) ط. المكتـب الإسلامي، بيروت - لبنان.

(٢) الشمائل المحمدية للإمام أبي عيسى الترمذي، حديث رقم: (٢٤٤) (ص٢٢٠) باب: مـا جـاء في صفة نوم رسول الله ﷺ، ط. دار المطبوعات الحديثة، جدة - المملكة العربية السعودية.

(٣) انظر: سنن الترمذي، حديث رقم: (٣٤٠٢) (٥/٤٧٣) كتاب الدعوات، بـاب: مـا جـاء فيمـن يقرأ القرآن عند المنام.

-رحمه الله- في توضيح هديه ﷺ عند النوم قوله: (كان -ﷺ- ينام على الفراش تارة، وعلى النطع تارة، وعلى الحصير تارة، وعلى الأرض تارة، وعلى السرير تارة، وتارة على كساء أسود...، وكان فراشه أدماً حشوه ليف، ...وكان ينام أول الليل ويقوم آخره، وربما سهر أول الليل في مصالح المسلمين، وكان تنام عيناه ولا ينام قلبه، وكان إذا نام لم يوقظوه حتى يكون هو الذي يستيقظ، وكان ينام على شقه الأيمن، ويضع يده اليمنى تحت خده الأيمن، ثم يقول: "اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك"[(١)]. وكان يقول إذا أوى إلى فراشه "الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي"[(٢)] وكان إذا انتبه من نومه قال: "الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور"[(٣)])[(٤)].

---

(١) رواه أبو داود، حديث رقم: (٥٠٤٥) (٥/٣١٠) كتاب الأدب، باب: ما يقول عند النوم، وصححه الألباني. انظر: صحيح سنن أبي داود للشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله-، حديث رقم: (٥٠٤٥) (٣/٢٤٠) الطبعة الأولى (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) ط. مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية.

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٧١٥) (ص١٠٨٨) كتاب الذكر والدعاء، باب: ما يقول عند النوم، ط. بيت الأفكار الدولية، الرياض.

(٣) المصدر السابق، حديث رقم: (٢٧١٢) (ص١٠٨٧) كتاب الذكر والدعاء، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

(٤) انظر: زاد المعاد في هدى خير العباد لابن قيم الجوزية (١/١٥٥-١٥٨) فصل في هديه وسيرته ﷺ في نومه وانتباهه، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، الطبعة الثامنة (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

وفي جوامع حسن خلقه ولين طبعه ورقته مع المؤمنين تشير أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- لذلك، موجهة الأمة إلى حسن التأسي به ﷺ فتقول -رضي الله عنها-: (لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً[1] ولا متفحشاً، ولا صخاباً[2] في الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة؛ ولكن يعفو ويصفح)[3]. قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

وعنها -رضي الله عنها- أنها قالت: (ما خُيِّرَ رسول الله ﷺ في أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه، إلا أن تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله بها)[4].

في بيان ذلك أشار العلامة الزرقاني -رحمه الله- حيث قال: (ولقد أثنى الله عليه ومدحه بما منحه وأعطاه من مواهبه السنية، فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ

---

(١) الفاحش: ذو الفحش في طبعه وأقواله وأفعاله وصفاته، وإن كان استعماله في القول أكثر، والمتفحش: متكلف الفحش والمتعمد له. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣/٤١٥) ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

(٢) الصخب: الضجة، واضطراب الأصوات للخصام، والصخاب: شديد الصوت. انظر: المصدر السابق (٣/١٤).

(٣) سنن الترمذي، حديث رقم: (٢٠١٦) (٤/٣٦٩) كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في خلق النبي ﷺ، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

(٤) سنن أبي داود، حديث رقم: (٤٧٨٥) (٤/٢٥٠) كتاب الأدب، باب: في التجاوز في الأمر. والحديث صححه الألباني -رحمه الله-. انظر: صحيح سنن أبي داود للشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله-، حديث رقم: (٤٧٨٥) (٣/١٧٥) الطبعة الأولى (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) ط. مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية.

لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ مؤكداً ذلك بإن مع القسم واللام واسمية الجملة تتميماً للتعظيم، وهذه من أعظم آيات النبوة والرسالة، ولقد سئلت **عائشة** -رضي الله عنها- عن خلقه ﷺ فقالت: كان أحسن الناس خلقاً كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويغضب لغضبه لم يكن فاحشاً ولا تفحشاً ولا سحاباً في الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ثم قالت: اقرأ قد أفلح المؤمنون إلى العشر، فقرأ السائل، فقالت هكذا كان خلقه ﷺ)[1].

وفي حسن التعامل وتأليف القلوب والتحبب إلى النفوس كان ﷺ يسلك مسلكاً يؤدي إلى زرع المحبة وبذل الندى بين الناس، روت لنا ذلك أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- ليكون هذا نبراساً لكل مؤمن ومؤمنة في حسن التعامل وإشاعة المودة بين المسلمين فتقول -رضي الله عنها-: (أن النبي ﷺ كان يقبل الهدية ويثيب عليها)[2].

وفي توضيح ذلك وبيان أن من حسن الخلق قبول الهدية والإثابة عليها ما ذكره الإمام الخطابي -رحمه الله- عند شرحه للحديث حيث قال: (قبول النبي ﷺ الهدية نوع من الكرم، وباب من حسن الخلق يتألف به القلوب،

---

(١) انظر: شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني (٢٠٨/٤) الفصل الأول في قَسَمه تعالى على ما خصَّه به من الخلق العظيم وحباه، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان.

(٢) سنن أبي داود، حديث رقم: (٣٥٣٦) (٢٩٠/٣) كتاب البيوع، باب: في قبول الهدايا. والحديث صحيح. انظر: صحيح سنن أبي داود للشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله-، حديث رقم: (٣٥٣٦) (٣٨٢/٢) الطبعة الأولى (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) ط. مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية.

وقد روي عنه ﷺ أنه قال: "تهادوا تحابوا"،[1] وكان أكل الهدية شعاراً له وأمارة من إماراته ووصف في الكتب المتقدمة بأنه يقبل الهدية ولا يأكل الصدقة، وإنما صانه الله سبحانه عن الصدقة وحرمها عليه لأنها أوساخ الناس، وكان ﷺ إذا قبل الهدية أثاب عليها لئلا يكون لأحد عليه يَدٌ ولا يلزمه له منه، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾[2] فلو كان يقبلها ولا يثيب عليها لكانت في معنى الأجر، وهدية الولاة والحكم رشوة وهو ﷺ رئيسهم وسيدهم فلم يجز له أن يأخذ ولا يعطي وأن يقبل ولا يثيب)[3].

وتوجه أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- إلى الاقتداء به ﷺ في أمور وصفها عليه الصلاة والسلام بأنها من الفطرة حيث عمل بها ورغب في المحافظة على فعلها، فهي في مجموعها تمثل شخصية المسلم وتزيد في جمال ونظافة مظهره ومخبر، فقد روى مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: (قال رسول الله ﷺ: "عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم[4]، ونتف الإبط،

---

(١) الحديث حسنه الألباني -رحمه الله-. انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته للشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله-، حديث رقم: (٣٠٠٤) (٥٧٧/١) الطبعة الثالثة (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

(٢) سورة الشورى، الآية: (٢٣).

(٣) معالم السنن شرح سنن أبي داود للشيخ حمد بن محمد الخطابي البستي (ت:٣٨٨هـ) (١٤٣/٣) الطبعة الأولى (١٤١١هـ-١٩٩١م) ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(٤) البراجم: هي العقد التي في ظهور الأصابع يجتمع فيها الوسخ، الواحدة برجمة بالضم. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١١٣/١) ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

وحلق العانة، وانتقاص الماء". قال زكريا[(١)]: قال مصعب[(٢)]: ونسيت العاشرة، إلا أن تكون المضمضة. زاد قتيبة[(٣)]: قال وكيع[(٤)]: انتقاص الماء يعني الاستنجاء)[(٥)].

هذا وقد أفاض العلماء -رحمهم الله- في شرح هذا الحديث وما ورد في بابه، إذ تعرضوا للأحكام الفقهية المتعلقة لكل خصلة من هذه الخصال العشرة، والتي يطول بسطها ومناقشتها، وطلباً للفائدة أسوق قول الإمام النووي -رحمه الله- في كلامه على مجمل الفائدة من هذا الحديث حيث قال -رحمه الله-: (وأما الفطرة فقد اختلف في المراد بها هنا فقال أبو سليمان الخطابي ذهب أكثر العلماء إلى أنها السنة، وكذا ذكره جماعة غير الخطابي قالوا: ومعناه أنها من سنن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وقيل هي الدين. ثم إن معظم هذه

---

(١) هو زكريا بن أبي زائدة الهمداني الوادعي أبو يحيى الكوفي، ثقة. مات سنة سبع، أو ثمان، أو تسع وأربعين. انظر: تقريب التهذيب للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني (٢٦١/١) ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان.

(٢) هو مصعب بن شيبة بن جبير بن عبد الدار العبدري المكي. روى عن أبيه وعمة أبيه صفية بنت شيبة وغيرهم وروى عنه ابنه زرارة وحفيده عبد الله بن زرارة وغيرهم. انظر: تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر (٣٠٧/١٠).

(٣) هو قتيبة بن سعيد بن جميل الثقفي. ثقة ثبت. مات سنة أربعين عن تسعين سنة. انظر: تقريب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٢٣/٢) ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان.

(٤) هو وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي الكوفي. ثقة حافظ عابد. مات سنة سبع وتسعين وله سبعون سنة. انظر: المصدر السابق (٣٣١/٢).

(٥) صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٦١) (ص١٢٩) كتاب الطهارة، باب: خصال الفطرة، ط. بيت الأفكار الدولية، الرياض - المملكة العربية السعودية.

الخصال ليست بواجبة عند العلماء، وفي بعضها خلاف في وجوبه كالختان والمضمضة والاستنشاق ولا يمتنع قرن الواجب بغيره كما قال الله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾[1]، والإيتاء واجب والأكل ليس بواجب والله أعلم)[2].

وتظهر أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- للمرأة المسلمة ما كانت عليه أحوال أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- مسطرات في ذلك أعظم قدوة وأكرم مثال في حسن التبعل وطلب رضا الزوج، فها هي -رضي الله عنها- تصرح بتأخير قضائها لأيام من رمضان إلى شعبان من العام الذي يليه وما ذاك إلا لمكان رسول الله ﷺ منها، ورغبتها في تلبية احتياجاته ورغباته، فقد روي في الصحيح أنها تقول: (كان يكون عليَّ الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان، الشغل من رسول الله ﷺ، أو برسول الله ﷺ)[3].

وفي رواية عنها -رضي الله عنها- أنها قالت: إن كانت إحدانا لتفطر في زمان رسول الله ﷺ فما تقدر على أن تقضيه مع رسول الله ﷺ حتى يأتي شعبان)[4].

(١) سورة الأنعام، الآية: (١٤١).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٣/١٤٧-١٤٨) الطبعة الثانية (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م) ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

(٣) صحيح مسلم، الأحاديث رقم: (١١٤٦-١١٤٦) (ص٤٤٢) كتاب الصيام، باب: قضاء رمضان في شعبان، ط. بيت الأفكار الدولية، الرياض - المملكة العربية السعودية.

(٤) نفس المصدر السابق.

قال الإمام البغوي -رحمه الله-: (فيه دليل على جواز تأخير القضاء بشرط أن يُقضى قبل دخول رمضان من قابل، ولا شيء عليه، فالقضاء موسَّع عليه في الأشهر العشرة ويتعين له في شعبان، ولذلك أوجب بعضهم الفدية إذا أخر عن شعبان)[1].

وفي بيان هذا الأدب الرفيع من أم المؤمنين **عائشة** ومن أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- وأن ذلك يبقي مضرب مثل للمرأة المؤمنة في القدوة الحسنة بهن، قال النووي -رحمه الله-: (المعنى أنه يمنعهن الشغل برسول الله ﷺ وتعني بالشغل -أي أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- أن كل واحدة منهن كانت مهيئة نفسها لرسول الله ﷺ مترصدة لاستمتاعه في جميع أوقاتها إن أراد ذلك، ولا تدري متى يريده ولم تستأذنه في الصوم مخافة أن يأذن وقد يكون له حاجة فيها فتفوتها عليه وهذا من الأدب، وقد اتفق العلماء على أن المرأة لا يحل لها صوم التطوع وزوجها حاضر إلا بإذنه...، وإنما كانت تصومه في شعبان لأن النبي ﷺ كان يصوم معظم شعبان فلا حاجة له فيهن حينئذ في النهار، ولأنه إذا جاء شعبان يضيق قضاء رمضان فانه لا يجوز تأخيره عنه)[2].

---

(١) شرح السنة للإمام الحسين بن مسعود البغوي (ت:٥١٦هـ) (٣١٩/٦) كتاب الصيام، باب: تأخير المرأة قضاء الصوم إلى شعبان لحق الزوج وأنها لا تصوم تطوعاً إلا بإذنه، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٢٢/٨) ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٤- الدروس المستفادة للواقع المعاصر:

١- مما روته أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- في أسلوب الحكمة في الدعوة إلى الله وبالذات لمن ولي شيئاً من أمور المسلمين، هو ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه، فيقعوا في أشد منه، وذكرت حديثاً في الصحيح، فيه تركه ﷺ لنقض الكعبة لئلا يقع بعض الناس فيما هو أشد منه وهو التكذيب والكفر.

٢- ومن دلائل الحكمة في دعوة أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها-، قيامها بتقرير أصل من أصول الدين وهو تبليغ الرسول ﷺ لرسالة ربه كاملة من غير نقصان وعدم كتمه لشيء من ذلك، وحكمتها في اختيارها لله ولرسوله ﷺ لما نزلت آيات التخيير، وفي أقوالها وإجاباتها الحكيمة، وفي حبها للعلم حتى غدت موئلاً للعلماء وطلاب العلم، وهذا مسندها أعظم شاهد على ذلك حيث بلغ مجموع أحاديثه ألفين ومائتين وعشرة أحاديث.

٣- أَثْرَتْ أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- أسلوب الموعظة الحسنة في الدعوة إلى الله من خلال أحاديث نبوية فيها التخويف والوعيد والتذكير بأهوال يوم القيامة، وفيها الحثّ على الزهد في الدنيا والتقلل من متاعها الزائل، وفيها حثّ المؤمنات على التستر والحشمة بعدم وضع ثيابهن في غير بيوتهن، وفيها التحذير من خلق ذميم هو التوغّل في الخصومة والنزاع والمحاجة بالباطل.

٤- وعظت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- ولاة أمور المسلمين موعظة بليغة من خلال حديث نبوي روته عن رسول الله ﷺ وضحت فيه بأنه يجب على كل من ولي شيئاً من أمور المسلمين أن يضع نصب عينيه عِظَمَ هذه المسؤولية، وأنه سيسأل عنها بين يدي الله عزَّ وجلَّ فإن أحسن ورفق بمن تحت يده من المسلمين وجد ذلك حسناً عند الله، وإن كانت الأخرى فالجزاء من جنس العمل.

٥- اهتمت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- بركن أساس وقاعدة مهمة من قواعد الدين هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فروت في ذلك حديثاً عن رسول الله ﷺ وعظت من خلاله، ونصحت وحذرت من مغبة فقد هذا الركن العظيم والتساهل في إقامته وتنفيذه.

٦- استخدمت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- أسلوب الخطابة الذي يُعد من أشهر أساليب الدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة، فقد شهد لها برسوخ القدم في هذا الباب أرباب الفصاحة والبيان، فَسَخَّرت ذلك في الوعظ والإرشاد والحث على الخير، ومن ذلك خطبتها في قوم بلغها عنهم أنهم ينالون من والدها الصديق -رضي الله عنه- بعد وفاته، وكذلك روايتها لحديث الإفك الطويل الذي يُعد بحق قطعة أدبية نادرة من عيون البلاغة والأدب.

٧- وَجَّهت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- الأمة إلى الاقتداء به ﷺ في حسن القول وعدم سرد الكلام والعجلة فيه كما أفادت -رضي الله عنها- الأمة في كيفية نومه ودعائه ﷺ عند نومه، فوجهت إلى الاقتداء

بسنته الثابتة في ذلك في جمعه كفيه ونفثه فيهما وقراءة المعوذات ومسحه ما استطاع من جسده ثلاث مرات.

٨- أشارت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- إلى جوامع حسن خلقه ولين طبعه ورقته مع المؤمنين، موجهةً الأمة إلى حسن التأسي به عليه الصلاة والسلام، وذلك من خلال حديث نبوي روته عنه ﷺ بأنه لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح، كما وجهت إلى أنه ﷺ كان يسلك مسلكاً حسناً في زرع المحبة وبذل الندى بين الناس، فتقول -رضي الله عنها-: أن النبي ﷺ كان يقبل الهدية ويثيب عليها.

٩- أفادت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- الأمة بحديث روته عن رسول الله ﷺ، وجهت من خلاله إلى الاقتداء به ﷺ في أمور وصفها عليه الصلاة والسلام بأنها من الفطرة فعمل بها ﷺ ورغب في المحافظة على فعلها وهي في مجموعها تمثل شخصية المسلم وتزيد في جماله ونظافة مظهره ومخبره، كما أظهرت -رضي الله عنها- للمرأة المسلمة ما كانت عليه أحوال أمهات المؤمنين الخاصة مع رسول الله ﷺ، وذلك من خلال حديثٍ روته في ذلك، وضّحت فيه عدم قدرتها على قضاء أيام عذرها من رمضان هي وأمهات المؤمنين حتى يأتي شعبان، وذلك لمكان رسول الله ﷺ منهن، وفي هذا أعظم درس في القدوة الحسنة للمرأة المسلمة في حسن التبعل وطلب رضا الزوج، وقد شاركتها في ذلك سائر أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن-.

الفصل السادس

وسائل الدعوة عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

١- أثر الوسائل المعنوية في دعوة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

لقد سطرت **أم المؤمنين عائشة** -رضي الله عنها- أروع الأمثلة في كريم الأخلاق ونبيل الصفات، والتي هي من مضمون الوسائل المعنوية في الدعوة[١]، فمن ذلك:

١- صبرها على شظف العيش وضيق الحال التي كان يعيشها[٢] ﷺ مع زوجاته الطاهرات -رضوان الله تعالى عنهن-.

٢- أدبها مع رسول الله ﷺ ومعرفتها قدره حتى عند اشتداد غيرتها[٣] من بعض نسائه -رضوان الله تعالى عنهن-.

---

(١) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني (ص٢٨٣). وانظر: وسائل الدعوة، د. محمد إبراهيم الجيوشي (ص٢٩، ٤٦)، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

(٢) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (١٤٩٤) (ص٣١٦) كتاب الزكاة، باب: إذا تحولت الصدقة، ونصه: (عن أم عطية الأنصارية -رضي الله عنها- قالت: دخل النبي ﷺ على **عائشة** -رضي الله عنها- فقال: هل عندكم شيء؟ فقالت: لا إلا شيء بعثت به إلينا نسيبة من الشاة التي بعثت بها من الصدقة، فقال: إنها قد بلغت محلها).

(٣) انظر: المصدر السابق، حديث رقم: (٥٢١١) (ص١١٤٥) كتاب النكاح، باب: القرعة بين النساء إذا أراد سفراً، ونصه: (عن **عائشة** -رضي الله عنها-: أن النبي ﷺ كان إذا خرج أقرع بين نسائه، فطارت القرعة **لعائشة** وحفصة، وكان النبي ﷺ إذا كان بالليل سار مع **عائشة** =

٣- شدة تواضعها وانكسارها بين يدي الله عزَّ وجلَّ، وذلك من خلال ما ورد عنها في قصة الإفك حيث استبعدت نزول قرآن يتلى في شأنها[١] -رضي الله عنها-.

=

يتحدث، فقالت حفصة: ألا تركبين الليلة بعيري وأركب بعيرك، تنظرين وانظر؟ فقالت: بلى، فركبت، فجاء النبي ﷺ إلى جمل **عائشة** وعليه حفصة، فسلم عليها، ثم سار حتى نزلوا، وافتقدته **عائشة**، فلما نزلوا جعلت رجليها بين الإذخر وتقول: يا رب سلط علي عقرباً أو حية تلدغني، ولا أستطيع أن أقول له شيئاً) وفي رواية لمسلم: (...رسولك ولا أستطيع أن أقول له شيئاً) انظر: صحيح مسلم: حديث رقم: (٢٤٤٥) (ص٩٩١) كتاب فضائل الصحابة، باب: في فضل **عائشة** -رضي الله عنها-.

ومن ذلك ما روي في الصحيحين عن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: (فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ ...، قالت: فاستأذنت على رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ مع **عائشة** في مرطها، على الحالة التي دخلت فاطمة عليها وهو بها، فأذن لها رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، قالت: ثم وقعت بي، فاستطالت علي، وأنا أرقب رسول الله ﷺ وأرقب طرفه هل يأذن لي فيها، قالت: فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله لا يكره أن أنتصر، قالت: فلما وقعت بها لم أنشبها حتى أنحيت عليها، قالت: فقال رسول الله ﷺ وتبسم: "إنها ابنة أبي بكر" . انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٥٨٠) (ص٥٣٥) كتاب الهبة، باب: من أهدى إلى صاحبه، وانظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٤٤٢) (ص٩٩٠) كتاب فضائل الصحابة، باب: في فضل **عائشة** -رضي الله عنها-. واللفظ لمسلم.

(١) انظر: صحيح البخاري، جزء من الحديث رقم: (٤٧٥٠) (ص١٠١٧) كتاب التفسير، باب: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ وبعض نصه عن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: (...ثم تحولت فاضطجعت على فراشي،

=

٤- أدبها وسمو خلقها -رضي الله عنها- في ردها السلام على جبريل عليه السلام، وثنائها عليه(١).

٥- بِرُّها برسول الله ﷺ وأدبها معه بتأخيرها قضاء ما عليها من رمضان حتى يدركها شعبان لمكان رسول الله ﷺ منها(٢).

٦- من كريم أخلاقها رغبتها في مرافقته ﷺ في الدنيا والآخرة وذلك باتباعها

=

قالت: وأنا حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها، قالت: فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى أنزل عليه...) الحديث. وانظر: في تأكيد أدب أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- وتواضعها. كتاب جلاء الأفهام لابن القيم (ص١٨٣-١٨٤).

(١) انظر: الحاكم في المستدرك (٤/٧) (عن مسروق قال: قالت لي **عائشة** لقد رأيت جبريل عليه الصلاة والسلام واقفاً في حجرتي هذه ورسول الله ﷺ يناجيه فلما دخل قلت: يا رسول الله من هذا؟ قال بمن شبهتيه؟، قلت؛ بدحية الكلبي، قال: لقد رأيت خيراً كثيراً ذاك جبريل عليه السلام فما لبثت إلا يسيراً حتى قال: يا **عائشة** هذا جبريل يقرأ عليك السلام. قالت: قلت: وعليه السلام جزاه الله من دخيل خيراً)، كما أخرج -رحمه الله- في خلال أم المؤمنين **عائشة** حديثاً من رواية عبد الله بن صفوان عن **عائشة** -رضي الله عنها-، وذكر فيه: (...ورأيت جبريل عليه الصلاة والسلام ولم يره أحد من نسائه غيري...) الحديث، صححه الحاكم ووافقه الذهبي. انظر: المستدرك للحاكم (٤/١٠).

(٢) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (١٥١) (ص٤٤٢) كتاب الصيام، باب: قضاء رمضان في شعبان؛ ونصه: عن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- أنها تقول: (كان يكون عليَّ الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان، الشغل من رسول الله ﷺ، أو برسول الله ﷺ).

لهديه ﷺ في حياته وبعد وفاته(١).

٧- من أدبها وتواضعها مع ربها عزَّ وجلَّ رفضها دخول عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- عليها عند موتها حتى لا يزكيها فتعظم عليها نفسها في تلك اللحظات الأخيرة من عمرها(٢).

---

(١) انظر: سنن الترمذي، حديث رقم: (٢٣٥٧) (٥٧٩/٤) كتاب الزهد، باب: ما جاء في معيشة النبي ﷺ وأهله، ونصه: (عن **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: ما شبع رسول الله ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وجاء في الموطأ عن **عائشة** زوج النبي ﷺ أن مسكيناً سألها وهي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف، فقالت لمولاة لها: أعطيه إياه، فقالت: ليس لك ما تفطرين عليه، فقالت: أعطيه إياه، قالت: ففعلت. قالت: فلما أمسينا، أهدى لنا أهل بيت ما كان يُهدي لنا، شاة وكفنها، فدعتني **عائشة** أم المؤمنين، فقالت: كلي من هذا، هذا خير من قرصك. انظر: موطأ الإمام مالك، حديث رقم: (١٨٣١) باب: الترغيب في الصدقة، ومعنى: وكفنها: أي ما يسترها من الرغفان. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١٩٣/٤).

(٢) انظر: المستدرك للحاكم (٤/٨-٩) كتاب معرفة الصحابة، باب: فضائل **عائشة** على لسان ابن عباس. ونصه: (عن ابن أبي مليكة قال جاء ابن عباس يستأذن على **عائشة** -رضي الله عنها- في مرضها فأبت أن تأذن له، فقال لها بنو أخيها ائذني له فانه من خير ولدك، قالت: دعوني من تزكيته، فلم يزالوا بها حتى أذنت له، فلما دخل عليها قال ابن عباس: إنما سميت أم المؤمنين لتسعدي وإنه لاسمك قبل أن تولدي، إنك كنت من أحب أزواج النبي ﷺ إليه ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طيباً وما بينك وبين أن تلقي الأحبة إلا أن تفارق الروح الجسد، ولقد سقطت قلادتك ليلة الأبواء فجعل الله للمسلمين خيرة في ذلك فأنزل الله تبارك وتعالى آية التيمم، ونزلت فيك آيات من القرآن فليس مسجد من مساجد المسلمين إلا يتلى فيه عذرك آناء الليل وآناء النهار، فقالت: دعني من تزكيتك لي يا ابن عباس فوددت أني كنت نسياً منسياً). صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

٨- حياؤها -رضي الله عنها- من عمر -رضي الله عنه- بعد وفاته، وذلك بعدم دخولها حجرتها إلا وثيابها مشدودة عليها[١].

٩- حياؤها وتواضعها مع ربها عزَّ وجلَّ بوصايتها أن لا تدفن في حجرتها مع رسول الله ﷺ وصاحبيه مع قدرتها على ذلك[٢].

هذا ومن دلائل حسن التفكير لدى أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- ما يلي:

١- نظرتها الصحيحة في معرفة فضل الصحابة بعضهم من بعض، وذلك بعدم إذنها لغير عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بأن يدفن في حجرتها[٣].

---

(١) انظر: المصدر السابق (٣/٦١) كتاب المغازي، (عن **عائشة** -رضي الله عنها- قالت: كنت أدخل بيتي الذي فيه رسول الله ﷺ وأبي فأضع ثوبي وأقول إنما هو زوجي وأبي، فلما دفن عمر معهم فوالله ما دخلت إلا وأنا مشدودة علي ثيابي حياءً من عمر -رضي الله عنه-). قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)، وصوبت بعض الكلمات من رواية أحمد في المسند (٦/٢٠٢).

(٢) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (١٣٩١) (ص٢٩٢) كتاب الجنائز، باب: ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر -رضي الله عنهما، ونصه: (عن **عائشة** -رضي الله عنها-: أنها أوصت عبدالله بن الزبير -رضي الله عنهما-: لا تدفني معهم، وادفني مع صواحبي بالبقيع، لا أُزكَّى به أبداً).

(٣) المصدر السابق، حديث رقم: (٧٣٢٨) (ص١٥٤٠) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: ما ذَكَرَ النبي ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم...، ونصه: (عن هشام عن أبيه: أن عمر أرسل إلى **عائشة**: ائذني لي أن أُدفَنَ مع صَاحِبَيَّ، فقالت: إي والله، قال: وكان الرجل إذا أرسل إليها من الصحابة قالت: لا والله، لا أوثرهم بأحدٍ أبداً).

٢- تثبتها من حديث رواه عبدا لله بن عمرو بن العاص، وذلك بإعـادة السـؤال عليه بعد عام، فوافق قوله ما قال مـن قبـل، فتبـين لهـا -رضـي ا لله عنهـا- تمكنه وتثبته من الرواية(١).

٣- حسن تصرفها في الستر الذي فيه تصاوير بجعله وسادتين، فأُخذ الجواز من عدم إنكاره ﷺ على ذلك(٢).

---

(١) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٦٧٣) (١٠٧٣) كتاب العلـم، بـاب: رفـع العلـم وقبضـه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، ونصه: (عن عروة بن الزبير قال: قالت لي **عائشة**: يا ابن أختي، بلغني أن عبدا لله بن عمرو مَارٌّ بنا إلى الحج، فَالْقَه فسائله، فإنه قد حمل عن النبي ﷺ علماً كثيراً، قال فلقيته فساءلْتُه عن أشياء يذكرها عن رسول ا لله ﷺ، قال عروة: فكان فيمـا ذكـر، أن النبي ﷺ قال: "إن ا لله لا ينتزع العلم من الناس انتزاعاً، ولكن يقبض العلماء فيرفع العلم معهم، ويبقى في الناس رؤوساً جهالاً، يفتونهم بغير علم، فَيَضِلُّونَ ويُضِلُّون)، قال عروة: فلما حدثت **عائشة** بذلك، أعظمت ذلك وأنكرته، قالت: أحدثك أنه سمع النبي ﷺ يقـول هـذا؟ قـال عـروة: حتى إذا كان قابل، قالت له: إن ابن عمرو قد قدم، فالقه، ثم فاتحه حتى تسـأله عـن الحديـث الـذي ذكره لك في العلم، قال: فلقيته فساءلته، فذكره لي نحو ما حدثني به في مَرَّتِه الأولى، قال عـروة: فلما أخبرتها بذلك، قالت: ما أحسبه إلا قد صدق، أراه لم يزد فيه شيئاً ولم ينقص.

(٢) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٥٩٥٤) (ص١٢٨٠) كتاب اللباس، باب: ما وُطِـئَ مـن التصاوير. ونصه: (حدثنا علي بن عبد ا لله: حدثنا سفيان قال: سمعت عبد الرحمـن بـن القاسـم، وما بالمدينة يومئذ أفضل منه، قال: سمعـت أبي قـال: سمعت **عائشـة** -رضي ا لله عنهـا-: قـدم رسول ا لله ﷺ من سفر، وقد سترت بقرام لي على سهوة لي فيها تماثيل، فلمَّا رآه رسول ا لله ﷺ هتكه وقال: (أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذيـن يضاهون بخلق ا لله). قـالت: فجعلنـاه وسـادة أو وسادتين.

٤- صواب رأيها في اختيارها لله ولرسوله ﷺ دون مشاورة والديها[١].

٥- قيامها بضيوفه ﷺ قبل مجيئه، فأمرت لهم بما تستطيعه من إكرام الضيف، فسر ﷺ بصنيعها حيث كفته القيام بهذا الواجب، ثم زاد ﷺ في إكرامهم فأمر الراعي بأن يذبح لهم[٢].

٦- حسن توجيهها وصواب جوابها لما سألها العراقي عن نوع الكفن وجمع المصحف، فوجهته إلى أهمية غرس الإيمان وتصحيح الاعتقاد ثم العناية

---

(١) انظر: المصدر السابق، حديث رقم: (٤٧٨٦) (ص١٠٣١) كتاب التفسير، سورة الأحزاب. ونصه: (أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي، فقال: إني ذاكر لك أمراً، فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك، قالت: وقد علم أن أبواي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: إن الله جل ثناؤه قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ -إلى- ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ قالت: فقلت: ففي أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. قالت: ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت).

(٢) انظر: سنن أبي داود، حديث رقم: (١٤٢) (٣٥/١) كتاب الطهارة، باب: في الاستنثار، ونصه: (عن لقيط بن صَبِرَة، قال: كنت وَافِدَ بني المنتفق إلى رسول الله ﷺ، قال: فلما قدمنا على رسول الله ﷺ فلم نصادفه في منزله، وصادفنا عائشة أم المؤمنين، قال: فأمرت لنا بخزيرة فَصُنعت لنا، قال: وأُتينا بقناعٍ -ولم يقل قتيبة: القناع؛ والقناع: الطبق فيه تمر-، ثم جاء رسول الله ﷺ فقال: هل أصبتم شيئاً؟ أو أُمر لكم بشيء؟ قال: قلنا: نعم يا رسول الله، قال: فبينا نحن مع رسول الله ﷺ جلوس؛ إذ دفع الراعي غنمه إلى المراح، ومعه سخلة تيعر، فقال: ما ولدت يا فلان؟ قال: بهمة، قال: فاذبح لنا مكانها شاة...) الحديث. صححه الألباني -رحمه الله- في: صحيح سنن أبي داود برقم: (١٤٢) (٤٧/١).

بالأحكام التفصيلية للحلال والحرام حتى لا ينفر الناس من الدين[1].

٧- اجتهادها ألا يتقدم والدها للصلاة في مرض رسول الله ﷺ خشية أن يتشاءم الناس به[2].

٨- نباهتها ودقة ملاحظتها حين فطنت برغبة رسول الله ﷺ في السواك في مرض موته[3].

---

(١) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٩٩٣) (ص١١٠٢) كتاب فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن. ونصه: (عن يوسف بن ماهك قال: إني عند عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- إذ جاءها عراقي فقال: أي الكفن خير؟ قالت: ويحك وما يضرك. قال: يا أم المؤمنين أريني مصحفك، قالت: لِمَ؟ قال: لَعلّي أُوَلِّف القرآن عليه، فإنه يُقرأ غير مؤلف، قالت: وما يضرك آيَةُ قرأت قبل، إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أوّلَ شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب: (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر). وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده، قال: فأخرجت له المصحف، فأملت عليه آي السورة). قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «ومعنى قوله: باب تأليف القرآن، أي: جمع آيات السورة الواحدة، أو جمع السور مرتبة في المصحف». فتح الباري (٣٩/٩).

(٢) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٤٤٥) (ص٩٢٤) كتاب المغازي، باب: مرض النبي ﷺ ووفاته، ونصه: (أخبرني عبيد الله: أن عائشة -رضي الله عنها- قالت: لقد راجعت رسول الله ﷺ في ذلك وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً، ولا كنت أرى أنه لن يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله ﷺ عن أبي بكر).

(٣) انظر: المصدر السابق، حديث رقم: (٤٤٤٩) (ص٩٢٥) كتاب المغازي، باب: مرض النبي ﷺ ووفاته، ونصه: (عن عمر بن سعيد قال: أخبرني ابن أبي مليكة: أن أبا عمرو، ذكوان

٩- ضربها الأمثلة والقياس عليها لتظهر لرسول الله ﷺ بأنها فوق نسائه في المنزلة(١).

١٠- حسن تفكيرها بولايتها لأمر اليتيمين من أولاد أخيها محمد بعد قتله، حتى كبرا ثم دفعتهما لأخيها عبد الرحمن وطيبت خاطره في ذلك(٢).

= مولى عائشة أخبره: أن عائشة كانت تقول: إن من نعم الله عليَّ: أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي، وفي يومي، وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته: دخل عَلَيَّ عبد الرحمن وبيده السواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه: أن نعم، فتناولته، فاشتد عليه، وقلت أُلَينه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فلينته وبين يديه ركوة أو علبة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه، يقول لا إله إلا الله، إن للموت سكرات، ثم نصب يده، فجعل يقول في الرفيق الأعلى، حتى قبض ومالت يده).

(١) انظر: صحيح البخاري، حديث رقم: (٥٠٧٧) (ص١١١٧) كتاب النكاح، باب: نكاح الأبكار، ونصه: (عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت لو نزلت وادياً وفيه شجرة قد أكل منها، ووجدت شجراً لم يؤكل منها، في أيها كنت ترتع بعيرك؟ قال: "في الذي لم يرتع منها". تعني أن رسول الله ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها).

(٢) انظر: موطأ الإمام مالك، حديث رقم: (٥٨٩) (ص١٢٤) كتاب الزكاة، باب: زكاة أموال اليتامى والتجارة لهم فيها، ونصه: (عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال: كانت عائشة تليني وأخاً لي يتيمين في حجرها، فكانت تخرج من أموالنا الزكاة). وانظر: جامع الأصول لابن الأثير، حديث رقم: (٢٧١٥) (٣٤٢/٥). ومما ورد في ذلك عن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قوله: (لما قتل معاوية بن جديح الكندي وعمرو بن العاص أبي محمداً بمصر جاء عمي عبد الرحمن بن أبي بكر فاحتملني وأختاي من مصر فقدم بنا المدينة. فبعثت إلينا عائشة فاحتملتنا من منزل =

١١- نصحها لمعاوية -رضي الله عنه- حين طلب منها الوصاية، فأوصته بما فيه الخير له وللمسلمين[١].

=

عبد الرحمن إليها فما رأيت والدة قط ولا والداً أبر منها، فلم نزل في حجرها على فخذها، ثم بعثت إلى عمي عبد الرحمن. فلما دخل عليها تكلمت فحمدت الله عزَّ وجلَّ وأثنت عليه فما رأيت متكلماً ولا متكلمة قبلها ولا بعدها أبلغ منها. ثم قالت: يا أخي إني لم أزل أراك معرضاً عني منذ قبضت هذين الصبيين منك، ووالله ما قبضتهما تطاولاً عليك ولا تهمة لك فيهما ولا لشيء تكرهه ولكنك كنت رجلاً ذا نساء وكانا صبيين لا يكفيان من أنفسهما شيئاً فخشيت أن يرى نساؤك منهما ما يتقذرون به من قبيح أمر الصبيان فكنت ألطف لذلك وأحق لولايته، فقد قويا على أنفسهما وشبا وعرفا ما يأتيان فها هما هذان فضمهما إليك...). انظر: أعلام النساء لعمر رضا كحالة (٣/١١٦-١١٧).

(١) انظر: سنن الترمذي، حديث رقم: (٢٤١٤) (٤/٦٠٩) كتاب الزهد، باب: ما جاء في حفظ اللسان، ونصه: (كتب معاوية إلى **عائشة** أم المؤمنين -رضي الله عنها- أن اكتبي إلي كتاباً توصيني فيه ولا تكثري علي، فكتبت **عائشة** -رضي الله عنها- إلى معاوية: سلام عليك، أما بعد. فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس والسلام عليك) والحديث صححه الألباني. انظر (ص٣٩٥) ط. بيت الأفكار الدولية.

٢- أثر الوسائل الحسية في دعوة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

لقد عنيت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- بتحقيق النجاح للدعوة الإسلامية، باذلة ما في وسعها من وسائل لتحقيق ذلك، فها هي تسلك الطريق إلى العراق بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان -رضي الله عنه- لا لشيء إلا أن يصلح الله على يديها ما فسد بين المسلمين، وهذه الوسيلة الحسية في الدعوة -وهي سفرها وسعيها للإصلاح- تعتبر من أرقى الوسائل إن لم تكن أرقاها وأعظمها وأنفعها وذلك لعظيم الأجر المترتب على هذا السعي للإصلاح بين المسلمين[1].

وفي تكليف أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- لمولاها بأن يصلي بها إماماً في الصلاة[2]، وسيلة دعوية ناجحة، أدركت بها فضيلة الجماعة، وحققت من خلالها مكسباً عظيماً من الأجر والثواب لها ولغيرها في ختم القرآن الكريم.

وفي رغبتها في الخير سلكت -رضي الله عنها- مسلكاً حسناً وهو أمرها

---

(١) قال صاحب التحفة: «المروي عنها أنها خرجت لإصلاح ذات البين وأخذ القصاص من قتلة عثمان -رضي الله عنه- المقتول ظلماً وعدواناً»، انظر: التحفة الاثني عشرية للدهلوي (ص٢٦٩). وانظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٨/٨)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٧٧/٢)، وروح المعاني للآلوسي (١١/٢١).

(٢) جاء أن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- كان يؤمها عبدٌ لها يكني أبا عمرو، وفي رواية عن ابن أبي شيبة والبخاري معلقاً أنه كان يؤمها في المصحف. انظر: التلخيص الحبير، تخريج أحاديث الرافعي الكبير (٤٣/١).

بكتابة مصحف[1] لها، تستطيع من خلاله مراجعة محفوظها، ويكون مرجعاً لها إذا أشكل عليها شيء من ذلك، وفي الوقت نفسه نفعه متعدٍ للأمة كلها بضبط كتاب الله وحفظه.

كما حملت أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- على عاتقها مسؤولية تبليغ العلم الذي ورثته من رسول الله ﷺ فلم تدخر وسعاً في تبليغه للناس، مستخدمة جميع الوسائل الموصلة لذلك. ومن ذلك استخدامها لوسيلة حسية عملية في تعليم المتعلم لم تتقدمها فيها امرأة من النساء -في نظري- ألا وهي

---

(١) روى الترمذي في سننه (عن أبي يونس مولى **عائشة** -رضي الله عنها- قال: أمرتني **عائشة** -رضي الله عنها- أن أكتب لها مصحفاً، فقالت: إذا بلغت هذه الآية فآذني: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ[**وصلاة العصر**]وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾. وقالت: سمعتها من رسول الله ﷺ) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. انظر: جامع الترمذي، حديث رقم: (٢٩٨٢) (٥/٢١٧) كتاب تفسير القرآن، وأما العطف الذي أثبتته أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- فهو تفسيري، لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر إجماعاً. قال الباجي -رحمه الله-: «وهذا يقتضي أن يكون بعد جمع القرآن في مصحف وقبل أن تجمع المصاحف على المصاحف التي كتبها عثمان -رضي الله عنه- وأنفذها إلى الأمصار، لأنه لم يكتب بعد ذلك في المصاحف إلا ما أُجمع عليه وثبت بالتواتر أنه قرآن -ثم وضح معنى قولها: سمعتها من رسول الله ﷺ فقال- يحتمل أنها سمعتها على أنها قرآن ثم نسخت، ولعلها لم تعلم بنسخها أو اعتقدت أنها مما نسخ حكمه وبقي رسمه، ويحتمل أنه ذكرها ﷺ على أنها من غير القرآن لتأكيد فضيلتها فظنتها قرآناً فأرادت إثباتها في المصحف لذلك، أو أنها اعتقدت جواز إثبات غير القرآن معه على ما روي عن أبي بن كعب وغيره من الصحابة أنهم جوزوا إثبات القنوت وبعض التفسير في المصحف إن لم يعتقدوه قرآناً». انظر: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (١/٢٨٣-٢٨٤)، بتصرف.

توضيحها لهديه ﷺ في الغسل، وهذا تم بالضوابط والمحاذير الشرعية التي لم تكن لتخفي على أم المؤمنين -رضي الله عنها-، وذلك لأن السؤال وقع من بعض محارمها، ونصبت الحجاب بينها وبينهم بحيث لم تُظهر إلا ما يحل النظر إليه للمحارم. فمما جاء في ذلك عن أبي بكر بن حفص قال: سمعت أبا سلمة يقول: دخلت أنا وأخو **عائشة** على **عائشة** (فسألها أخوها عن غسل النبي ﷺ، فدعت بإناءٍ نحواً من صاع فاغتسلت وأفاضت على رأسها وبيننا وبينها حجاب)[1].

وفي حرصها -رضي الله عنها- على نجاح الدعوة وسلامتها من الوقوع في الأخطاء، توجه الأمة إلى العناية بوسيلة هامة وحيَوِية في الدعوة، ألا وهي الخطابة والإلقاء. فهاهي تنكر على أبي هريرة -رضي الله عنه- سرعته في سرد الحديث النبوي، وتوجه إلى أن هديه ﷺ كان خلاف ذلك[2].

ومن وسائلها الحسية في الدعوة، ما جاء عنها -رضي الله عنها- أنها كانت وسيط خير بينه ﷺ وبين النساء في تعليمهن أمور دينهن، وخاصة الأمور الخاصة بهن والتي يستحي الرجال من ذكرها، فها هو ﷺ، يفتي امرأة من المسلمين تسأله عن التطهر من المحيض فيفتيها ﷺ، ولكن يضعف فهم المرأة السائلة عن إدراك المطلوب، فيعرض ﷺ بوجهه الشريف -ﷺ-، حياءً من التفصيل، فتتدخل أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- فتجذب المرأة إليها،

---

(١)صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٥١) (ص٧٠) كتاب الغسل، باب: الغسل بالصاع ونحوه، وقد تقدمت بعض أحكام هذا الحديث في (ص٢٠٨) من هذا البحث.

(٢) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٤٩٣) (ص١٠١١) كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي هريرة.

وتفهمها المراد من ذلك. فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها-: (أن امرأة سألت النبي ﷺ كيف تغتسل؟ قال: خُذِي فِرْصَةً[1] من مسك فتطهري بها، قالت: كيف أتطهر بها؟ قال: سبحان الله تطهري، فاجتذبتها إلي، فقلت: تتبعي أثر الدم)[2].

وفي رواية: (أن امرأة من الأنصار قالت للنبي ﷺ: كيف أغتسل من المحيض؟ قال: خذي فِرْصَةً مُمَسَّكَةً فتوضئي ثلاثاً. ثم إن النبي ﷺ استحيا فأعرض بوجهه، أو قال: توضئي بها. فأخذتها فجذبتها، فأخبرتها بما يريد النبي ﷺ)[3].

---

(١) الفِرصة: بالكسر ثم التسكين: هي خرقة أو قطنة تتمسح بها المرأة من المحيض، وجمعها فراص. انظر: القاموس المحيط، مادة (فرص) (ص٨٠٧).

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٣٠٨) كتاب الطهارة، باب: دلك المرأة نفسها إذا تطهرت من المحيض وكيف تغتسل وتأخذ فرصة ممسكة فتتبع بها أثر الدم، واللفظ له. وأخرجه مسلم في الحيض، باب: استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم، حديث رقم: (٣٣٢).

(٣) أخرجه البخاري، برقم: (٣٠٩) كتاب الطهارة، باب: غسل المحيض.

الخاتمـــة

الحمد لله وحدَه والصلاة والسلام على منْ لا نبيَّ بعدَه، وعلى آله وصحْبِه وسلَّمَ وبعد:

فتلك كانت سيرة وجهود الدعوة للسيدة الفاضلة أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- الصديقة بنت الصديق، حبيبة رسول الله ﷺ، المبرَّأة من السماء، بنت خليفة رسول الله ﷺ.

أخي القارئ !

إنَّ الحديث عن أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها- حديث طويل، واستقصاء مواقفها وجهودها في الدعوة إلى الله وكلماتها وخطبها وآرائها يحتاج إلى سِفْرٍ عظيمٍ، وحسبي ما أوردت حتى لا أطيل عليك هذه النبذة المنتقاة من حياتها وآثارها ودعوتها إلى الله.

جدير بنساء عصرنا أن يهتدين بأمثال هذه المرأة الصالحة، فإنَّ في ذلك الخير والسعادة لهن في الدنيا والآخرة.

هذا وقد جاء البحث في ستة فصول: تحدثت في الفصل الأول عن اسمها ونسبها وإتيان جبريل النبيَّ ﷺ بصورتها وخطبتها وتزويجه ﷺ بها وذكر شيء من فضائلها، وعن أثرها في الدعوة خلال العهد المدني وعهد الخلفاء الراشدين، وخلال الصدر الأول للعهد الأموي، ثم وفاتها.

ثم كان الحديث في الفصل الثاني عن الردّ على بعض الشبه التي أُلحِقَتْ بها -رضي الله عنها-، وهي عن زواجه ﷺ بها وحادثة الإفك وعن موقعة الجمل.

وفي الفصل الثالث تناولتُ المنهج العقلي في دعوة أم المؤمنين **عائشة** رضي الله عنها تحدثت من خلاله عن أثر المنهج العقلي في الدعوة وفي التربية عند أم المؤمنين **عائشة** رضي الله عنها، وختمته بالدروس المستفادة للواقع المعاصر.

وتحدثت في الفصل الرابع عن المنهج العاطفي في دعوة أم المؤمنين **عائشة** رضي الله عنها، تناولتُ من خلاله أثر المنهج العاطفي في الدعوة وفي التربية عند أم المؤمنين **عائشة** رضي الله عنها، ثم الدروس المستفادة للواقع المعاصر.

وتحدَّثتُ في الفصل الخامس عن أساليب الدعوة عند أم المؤمنين **عائشة** رضي الله عنها، تناولتُ من خلاله أثر أسلوب الحكمة وأثر أسلوب الموعظة الحسنة وأثر أسلوب القدوة الحسنة في دعوة أم المؤمنين **عائشة** رضي الله عنها، ثم الدروس المستفادة من ذلك للواقع المعاصر.

كما تحدثت في الفصل السادس عن وسائل الدعوة عند أم المؤمنين **عائشة** -رضي الله عنها-، تناولت من خلاله أثر الوسائل المعنوية والوسائل الحسية في دعوتها -رضي الله عنها-.

ثم كانت الخاتمة، وذكر المراجع والمصادر التي اعتمدت عليها في بحثي هذا، والله تعالى أسأل الإخلاصَ في القول والعمل، والتوفيقَ والقبول. إنه سميعٌ مجيبٌ.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلّى الله على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلَّم.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، ط. عالم الكتب، بيروت - لبنان.

٢- الإجابة لما استدركته عائشة على الصحابة، لبدر الدين الزركشي، تحقيق: سعيد الأفغاني، الطبعة الرابعة: ١٤٠٥هـ، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

٣- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، لابن دقيق العيد، تحقيق: علي بن محمد الهندي، الطبعة الثانية: ١٤٠٩هـ، ط. المكتبة السلفية، القاهرة.

٤- الإحكام في أصول الأحكام، للإمام سيف الدين أبي الحسن علي الآمدي، ط. صبيح، مصر.

٥- أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، ١٤٠٧هـ، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٦- أحكام القرآن، لعماد الدين الطبري المعروف بالكيا الهراسي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٧- أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٨- الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين، لعبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن عساكر، (مخطوط)، قسم المخطوطات في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة، رقم الفلم (٣٤٠). عدد الأوراق: ٥٤ ورقة.

٩- الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين، لابن عساكر، تحقيق: محمد إبراهيم دسوقي.

١٠- الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين، لابن عساكر، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، ط. مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة - مصر.

١١- إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، للإمام محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: محمد سعيد البدري، الطبعة الرابعة: (١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، ط. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان.

١٢- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية: ١٤٠٥هـ، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق.

١٣- أزواج النبي ﷺ، لمحمد بن يوسف الصالحي، (مخطوط) مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة، فلم رقم: (٣٧٦٢)، عدد الأوراق: (٢٥) ورقة.

١٤- أزواج النبي ﷺ، لمحمد بن يوسف الصالحي، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ، ط. دار ابن كثير، دمشق - بيروت.

١٥- أزواج النبي ﷺ، د. موسى شاهين لاشين، الطبعة الأولى: (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) ط. مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية.

١٦- أزواج النبي ﷺ وأولاده، أمير مهنا الخيامي، الطبعة الأولى: (١٤١١هـ-١٩٩٠م) ط. مؤسسة عز الدين للطباعة، بيروت - لبنان.

١٧- أسباب النزول، لأبي الحسن الواحدي النيسابوري، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٨- الاستيعاب في أسماء الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، ط. مطبعة النهضة مصر - القاهرة.

١٩- أسد الغابة في معرفة الصحابة، للإمام عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢٠- أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، الطبعة الأولى: (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، ط. دار عمار، عمان - الأردن.

٢١- الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، أحمد الشائب، الطبعة السابعة: ١٤٩٦هـ، ط. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة - مصر.

٢٢- الأشباه والنظائر، لمقاتل البلخي، طبعة عام (١٣٩٥هـ-١٩٧٥م)، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٣- الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط. دار نهضة مصر، القاهرة، وطبعة دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

٢٤- أصول التربية الإسلامية وأساليبها، لعبد الرحمن النحلاوي، الطبعة الثانية: (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) دار الفكر، دمشق، سوريا.

٢٥- أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، الطبعة الثالثة: (١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

٢٦- أصول الفقه لمحمد أبو زهرة، ط. دار الفكر العربي، القاهرة.

٢٧- أصول الفقه لمحمد الخضري، الطبعة السادسة: ١٣٨٩هـ، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٢٨- الأصول الفنية للأدب، لعبد الحميد حسن، الطبعة الثانية.

٢٩- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، ط. عالم الكتب، بيروت.

٣٠- الأعلام، لخير الدين الزركلي، الطبعة الخامسة: ١٩٨٠م، ط. دار العلم للملايين، بيروت.

٣١- الإعلام في ضوء الإسلام، د. عمارة نجيب، الطبعة الأولى: ١٩٨٠م، ط. مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية.

٣٢- إعلام الموقعين عن رب العالمين، للإمام محمد بن أبي بكر الدمشقي ابن قيم الجوزية، ط. دار الجيل، بيروت - لبنان.

٣٣- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، لعمر رضا كحاله، الطبعة الخامسة (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م)، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

٣٤- إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) ط. دار الوفاء، المنصورة - مصر.

٣٥- أنساب الأشراف للبلاذري، تحقيق: د. إحسان صدقي، الطبعة الأولى: ١٩٨٩م، ط. مؤسسة الشراع العربي، الكويت.

٣٦- بدائع الفوائد، للإمام أبي عبد الله محمد أبي بكر الدمشقي، ابن قيم الجوزية، تحقيق: أحمد عبد السلام، الطبعة الأولى: (١٤١٤هـ-١٩٩٤م) ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٣٧- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لمحمد بن رشد القرطبي، الطبعة الرابعة: ١٣٩٥هـ، ط. مطبعة الحلبي، القاهرة، مصر.

٣٨- البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٣٩- البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (١٣٩١هـ-١٩٧٢م)، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٤٠- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، ط. المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.

٤١- بهجة المجالس وأنس المجالس، لابن عبد البر، تحقيق: محمد موسى الخولي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٤٢- تاج العروس، للسيد محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: إبراهيم الترزي، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٤٣- تاريخ الأمم والملوك، المعروف بتاريخ الطبري، ط. روائع التراث العربي، بيروت - لبنان.

٤٤- تاريخ مدينة دمشق -تراجم النساء-: لابن عساكر، تحقيق: سكينة الشهابي، ط. دار الفكر، دمشق - سوريا.

٤٥- التاريخ في أنساب الأشراف وأخبارهم، لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي البلاذري، تحقيق: محمد حميد الله، ط. دار المعارف، مصر.

٤٦- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للإمام أبي العلا محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، تصحيح: عبد الرحمن عثمان، الطبعة الثالثة: (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

٤٧- تذكرة الدعاة، للبهي الخولي، الطبعة الخامسة: (١٣٩٧هـ-١٩٧٧م)، ط. دار القلم، بيروت - لبنان.

٤٨- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، للإمام زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، الطبعة الثالثة: (١٣٨٨هـ-١٩٦٨م)، ط. دار الإيمان، دمشق - بيروت.

٤٩- تسمية أزواج النبي ﷺ وأولاده، لأبي عبيدة معمر بن المثنى البصري، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى: (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ط. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان.

٥٠- التعريف، لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى: (١٤١٦هـ-١٩٩٦م)، ط. عالم الكتب، بيروت - لبنان.

٥١- تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، ط. دار إحياء الكتب العربية.

٥٢- تفسير النسفي، للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

٥٣- التفكير فريضة إسلامية، لعباس محمود العقاد، ط. المكتبة العصرية، بيروت - لبنان.

٥٤- تقريب التهذيب، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الثانية: (١٣٩٥هـ-١٩٧٥م)، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٥٥- تقنين الدعوة، د. محمد السيد الوكيل، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ-١٩٩٤م)، ط. دار المجتمع، جدة - المملكة العربية السعودية.

٥٦- تلقيح فهوم الأثر في عيون التاريخ والسير، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ط. مكتبة الآداب، مصر.

٥٧- التلخيص الخبير بتخريج أحاديث الرافعي الكبير، للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، ط. هاشم اليماني، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية.

٥٨- تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٥٩- تهذيب التهذيب، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط. مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدرآباد - الهند.

٦٠- توجيه النظر إلى علوم الأثر، للشيخ طاهر الجزائري، طبعة عام ١٣٢٨هـ، مصر.

٦١- جامع الأصول من أحاديث الرسول ﷺ، للإمام أبي السعادات مبارك بن محمد الأثير الجزري، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة الرابعة: (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م)، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٦٢- جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٦٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، (١٤٠٥هـ-١٩٨٤م) ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

٦٤- الجامع الصحيح، لأبي عيسى الترمذي، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٦٥- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الطبعة الرابعة، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٦٦- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط. دار الشام للتراث، بيروت - لبنان.

٦٧- الجانب العاطفي من الإسلام، للشيخ محمد الغزالي، الطبعة الأولى: (١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، ط. دار القلم، دمشق - سوريا.

٦٨- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، لشمس الدين أبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية، تحقيق: محيي الدين مستو، الطبعة الأولى: ١٩٨٨م، ط. دار ابن كثير - سوريا.

٦٩- جوامع السيرة، لابن حزم، ط. دار المعارف، مصر.

٧٠- حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، للسيد محمد صديق حسن خان القنوجي البخاري، تحقيق: د. مصطفى سعيد الخن، ومحيي الدين مستو، الطبعة الثامنة: (١٤١٦هـ-١٩٩٦م)، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

٧١- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٧٢- خصائص القرآن، د. فهد الرومي، الطبعة الرابعة: ١٤٠٩هـ.

٧٣- الدرر في اختصار المغازي والسير، لابن عبد البر، تحقيق: د. مصطفى البغا، الطبعة الرابعة: ١٩٨٤م، ط. مؤسسة علوم القرآن، دمشق - سوريا.

٧٤- در السحابة في مناقب القرابة والصحابة، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: د. حسن العمري، الطبعة الأولى: ١٩٨٤م، ط. دار الفكر، دمشق - سوريا.

٧٥- الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب، محمد خير يوسف، الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ، ط. دار طويق للنشر، الرياض - المملكة العربية السعودية.

٧٦- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، وهو شرح كتاب رياض الصالحين، للشيخ محمد بن وعلان الصديق الشافعي، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

٧٧- ديوان الإمام الشافعي، جمع وتحقيق: زهدي يكن، ١٩٦١م، ط. دار الثقافة، بيروت - لبنان.

٧٨- الرحيق المختوم، للشيخ صفي الرحمن المباركفوري، الطبعة الأولى: ١٤٠٠هـ، مكة المكرمة.

٧٩- الرسالة، للإمام المطلبي محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، ط. المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.

٨٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٨١- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، للإمام عبد الرحمن السهلي، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل.

٨٢- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، للحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي، تعليق: مصطفى السقا، الطبعة الأولى: (١٣٧٤هـ-١٩٥٥م)، ط. مطبعة مصطفى البابي، مصر.

٨٣- الرياض النضرة في مناقب العشرة، للطبري، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٨٤- زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، للشيخ أحمد الجكني، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٨٥- زاد المسير في علم التفسير، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، الطبعة الرابعة: (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

٨٦- زاد المعاد في هدي خير العباد، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثامنة: (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

٨٧- زواج السيدة عائشة ومشروعية الزواج المبكر والرد على منكري ذلك، د. خليل إبراهيم ملا خاطر، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ، ط. دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة - المملكة العربية السعودية.

٨٨- زوجات النبي ﷺ الطاهرات وحكمة تعددهن، للشيخ محمد محمود الصواف، الطبعة الثانية: ١٣٨٣هـ، ط. مطبعة الحرية، عمان - الأردن.

٨٩- الزواج الإسلامي سعادة وحصانة، للشيخ محمد علي الصابوني، ط. دار القلم، دمشق - سوريا.

٩٠- السؤال والجواب في آيات الكتاب، للشيخ عطية محمد سالم، الطبعة الأولى: (١٤٠٨هـ-١٩٨٧م)، ط. مكتبة دار التراث، المدينة المنورة.

٩١- سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، للعلامة الصنعاني، ١٣٥٧هـ، ط. مطبعة الاستقامة، القاهرة - مصر.

٩٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الرابعة: ١٤٠٥هـ، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

٩٣- السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، للإمام الطبري، تحقيق: محمد علي قطب، ط. دار الحديث، القاهرة، مصر.

٩٤- سنن ابن ماجة، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط. المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.

٩٥- سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، ضبط وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٩٦- سنن الدارمي، للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٩٧- السنن الكبرى، للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، الطبعة الأولى: ١٣٥٥هـ، ط. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن - الهند.

٩٨- سنن النسائي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٩٩- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، الدكتور: مصطفى السباعي، الطبعة الثالثة: (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م)، ط. المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت.

١٠٠- سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية: (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م)، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

١٠١- سيرة النبي ﷺ، لأبي محمد بن عبد الملك بن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. دار الفكر.

١٠٢- السيرة النبوية دروس وعبر، د. مصطفى السباعي، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

١٠٣- شبهات وأباطيل حول تعدد زوجاته ﷺ، للشيخ محمد علي الصابوني، عام: (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م) ط. على نفقة السيد حسن شربتلي.

١٠٤- شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها، للشيخ محمد متولي الشعراوي، جمع وإعداد: عبد القادر أحمد عطا، الطبعة الثانية: (١٤٠٨هـ-١٩٨٧م) ط. مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة - مصر.

١٠٥- شذرات الذهب، لابن العماد، طبعة عام: ١٣٥١هـ، مصر.
١٠٦- شرح الزرقاني على الموطأ، للإمام سيدي محمد الزرقاني، العام (١٤٠١هـ-١٩٨١م)، ط. دار الفكر.
١٠٧- شرح السنة، للإمام الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش، الطبعة الثانية: (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.
١٠٨- شرح القواعد الفقهية، أحمد الزرقا، الطبعة الثانية: ١٤٠٩هـ، ط. دار القلم، دمشق - سوريا.
١٠٩- شرح معاني الآثار، للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، تحقيق: محمد زهري النجار، ومحمد سيد جاد الحق. الطبعة الأولى: (١٤١٤هـ-١٩٩٤م)، ط. عالم الكتب، بيروت - لبنان.
١١٠- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، تحقيق: كمال بسيوني، الطبعة الأولى: (١٤١٦هـ-١٩٩٥م)، ط. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان.
١١١- الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
١١٢- صب العذاب على من سب الأصحاب، لأبي المعالي محمود الآلوسي، تحقيق: عبد الله البخاري، الطبعة الأولى: (١٤١٧هـ-١٩٩٧م)، ط. أضواء السلف، الرياض - المملكة العربية السعودية.
١١٣- الصحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري، الطبعة الثانية (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، ط. دار العلم للملايين، بيروت - لبنان.
١١٤- صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، ط. دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت - لبنان.

١١٥- صحيح ابن خزيمة، للإمام أبي بكر بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، الطبعة الأولى (١٣٩٥هـ-١٩٧٥م) ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

١١٦- صحيح الجامع الصغير وزيادته، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة: ١٤٠٨هـ، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

١١٧- صحيح سنن أبي داود، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) ط. مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية.

١١٨- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، طبعة عام (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) ط. بيت الأفكار الدولية، الرياض - المملكة العربية السعودية.

١١٩- صحيح مسلم بشرح النووي، للإمام محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، الطبعة الثانية (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م) ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

١٢٠- صفة الصفوة، للإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ، ط. دار الصفا، القاهرة - مصر.

١٢١- الطبقات الكبرى، لابن سعد، (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ط. دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.

١٢٢- العدة على إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، للعلامة الصنعاني، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

١٢٣- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، للإمام بدر الدين أبي محمد محمود أحمد العيني، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

١٢٤- عناصر القوة في الإسلام، للشيخ السيد سابق، ط. دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

١٢٥- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، للقاضي أبي بكر ابن العربي، تحقيق: محب الدين الخطيب، (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، مكتبة أسامة بن زيد، بيروت - لبنان.

١٢٦- عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، الطبعة الثالثة (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

١٢٧- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

١٢٨- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، للشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

١٢٩- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام محمد بن علي الشوكاني، (١٤٠١هـ-١٩٨١م)، ط. دار الفكر.

١٣٠- الفتوحات الربانية على الأذكار النووية، للشيخ محمد بن علان الشافعي، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

١٣١- الفصول في سيرة الرسول ﷺ، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين مستو، الطبعة السابعة: ١٤١٦هـ، ط. دار ابن كثير، دمشق، بيروت.

١٣٢- فقه الدعوة إلى الله، د. علي عبد الحليم محمود، الطبعة الثانية: ١٤١١هـ، ط. دار الوفاء، مصر.

١٣٣- فقه السيرة، للشيخ محمد الغزالي، الطبعة الأولى: (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، ط. دار الدعوة، مصر.

١٣٤- الفوائد، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية، الطبعة الأولى: (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، ط. مكتبة دار البيان، دمشق - سوريا.

١٣٥- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للعلامة محمد عبد الرؤوف المناوي، الطبعة الثانية: (١٣٩١هـ-١٩٧٢م)، ط. دار الفكر.

١٣٦- في ظلال القرآن، لسيد قطب، الطبعة الثانية عشرة: (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، ط. دار العلم للطباعة والنشر، جدة - المملكة العربية السعودية.

١٣٧- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ط. دار الجيل، بيروت - لبنان.

١٣٨- قواعد الأحكام، لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان.
١٣٩- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، لمحمد جمال الدين القاسمي، ١٣٨٠هـ، ط. مصطفى البابي الحلبي.
١٤٠- الكامل في التاريخ، لأبي الحسين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري، الطبعة السادسة: (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، ط. دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
١٤١- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوري، الطبعة الثانية: ١٩٨١م، ط. منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق - سوريا.
١٤٢- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور الأفريقي المصري، ط. دار صادر، بيروت - لبنان.
١٤٣- مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، الطبعة الرابعة عشرة: ١٩٨٢م، ط. دار العلم للملايين، بيروت - لبنان.
١٤٤- المجتبى من المجتنى، لابن الجوزي، تحقيق: د. علي حسين البواب، الطبعة الأولى: ١٩٨٨م، ط. دار الفرقان، عمان - الأردن.
١٤٥- مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.
١٤٦- المجموع شرح المهذب، للإمام أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، تحقيق: د. محمود مطرجي، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.
١٤٧- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد قاسم، ط. المكتب التعليمي السعودي بالمغرب.
١٤٨- محمد رسول الله ﷺ منهج ورسالة، لمحمد الصادق إبراهيم عرجون، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ط. دار القلم، دمشق - سوريا.

١٤٩- مختار الصحاح، للشيخ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحرازي، ترتيب: محمود خاطر، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

١٥٠- مختصر التحفة الاثني عشرية، لشاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي، اختصار وتهذيب: السيد محمود شكري الآلوسي، عام: (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، ط. إيشيق، إستانبول - تركيا.

١٥١- مختصر سيرة الرسول ﷺ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ط. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٥٢- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن أيوب ابن قيم الجوزية، الطبعة الأولى، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٥٣- المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني، الطبعة الثانية: (١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

١٥٤- مرويات غزوة بني المصطلق، جمع وترتيب ودراسة: إبراهيم بن إبراهيم قريبي، ط. المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

١٥٥- المستدرك على الصحيحين في الحديث، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري، طبعة عام (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م)، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

١٥٦- مسند الإمام أحمد الحافظ أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، ط. بيت الأفكار الدولية، الرياض.

١٥٧- مشكاة المصابيح، للشيخ محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة (١٤٠٥هـ-١٩٨٩م)، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

١٥٨- مشكل الآثار، للإمام أبي جعفر الطحاوي، الطبعة الأولى، ط. مؤسسة قرطبة السلفية.

١٥٩- المعارف، لابن قتيبة، تحقيق: د. ثروت عكاشة، الطبعة الرابعة، ط. دار المعارف، مصر.

١٦٠- معالم الدعوة الإسلامية في عهدها المدني، د. خليفة حسين العسال، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).

١٦١- معالم السنن شرح سنن أبي داود، للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، الطبعة الأولى (١٤١١هـ-١٩٩١م)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٦٢- مع الله -دراسات في الدعوة والدعاة- للشيخ محمد الغزالي، الطبعة الخامسة: (١٤٠١هـ-١٩٨١م)، ط. المكتبة الإسلامية، القاهرة - مصر.

١٦٣- مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش (دراسة تحليلية)، د. زاهر بن عواض الألمعي، الطبعة الرابعة: (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).

١٦٤- معجم البلدان، لياقوت الحموي: ط. دار صادر، بيروت - لبنان.

١٦٥- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، ط. دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت - لبنان.

١٦٦- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، ط. دار الجيل، بيروت - لبنان.

١٦٧- معجم المناهي اللفظية، د. بكر عبد الله أبو زيد، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ، ط. دار ابن الجوزي، الدمام - المملكة العربية السعودية.

١٦٨- المغني، للإمام العلامة موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٦٩- مفتاح دار السعادة، محمد بن أبي بكر ابن القيم، ط. مكتبة الرياض الحديثة، البطحاء، الرياض - المملكة العربية السعودية.

١٧٠- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان.

١٧١- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، لابن الجوزي، تحقيق: إبراهيم القاروط، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٧٢- منتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ لابن زبالة، ط. المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

١٧٣- مناهج الدعوة وأساليبها، د. علي جريشة، الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ، ط. دار الوفاء، مصر.

١٧٤- منهج التربية الإسلامية، للشيخ محمد قطب، الطبعة الرابعة عشرة (١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، ط. دار الشروق، القاهرة - مصر.

١٧٥- الموسوعة الحديثية في تحقيق مسند الإمام أحمد، مشاركة مجموعة من العلماء، الطبعة الأولى: (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

١٧٦- الموطأ للإمام مالك، رواية يحيى بن يحيى الليثي، الطبعة الأولى: (١٤٠٥هـ-١٩٨٤م)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٧٧- الموافقات في أصول الأحكام، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تعليق: محمد حسنين مخلوف، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

١٧٨- المواقف في علم الكلام، لعبد الله بن أحمد الإيجي، ط. دار عالم الكتب، بيروت - لبنان.

١٧٩- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، للعلامة أحمد بن محمد القسطلاني، تحقيق: صالح أحمد الشامي، الطبعة الأولى: (١٤١٢هـ-١٩٩١م)، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

١٨٠- ميزان الاعتدال، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى: (١٣٨٢هـ-١٩٦٣م)، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان.

١٨١- نزهة الخاطر العاطر شرح روضة الناظر، للشيخ عبد القادر بن أحمد الدمشقي، الطبعة الثانية: (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) ط. مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية.

١٨٢- نساء أهل البيت في ضوء القرآن والحديث، لأحمد خليل جمعة، الطبعة الثانية: (١٤١٧هـ-١٩٩٦م) ط. اليمامة، دمشق، بيروت.

١٨٣- نساء حول الرسول ﷺ، لمحمود الإستانبولي ومصطفى أبو النصر شلبي، الطبعة السادسة: (١٤١٧هـ-١٩٩٦م) ط. مكتبة السوداي، جدة - المملكة العربية السعودية.

١٨٤- نساء النبي ﷺ، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) عام: (١٤٠٦هـ-١٩٨٥م)، ط. دار الكتب العربي، بيروت - لبنان.

١٨٥- نظام الحكومة النبوية (التراتيب الإدارية) للشيخ عبد الحي الكتاني، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

١٨٦- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: محمود الطناحي وطاهر الزاوي، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٥
الفصل الأول: التعريف بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وبيان أثرها في الدعوة	٧
١- اسمها ونسبها	٧
٢- في إتيان جبريل النبي ﷺ بصورتها وخطبتها وتزويجه ﷺ بها	٨
٣- ذكر شيء من فضائلها	٩
٤- أثرها في الدعوة خلال العهد المدني	١٣
٥- أثرها في الدعوة خلال عهد الخلفاء الراشدين	١٤
٦- أثرها في الدعوة خلال الصدر الأول للعهد الأموي	١٧
٧- وفاتها	١٨
الفصل الثاني: الرد على بعض الشبه التي أُلحِقتْ بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها	٢١
١- زواجه ﷺ بها	٢١
٢- حادثة الإفك	٢٣
٣- موقعة الجمل	٢٨
الفصل الثالث: المنهج العقلي في دعوة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها	٣٣
١- أثر المنهج العقلي في الدعوة عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها	٣٣

الموضوع	رقم الصفحة

٢- أثر المنهج العقلي في التربية عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها............... ٥٥

٣- الدروس المستفادة للواقع المعاصر ٦٩

الفصل الرابع: المنهج العاطفي في دعوة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ٧٣

١- أثر المنهج العاطفي في الدعوة عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ٧٣

٢- أثر المنهج العاطفي في التربية عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ٩٨

٣- الدروس المستفادة للواقع المعاصر ١٣١

الفصل الخامس: أساليب الدعوة عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ١٣٧

١- أثر أسلوب الحكمة في دعوة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ١٣٧

٢- أثر أسلوب الموعظة الحسنة في دعوة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها............... ١٤٧

٣- أثر أسلوب القدوة الحسنة في دعوة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ١٥٧

٤- الدروس المستفادة للواقع المعاصر ١٧٢

الفصل السادس: وسائل الدعوة عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ١٧٥

١- أثر الوسائل المعنوية في دعوة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها............... ١٧٥

٢- أثر الوسائل الحسية في دعوة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها............... ١٨٥

الخاتمة ١٨٩

فهرس المصادر والمراجع ١٩١

فهرس الموضوعات ٢٠٧